وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر 2 بوزريعة
كلية العلوم الانسانية
قسم التاريخ

العلاقات الخارجية للدولة الحمّادية

408-547هـ/1017-1152م

رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

إشراف الأستاذ:
بن عميرة محمد

إعداد الطالب:
مباركي محفوظ

لجنة المناقشة
د/بشار قويدر....................رئيسا
د/بن عميرة محمد..............مقررا
د/صاحي بوعلام...............عضوا
د/بن ديب عيسى...............عضوا

السنة الجامعية2011–2012

الاهداء

اهدي هذه الرسالة التي اتمنى ان تكون بكورة لاعمال علمية اخرى الى كل الاساتذة الذين ساهموا في تكويني العلمي والخلقي خاصة الى روح الفقيد موسى لقبال والمشرف الكريم الاستاذ محمد بن عميرة،واهديها الى كل الذين شجعوني على انجاز واتمام هذه الرسالة خاصة افراد اسرتي الكبيرة والصغيرة،كما اهديها الى كل المخلصين في هذا الوطن الجزائري العزيز.

<u>محفوظ مباركي</u>

مقدمة:

قامت الدولة الحمادية في بلاد المغرب الاوسط، في الفترة الممتدة مابين (405-547هـ/1014-1152م)وكان لها دورا لافتا في المنطقة، فمن الناحية السياسية تمكنت من مواجهة جملة من التحديات الداخلية والإقليمية، و أرست دعائم كيان محلي ،في ظل التجاذبات السياسية التي ابداها الفاطميون وامويي الاندلس لفرض سيطرتهم على بلاد المغرب، وتجاوزت رفض الزيريين المطلق لفكرة انفصال الحماديين عن الدولة الام ، بعدما حسمت لصالحها الصراع الداخلي العنيف بين قبيلتي صنهاجة وزناتة، و وضعت حدا لطموح المرابطين في بسط نفوذهم على المغرب الاوسط ، وتجنبت قدر الامكان تبعات الهجرة الهلالية التي اثرت على استقرار المنطقة، وحاولت التصدي لاطماع نورمان صقلية على سواحلها، و من الناحية الحضارية سجل تاريخها ،نشأة حواضر تحولت في وقت وجيز الى عواصم معلمية،فقد شهدت مدنها مثل القلعة وبجاية، توسعا عمرانيا ،وازدهارا اقتصاديا،وانتعاشا فكريا وثقافيا تجلى في حركة العلماء الوافدين اليها و المتنقلين منها ، اما من الناحية المذهبية فقد ساهم مؤسسها حمّاد بن بلكين (405-419هـ /1014-1029م)،مساهمة فعالة في ترسيخ الوحدة المذهبية في كل المغرب الاسلامي بعدما بادر الى رفض التشيع،الذي حاول الفاطميون فرضه في المنطقة طيلة وجودهم في المنطقة من (296-361هـ).

دواعي اختيار البحث:

اخترت هذا البحث لأسباب ذاتية و موضوعية،فقد اردت تناول موضوع يتعلق بالتاريخ الوطني في فترة مازالت مجالا خصبا للبحث،واستضاح جوانبها السياسية والاقتصادية والثقافية،بعدما تلقيت تحفيزا وترغيبا من بعض الاساتذة والزملاء،كما استهوتني إشكالية الموضوع التي تبحث في فترة كان فيها المغرب الاسلامي، يعيش حالة من الصراع القبلي والتفكك السياسي والأطماع الأجنبية،فأردت ابراز مكانة المغرب الاوسط في ظل هذه الظروف،وكيف كانت علاقاته المختلفة مع الكيانات السياسية المعاصرة له في هذه المرحلة الحساسة،ومما شجعني في انجاز هذا البحث،هو وفرة المادة العلمية المتواجدة في عدد من المصادر التي تناولت الفترة محل الدراسة.

خطة البحث

قسمت البحث إلى أربعة فصول،تناولت في الفصل الأول قيام الدولة الحمادية وتطور مسارها السياسي، حيث تطرقت إلى نسب مؤسس الدولة- حمّاد- وشخصيته والجهود التي بذلها في تجسيد مشروعه، وحاولت توضيح الحدود الجغرافية للدولة، وقدّمت عرضا موجزا عن الأمراء التسعة الذين تعاقبوا على حكمها واهم الأحداث التي عاصروها، وفي الفصل الثاني تناولت العلاقات السياسية للدولة الحمادية، مع الدول المعاصرة لها،اذ تطرقت إلى مظاهر الود والعداء في هذه العلاقات مع كل من الزيريين والمرابطين والفاطميين ومسيحيي اوروبا،فضلا عن علاقة الحماديين بالاندلسيين ، وخصصت الفصل الثالث للعلاقات التجارية واستعرضت فيه العوامل المتحكمة في التبادل التجاري والتي تنوعت بين الطبيعي والسياسي والاقتصادي,وحاولت رصد حركة السلع المستوردة والمصدرة مع كل من افريقية(تونس) والمغرب الاقصى والمشرق العربي(الشام والعراق) والشرق الاقصى(الصين والهند)وبلاد السودان والأندلس وأوروبا،أما الفصل الرابع فخصصته للعلاقات الثقافية وتناولت فيه مظاهر النشاط الفكري في بعض الحواضر الحمادية لاسيما في العاصمة الأولى (القلعة) والثانية(بجاية) والعوامل المؤثرة فيه،وحاولت تتبع علاقاتها الثقافية مع الأندلس والمغرب وافريقية والمشرق العربي من خلال حركة العلماء المتنقلين من الدولة الحمّادية نحو هذه المناطق والعلماء الوافدين إليها،وختمت البحث بعدة ملاحق منها وصف ابوعبيد البكري لشخصية حماد ورسالة الأمير ألمرابطي يوسف بن تاشفين للأمير المنصور الحمادي،ورسالة البابا غريقوار السابع إلى الناصر بن علناس،وبعض الأبيات الشعرية لابن النحوي في قصيدته المشهورة بالمنفرجة،وابن حمديس الصقلي في وصف احد قصور الامير المنصور.

<u>المنهج المتبع</u>:تتبعت المنهج الوصفي التاريخي وذلك بجمع المادة العلمية من المصادر والمراجع ثم مقارنتها،وترجيح بعضها على الاخرى، وتحليلها واعادة تركيبها،كما لجات الى اقتباس بعض النصوص من المصادر مباشرة .

الصعوبات:

واجهتني صعوبة التعامل مع بعض مصادر العصر الوسيط،وكيفية صياغة المادة المتوفرة بها باسلوب معاصر، و صعوبة تحديد مفاهيم بعض المصطلحات والاماكن الواردة بها، كما واجهتني صعوبة توضيح مواقف الدولة الحمّادية، حيال بعض القضايا السياسية بحكم انتمائي للوطن الذي قامت فيه هذه الدولة في ظل التحامل الذي ابداه بعض المؤرخين المحدثين على هذه المواقف.

الشكر:

اوجه شكري الجزيل الى كل الاساتذة الذين ساعدوني بتوجيهاتهم وارشاداتهم وزودوني ببعض المصادر والمراجع واخص بالذكر استاذي ومشرفي الدكتور محمد بن عميرة،الذي أتعبته كثيرا، من خلال التوجيهات والملاحظات الدقيقة التي ما فتىء يقدمها لي سواءا على الصعيد اللغوي او البنيوي او المنهجي .

تقديم المصادروالمراجع:

اعتمدت في تغطية الفصول الاربعة على عدة مصادر ومراجع ،حيث استقيت مادة الفصلين الأول والثاني من المصادر والمراجع التي اهتمت بالجانب السياسي للدولة، ومادة الفصل الثالث من كتب الجغرافية والدراسات الاقتصادية،في حين كانت مادة الفصل الرابع من كتب الطبقات،والدراسات الثقافية:

ومن المصادر التي اعتمدت عليها كثيرا كتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)،لعبدالرحمان بن خلدون، الذي افرد في الجزء السادس منه،فصلا عن دولة بني حماد تناول فيه، التطور السياسي للدولة حسب فترة كل امير من الامراء التسعة الذين تعاقبوا على حكمها،واستفدت من المادة الغزيرة التي وردت في الكتاب عن القبائل البربرية والعربية، عن أصولها وفروعهاومواقع تواجدها، ،كما استخدمت كثيرا كتاب (الكامل في التاريخ) لابن الاثير المتوفى سنة630هــ/1233م الذي ساعدتني معلوماته المرتبة ترتيبا تاريخيا (كرونولوجيا) ، من استقاء المعلومات المتعلقة بالفترة محل البحث ، وبنفس المنهج تقريبا،تزودت بمعلومات هامة من كتاب (البيان المغرب في اخبار افريقي والمغرب) لابن عذاري المراكشي المتوفى سنة712هــ،خاصة في جزئه الأول ،اما كتاب ابن الخطيب ،(اعمال الاعلام في من بويع من الاعلام)فوفر لي معلومات هامة عن الصفات الشخصية

لامراء الدولة، وزودني النويري، المتوفي سنة733هـ ،في كتابه(نهاية الإرب في فنون الأدب) في جزئه الرابع والعشرين حسب طبعة بيروت ، بمعلومات دقيقة ومفصلة عن امراء الدولة الحمادية والعلاقات التي جمعتهم بغيرهم من حكام الدول المعاصرة لهم،وأفادني المؤرخون المغاربة مثل ابن ابي زرع الفاسي ،بكتابه (الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس)،و السلاوي،بكتابه (الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى) في تناول تاريخ قبيلة زناتة،والدولة المرابطية،اما المصادر الجغرافية مثل كتاب(صورة الارض) لابن حوقل ،و كتاب(المغرب في ذكر افريقيا والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك) لابي عبيد البكري ، وكتاب (نزهة المشتاق في اختراق الافاق) للادريسي ،وكتاب (الروض المعطار في اخبار الاقطار) للحميري، وكتاب،(الاستبصار في عجائب الامصار) لمؤلف مجهول،و كتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي،فقد افادتني في التعرف على المدن التي و ضمتها الدولة، وتحديد معالم اقليمها، ،وواقعها الاقتصادي من نشاط زراعي وصناعي وتجاري،اما كتب الطبقات فوفرت لي مادة غزيرة عن العلماء الوافدين والمتنقلين من الدولة الحمادية،مثل كتاب ، (ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك) للقاضي عياض،وكتاب (جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس) للحميدي المتوفي 488هـ، وكتاب (الصلة) لابن بشكوال(494-578هـ/ 1101-1183م)، وكتاب(بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس)للضبي المتوفي 599 سنة هـ/1203م،وكتاب (الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب) لابن فرحون المتوفي 799هـ، ،وكتاب (العبر في خبر من غبر) للذهبي 748هـ-1347م، وكتاب (الوافي بالوفيات) للصّفدي ت764هـ ، وكتاب (شذرات الذهب في أخبار من ذهب) لابن العماد الحنبلي المتوفى: 1089هـ،وكتاب (وفيات الأعيان وأنباء أبناء زمان) لابن خلكان.

كما استأنست بعدد من الدراسات والأبحاث المتعلقة بفترة البحث منها من اهتم بالجانب السياسي مثل كتاب(الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري) لإدريس روجي هادي،وكتاب (دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري) لعويس عبد الحليم، وكتاب (دور زناته في الحركة المذهبية بالمغرب الاسلامي)،لابن عميرة محمد، وكتاب (دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الاسلامي) لعمارة علاوة،وكتاب (بني حماد ملوك القلعة وبجاية) لاسماعيل العربي،وكتاب (الدولة

الحمّادية) لرشيدبورويبة ومنها من اهتم بالجانب الاقتصادي مثل الدراسة التي قام بهاعزالدين احمد موسى، في كتابه (النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرنالسادس هجري) و جودت عبدالكريم، في كتابه (الاوضاع الاقنصادية والاجتماعية في المغرب الاوسط خلال القرنين الثالث والرابع هجريين(9-10م)) و اوليفيا ريمي كونستبل، في كتابها(التجارة والتجار في الاندلس)،اما المراجع باللغة الاجنبية فاستفادت كثيرا من كتابي دو ماس لاتري(de mas laterie)

traités de paix et de commerce et documents divers arabes de l afrique septentrionale (concernant les relations avec les au moyen âge ;et Relations et commere de l'afrique septentrional ou Maghreb avec les nations chrétiennes au moyen age

Golvin lucien ,le magheb central a l' epoque des وكتاب **zerides ,recherche d'archeologieet d'histoire**

واستفادت ايضا من رسالة الدكتوراة اعبد الحميد الخالدي (العلاقات الثقافية بين المغرب والمشرق من قيام الدولة العبيدية الى نهاية الدولة الحمادية)

الفصل الاول

قيام الدولة الحمادية وتطورها السياسي

بذل حمّاد بن بلكين جهودا مضنية للانفصال عن الدولة الزيرية وتمكن من تأسيس دولة،بسطت نفوذها على معظم المغرب الاوسط،وسعى الامراء التسعة الذين تولوا شؤونها من بعده، الى توفير الأمن لها، وتعزيز مكانتها محليا واقليميا.

نسب حماد :

تنسب الدولة الحمّادية الى مؤسسها حمّاد بن بلكين بن زيري بن مناد بن منقوش بن صنهاج الأصغر[1]،من قبيلة صنهاجة[2]،التي اختلف المؤرخون في أصلها[3]، وكانت تتوفر على جملة من المميزات،منها كثرة عدد الصنهاجيين،بحيث لا يكاد جزء من أجزاء بلاد المغرب « يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط حتى لقد زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أمم البربر»[4]، ولها فروع تناهز السبعين[5]،وتتسع رقعتها الجغرافية لتضم في الشمال: المسيلة وحمزة(البويرة) ولمدية ومليانة وبجاية وجزائر بني مزغنة وأشير، ويمتد انتشارها في الصحراء مسيرة ستة اشهر[6]،وتنقسم

---

1) ابن خلدون عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط1421ه2000م، ج 6، ص ص 202 203 .

2) تنطق كلمة صنهاجة بضم الصاد و كسرها(ابن خلكان،وفيات الأعيان وأنباء أبناء زمان،دار صادر بيروت،بدون تاريخ،ج1، ص)265؛ و«صنهاج هو صناك بالصاد المشمة بالزاي والكاف القريبة من الجيم الا أن العرب عربته وزادت فيه الهاء بين النون والألف فصار صنهاج»(ابن خلدون،المصدر السابق،ص201 ؛ انظر هادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري،تر،حمادي الساحلي،دار الغرب الإسلامي بيروت,الطبعة الاولى1992،ج1،هامش1، ص31).

3) منهم من يعتبره عربيا حميريا كابن الكلبي وابن النحوي والطبري(ابن خلدون،المصدرالسابق ص 301)؛ابن الأثير، الكامل في التاريخ،دار الكتاب العربي بيروت ,ج7,ص47؛ابن خلكان،المصدر السابق،ص286؛ ومنهم من يعتبره بربريا:ابن حزم، جمهرة انساب العرب،دار المعارف القاهرة،الطبعة الخامسة،ص495؛ابن خلدون المصدر السابق،ص301؛ السلاوي،الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى،تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري دار الكتاب الدار البيضاء،1954، ج1،ص3؛عن هذا الاختلاف انظر إدريس هادي روجي ،نفس المرجع، ج1 ص ص31 فمابعدها ؛عويس عبد الحليم،دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري،دار الصحوة للتوزيع والنشر 1411 هـ/ 1991م، ص ص48−49؛لقبال موسى،دور كتامة في تاريخ الخلافة الدولة الفاطمية،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،طبعة 197،ص ص79 − 80؛بوتشيش إبراهيم القادري،مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين،ط دار الطليعة للطباعة والنشر،ص13.

4) ابن خلدون ،المصدر السابق،ص201.

5) أهمها تلكاتة وانجفة وشرطة ولمتونة ومسوفة وكدالة ومندلة وبنو وارت وبنو يتيس(ابن خلدون المصدر السابق،ص202.).

6) يرى لقبال موسى ان مواطنها تمتد من غدامس الى نهري السنيغال والنيجر(المرجع السابق،ص84.)

إلى أهل وبر وهم البدو الرّحل في الصحراء ،وأهل مدر وهم الحضر المستقرون في الشمال،وينتمي حمّاد بن بلكين،إلى اعظم فروع قبيلة صنهاجة،وهو فرع تلكاتة الذي يمتد انتشاره « ما بين المغرب الاوسط وافريقية»[1].

كان جده زيري بن مناد،مؤسس مدينة أشير سنة(324هـ/935م)[2]،طرفا فاعلا، في الحياة السياسية لبلاد المغرب،اذ اختار التحالف مع الفاطميين وكان عونا لهم في إرساء دعائم حكمهم في المنطقة[3]،وذلك بصد خطر قبيلة زناتة[4]،الموالية لأموي الاندلس[5]،التي طالما هددت الحكم الفاطمي،وكادت ان تقضي عليه اثناء ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد،المعروف بصاحب الحمار(332-336هـ/944-947م)[6]،وتولى أبوه بلكين بن زيري،إدارة شؤون معظم بلاد المغرب،نيابة عن الفاطميين لمّارحلوا الى مصر

---

1) ابن خلدون، المصدرالسابق ، ص202.

2) النويري، نهاية الارب في فنون الادب،تحقيق عبد المجيد ترحيني،منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،ج24، ص88؛الحموي (شهاب الدين ابي عبدالله ياقوت بن عبدالله)،معجم البلدان، دار صادر بيروت بدون تاريخ، المجلد الأول، ص203؛وهي تقع جنوب شرق الجزائر العاصمة،بحوالي 150 كلم على بعد12كم شمال شرق عين بوسيف بولاية المدية(الجيلالي عبدالرحمان،تاريخ الجزائرالعام،دار مكتبة الحياة بيروت ،ط2،1384هـ /1965م ،ج1،ص291).

3) ابن الأثير,الكامل,ج7,ص47 ؛ المقريزي ،اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفا،تحقيق جمال الدين الشيال،مطابع الاهرام التجارية-قليوب الطبعة الثانيةالقاهرة1416هـ1996م،ج1،ص78؛النويري،المصدرالسابق،ص ص89-90؛ابن خلدون المصدر السابق، ج6،ص ص203- 204 ؛مرمول محمد الصالح، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر1983،ص ص170- 171؛ابن عميرة محمد،دورزناته في الحركة المذهبية بالمغرب الاسلامي،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 198،ص 243؛ **ERNEST MERCIER, *Histoire* de l'Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps lesplus reculés jusqu'à la conquête Française1830,paris,1888,p343.**

4) عن اصل كلمة زناتة ونسب القبيلة وفروعها انظر ابن خلدون،المصدر السابق،ج7،ص ص10-11 فما بعدها من عدة صفحات.

5) ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص 204؛ابن ابي زرع الفاسي ،الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس،دار المصور للطباعة والوراقة،الرباط،1972،ص102؛ النويري،المصدر السابق، ج24، ص89؛ هادي روجي إدريس ،المرجع السابق،ج1، ص43 ؛ لقبال موسى،المرجع السابق،ص ص186- 187؛ ابن عميرة محمد ،المرجع السابق، ص244؛فيلالي عبدالعزيز،العلاقات السياسية بين الدولة الامويةفي الاندلس ودول المغرب،دارالفجر للنشر والتوزيع،القاهرة،ط الثانية،1999 م،ص140.

6) ابن الاثير,المصدر السابق ,ج6,ص ص302 فما بعدها من عدة صفحات؛ ابن خلدون،المصدر السابق ، ج 4، ص 52 فما بعدها من عدة صفحات؛عن ثورة صاحب الحمار انظر هادي روجي ادريس ،المرجع السابق، ص 48 فما بعدها من عدة صفحات؛ بن عميرة محمد،المرجع السابق ،ص 197 فما بعدها من عدة صفحات.

سنة**361**هـ/**972**م[1]،أما اخوه المنصور(373-386هـ/984-996م) فكان أول من منحه فرصة للظهور على الساحة السياسية،لما أسند له إدارة ولايتي أشير والمسيلة[2].

شخصية حمّاد

لم تذكر المصادر تاريخا محددا لميلاد حماد، لكن بعضها، أشار إلى تاريخ وفاته في سنة(419هـ/1028م)[3]،مما فسح المجال لبعض المتأخرين لتقدير الفترة التي عاشها،فمنهم من رجّح ميلاده مابين353- 35 هـ/ [4]، ومنهم من أشار ان الأجل وفاه في سن الثمانين [5].

درس،في صغره،الفقه بالقيروان،واطّلع على كتب الجدل[6]،عُرف بالفراسة والذكاء[7]، والشجاعة[8]،وكان يصوم رجب وشعبان،ويمتنع عن شرب الخمر[9]،وعرف الجود والكرم حيث أورد ابن عذارى على لسان حماد قوله:«وصلت أنا إلى أفريقية في ثلاثين ألف فارس، ما منهم إلا من أحسنت إليه،وأنعمت عليه»[10]، غير ان ابن الأثير انكر هذه الصفة عن حمّاد و ذكر ان «اكثر عسكر حمّاد يكرهونه لقلة عطائه»[11].

والى جانب هذه الصفات،اشتهر حمّاد كذلك،بالغدر والخيانة والقسوة واستباحة الدماء ضد خصومه،لا فرق عنده في ذلك بين القريب والبعيد،اذ وصل به الامر ان القى

---

1) ابن الاثير,المصدر السابق،ج**6**،ص**45**؛المقريزي،المصدر السابق،ص134؛النويري،المصدر السابق،ج24،ص93؛ وحسب ابن خلدون وابن الخطيب فان رحيل المعز تم في **362**هـ(ابن خلدون، المصدر السابق،ج**6**،ص**206**؛ابن الخطيب،اعمال الاعلام ،ج 3 ص65).

2) ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص227.

3) ابن خلدون,العبر،ج6,ص229؛ابن الخطيب،أعمال الأعلام،ج3،ص86.

4) عبد الفتاح المقلد الغنيمي،موسوعة تاريخ المغرب العربي،مكتبة مدبولي القاهرة،الطبعة الاولى 1414هـ 1994م، مج1،ج.4، ص268 .

5) عويس عبد الحليم،المرجع السابق،ص52.

6) ابن الخطيب،المصدر السابق،ج3،ص 85.

7) مؤلف مجهول،الاستبصار في عجائب الامصار،نشر وتعليق عبدالحميد زغلول،طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة افاق عربية بغداد،ص168.

8) ابن الخطيب،المصدر السابق،ص71.

9) ابن حزم,نقط العروس في تواريخ الخلفاء، نقلا عن هادي روجي ادريس،المرجع السابق،ج1،ص143.

10) المصدر السابق،ج1،ص268.

11) المصدر السابق،ج7،ص199.

عمّه ماكسن،حيا الى الكلاب فنهشته[1]،وقتل ثلاثمائة شخص دفعة واحدة،حينما اغار على مدينة دكمة[2]،بعد هزيمته في احدى المعارك، ولما خرج اليه شيخ صالح من سكانها وقال له « يا حمّاد أتق الله فأني حججت حجتين» فرّد عليه: أنا أزيدك عليهما الشهادة!وأمر به، فضربت عنقه،وسأله جماعة من التجار المسافرين،فقالوا له:« نحن قوم غرباء، ولا ندري ما جنى أهل هذه المدينة عليك،فقال لهم:اجتمعوا وأنا أعرفكم فلما وصلوا إليه،أمر بهم فضربت رقابهم أجمعين»[3].

الظاهر أن شخصية حمّاد جمعت صفات متناقضة، لايمكن تعليلها إلاّ بالفصل بين حمّاد الشخص العادي و حمّاد الشخص الطموح إلى تجسيد أهدافه السياسية باستخدام كافة الوسائل الممكنة،وهو في ذلك يشبه من سبقه الى الحكم، من أفراد أسرته[4].

جهود حمّاد في تأسيس الدولة

استغل حمّاد الاضطرابات السياسية التي عرفتها الدولة الزيرية،منذ عهد أخيه المنصور(373-386هـ/ 984-996م)،وبذل أقصى مايمكن من الجهد من أجل الانفصال عنها وتأسيس دولة خاصة به.

فقد شهد هذا العهد، ثورة قبيلة كتامة[5]، التي راهن عليها الفاطميون لضمان ولاء بلاد المغرب[6]،بعد العقوق الذي اظهره الصنهاجيون لهم ،فكانت المحاولة الاولى

---

1) ابن خلدون، المصدر السابق، ص209؛ Golvin lucien ,le magheb central a l' epoque des zerides ,recherche d'archeologieet d'histoire,paris,1957, p94 .

2) دكمة مدينة على نهر سهر قرب المسيلة(ابورازق(احمد بن محمد)،الادب في العصر الحمادي،وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية،2007،هامش ص67).

3) ابن عذاري،المصدر السابق،ص ص264 265؛ ابن الاثير، المصدر السابق،ج7، ص48.

4) تعد المبالغة في القسوة والانتقام من الخصوم صفة لبعض حكام أسرة حماد: فأبوه،بلكين، بعدما اخذ بثارأبيه زيري من قبيلة زناته،امر أن لا يطبخ في العسكر قدر إلا على ثلاثة رؤوس من رؤوس القتلى(ابن الاثير، المصدر السابق،ج7،ص48؛النويري،المصدر السابق،ج24،ص92)؛و لما تمكن اخوه المنصور من الثائر أبي الفهم أخذه بعض رجاله،فنحروه وشقوا بطنه وأخرجت كبده، فشويت وأكلت،وأخذه عبيد المنصور، فشرحوا لحمه وأكلوه،حتى لم يبق إلا عظاما مجردة (ابن عذاري،نفس المصدر،ص244.).

5) عن اصل قبيلة كتامة وفروعها ومناطق انتشارها،ودورها في قيام الدولة الفاطمية انظر ابن خلدون المصدر السابق،ج4،ص42؛نفس المصدر،ج6،ص ص 195-196؛لقبال موسى،المرجع السابق،ص

6) كانت لقبيلة كتامة السبق في احتضان الدعوة الشيعية في ايكجان(قرب بني عزيز بسطيف)وساهمت في قيام الخلافة الفاطمية.للمزيد انظرلقبال موسى،المرجع السابق،ص92؛ابن عميرة محمد،المرجع السابق،ص244.

بزعامة ابي الفهم الخراساني سنة378هـ/988م [1]،والثانية بزعامة ابي الفرج سنة379هـ /989م [2]، وأطماع قبيلة زناتة بزعامة زيري ابن عطية المغراوي الملقب بالقرطاس سنة(375هـ/986م)[3]،وتمرد ابي البهار-عم المنصور-،بتهارت سنة379هـ/989م[4] ،مما وفّر لحمّاد فرصة مناسبة ليظهر بمظهر القائد المنقذ للبيت الحاكم من الأخطار المتربصة به،حيث كانت مساهمته فاعلة في إعادة الإستقرار للدولة الزيرية، إثر تنفيذه لمهمات قتالية ناجحة ضد هؤلاء الخصوم[5].

ولمّا تولى امر الدولة ابن اخيه باديس (386- 406هـ/996-1016 م)،الذي لم يتجاوز عمره اثنتي عشر سنة،إستمرت الاضطرابات السياسية والثورات العسكرية،التي كان مصدرها قبيلة زناتة،وأعمام الأمير الشاب،فلم تمض سوى أربع سنوات على حكمه، حتى زحف عليه من الجهة الغربية،زيري بن عطية الزناتي،الذي تمكن في سنة389هـ /999م من الانتصارعلى الجيش الزيري،وفرض سيطرته على مدينة تهارت[6]،في حين شهدت الجهةالشرقية، تمرد فلفل ابن سعيد الخزروني الزناتي وقام بتخريب طبنة،قبل ان يتوجه في حشد من أنصاره نحو القيروان[7]،واستغل أعمام باديس، ماكسن وزاوي وجلال ومغنين وعزم، هذا الوضع،فأعلنوا العصيان وخرجوا عن الطاعة[8] .

---

1) **ابن عذاري،المصدرالسابق،ج1، ص ص243-244؛ابن الأثير،المصدر السابق،ج7،ص133؛النويري،المصدر السابق،ج24،ص ص100-101؛هادي روجي ادريس المرجع السابق،ص113.**
2) **ابن الاثير،المصدرالسابق،ج7،ص ص140-141؛النويري،المصدرالسابق،ج24،ص102؛ادريس هادي،المرجع السابق، ص114.**
3) **ابن الأثير،المصدرالسابق،ج7،ص128،ابن خلدون،المصدرالسابق،ج6،ص208؛وحسب صاحب البيان فان الواقعة حدثت سنة(374هـ/985)واورد ان زيري بن عطية يلقب بالفرطاس لا القرطاس(ابن عذاري،المصدر السابق،ج1،ص 241).**
4) **ابن عذارى،المصدرالسابق،ج1،ص245؛ابن الاثير،المصدرالسابق،ج7،ص141؛ابن خلدون،المصدرالسابق، ج6، ص208؛ادريس هادي المرجع السابق،ص ص115-116؛فيلالي عبدالعزيز،المرجع السابق،ص 233).**
5) **ابن الخطيب،المصدر السابق،ج3،ص68.**
6) **ابن عذاري، المصدر السابق،ج1،ص250؛ابن الاثير، المصدر السابق،ج7ص199؛ابن خلدون، المصدر السابق ،ج6،ص208؛الناصري،الاستقصا,ج1,ص91؛ هادي روجي ادريس المرجع السابق،ص ص 127.**
7) **ابن عذاري،المصدر السابق،ج1،ص ص250-251؛ابن الاثير،المصدر السابق،ج7ص199؛ابن خلدون،المصدر السابق ،ج6،ص ص 54-55؛هادي روجي ادريس،المرجع السابق،ج1،ص131.**
8) **ابن عذاري،المصدرالسابق،ج1،ص251؛ابن الاثير،المصدرالسابق،ج7،ص199؛ابن خلدون،المصدرالسابق،ج6، ص 209؛ادريس هادي ،المرجع السابق،ج1،ص129؛اسماعيل العربي،فصول في العلاقات الدولية،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1990،ص ص45-46.**

وبقدر ماشكلت هذه الأحداث لباديس، وضعية حرجة ،جعلته يشك في قدرته في الحفاظ على كل ما ورثه عن سلفه من أقاليم،بقدر ماشكلت لحمّاد ظرفا مناسبا،سوف يستغله لتجسيد طموحاته السياسية،إذ أثبت لابن اخيه،بانه الشخصية المنقذة التي يمكن الاعتماد عليها، لإخماد هذه الاضطربات والقضاء على المتمردين ،حيث تمكن في سنة391هـ/1000م من وضع حد لثورة أعمامه، بقتله لعمه ماكسن وولديه محسن وباديس،وإجباره للبقية، منهم زاوي، على الرحيل الى الأندلس، وساهم بفعالية لافتة في إبعاد خطر فلفل بن سعيد الخزروني في الجهة الشرقية[1] ، مما جعل الأمير الزيري يراهن عليه في تأمين حدود الدولة على الجهة الغربية، التي شهدت في غيابه تطاول الزناتيين الذين «أضروا بالسابلة وحاصروا المسيلة وأشير»[2]، فإغتنم حمّاد فرصة تكليفه بهذه المهمة سنة395هـ/1004م، ليشترط على الأمير الزيري ،حق امتلاك مدينة أشير والمغرب الأوسط و كل مايفتحه من بلاد زناته،وإعفاءه من القدوم إلى إفريقية، وحرية اختيار إقامة عاصمة له[3].

وبعدما ظفر حمّاد بهذا العقد النظري لتأسيس دولته، شرع في تجسيده ميدانيا، فبدأ بإجلاء زناتة،من معظم المغرب الأوسط ،ملحقا بها هزائم نكراء[4]، ثم شيّد عاصمته الجديدة،التي ستحمل فيما بعد اسمه-قلعة حمّاد- في موقع حصين، على منحدر وعر فوق سفوح جبل تاقربست سنة (398 هـ/1007م) ، والمعروف اليوم بجبل المعاضيد، يقع على نحو31كم جنوب برج بوعريريج، وعلى نحو 20كم شمال شرق المسيلة، و على نحو15كم شرقي برج غدير[5]،ونقل إليها أهل المسيلة وأهل سوق حمزة (البويرة)، بعد ان خربهما، كما نقل اليها قبيلة جراوة من المغرب الاقصى،واستكثر فيها من المساجد والفنادق فاستبحرت في العمارة، واتسعت في التمدن ورحل إليها طلاب

---

1) ابن خلدون، المصدر السابق،ج6،ص209؛ ادريس هادي ،المرجع السابق،ج1،ص ص132-133.
2) ابن خلدون،نفس المصدر ،ج6،ص209.
3) ابن خلدون، المصدر السابق،ص227؛ابن الخطيب اعمال الاعلام،ج3،ص ص69 70؛ ادريس هادي،المرجع السابق،ج1،ص ص133؛ عويس عبد الحليم, دولة بني حماد، ص61؛ ERNEST MERCIER, op cit ,t1,p
4) ابن خلدون، المصدر السابق،ص227؛ هادي روجي ادريس،المرجع السابق،ج1،ص ص134.
5) الجيلالي عبدالرحمان,المرجع السابق،ج1،ص235.
6)

العلوم وأرباب الصنائع[1]، ولقد اثار النجاح الذي حققه حمّاد، في إرساء الدعائم الأولى لما كان يخطط له، منذ مدة، مخاوف الامير باديس من جهة، وحسد العديد من الوشاة الذين سعوا الى تعكير الأجواء بينه وبين ابن اخيه من جهة اخرى[2]، مما حذا بهذا الأخير إلى اختبار نوايا عمّه، بمطالبته بالتنازل عن مدينة تيجس[3]،وقصر الإفريقي وقسطنطينة لابنه المنصور[4]، غير أنّ حمّاد رفض التفريط فيما كان يعتبره مكسبا، تحصل عليه، بعد مغامرات عديدة، كادت كل واحدة منها ان تنهي حياته، فتأكدت لدى باديس نواياه الانفصالية واصبح خيار الحرب بينهما أمرا لامناص منه[5].

ولخوض هذه الحرب سعى حمّاد منذ البداية إلى توظيف قضية الانتماء المذهبي لسكان المغرب[6]، حيث بادر سنة (405هـ /1015م) إلى نبذ طاعة الفاطميين واعلن ولاءه للعباسيين السنة،و حرّض أهل تونس وباجة على قتل اتباع المذهب الشيعي[7]،في محاولة منه لكسب المزيد من الاتباع ، لاسيما اهل الحواضر مثل القيروان.

وبدأت الحرب بين الطرفين سنة406هـ /1016م، بهجوم حمّاد و أخيه إبراهيم على قلعة شقبنارية(الكاف)، التي اتخذها قائد باديس ،هاشم بن جعفر، حصنا له، وبعد قتال شديد تمكن حمّاد من هزيمة خصمه والاستيلاء «على جميع ما كان معه من الأموال والخزائن والأثقال والخدم»[8].

---

1) ابن خلدون، المصدر السابق،ج6،ص227.
2) ابن خلدون، المصدر السابق،ج6،ص227؛ابن الخطيب اعمال الاعلام,ج3,ص71.
3) مدينة جنوب شرق قسنطينةبنحو 5كم بمكان يدعى اليوم(عين البرج) (ابورازق،المرجع السابق،هامش ص65).
4) ابن عذاري,البيان,ج1,ص ص261؛ابن الاثير,الكامل,ج7,ص276؛ابن خلدون,المصدر السابق,ص228؛جورج مارسي،بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الاسلامي،تر محمود عبدالصمد هيكل،مراجعة مصطفى ابوضيف احمد،منشاة المعارف بالاسكندرية،ص ص189 190؛ **Gaid mouloud,les berbers dans l'histoire,de ziri à hammad,tome7,editions mimouni,2009,p79.**
5) ابن عذاري,البيان,ج1,ص ص261 262.
6) حاول الفاطميون الشيعة فرض مذهبهم على سكان المنطقة غير ان مقاومة شديدة اعترضت مسعاهم على يد اتباع المذهبين المالكي والخارجي،للمزيد انظر ابن عذاري،المصدر السابق،ج1، ص ص184 -185،وعن مقاومةالمالكية للفاطميين انظر حوالة (يوسف بن احمد)،الحياة العلميةفي افريقية(المغرب الادنى)منذ اتمام الفتح حتى منتصف القرن الخامس هجري90-450هـ،مكة المكرمة،1421هـ-2000 م،ج2،ص ص 80 -81.
7) ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص228.
8) ابن الاثير,الكامل,ج7,ص276؛النويري,المصدر السابق،ج24،ص107.
9) ابن الاثير,الكامل,ج7,ص276؛النويري,المصدر السابق،ج24،ص107.

ولما علم باديس بذلك، قرر قيادة الجيش بنفسه،و تمكن اثناء مطاردته لخصمه، من استمالة سكان بعض المدن والقرى لصفه، مثل أشير و المسيلة [1]،كما نجح في عزل حمّاد عن بعض اتباعه المقرّبين[2]،واشتبك معه في بداية جمادى الأولى سنةهـ/ 1015م[3]،بوادي الشلف[4]،وبعد قتال شديد،انهزم حمّاد،وكاد ان يقع في الاسر لولا انشغال الناس بنهب الغنائم المعتبرة التي خلفها وراءه[5]،وفرّ مع من بقي معه إلى القلعة للتحصن بها.

وسار باديس في اثر حمّاد،عاقدا العزم على اخضاعه، ولمّا وصل إلى المسيلة، أتاه مبعوث عمّه إبراهيم، معتذرا ومذكّرا بالخدمات التي قدمها حمّاد للدولة الزيرية في وقت الشدة[6]،غير ان باديس أصدر أوامره لتضييق الخناق على القلعة[7]بحصار ناهز الستة أشهر[8]،وفي الوقت الذي تضاءلت فيه كل فرص الخلاص لحمّاد ولمن بقي معه،توفي باديس فجأة في 30 ذي القعدة10/406ماي 1016[9]،متأثرا بمرض حصر البول[10]،ولم

---

1) ابن الاثير،المصدر السابق،ج7 ص ص 276- 277 ؛وتخلى عنه بنو توجين و بنو أبى واليل و بنو يطوفت، وبنو عمرة، من زناته، وبنو حسن،من كبار صنهاجة (ابن خلدون، المصدر السابق،ص228).
2) ابن الاثيرج7،ص276؛ ابن عذاري،المصدر السابق،ج1ص263؛النويري،المصدر السابق،ج24،ص108.
3) ابن الاثير، المصدر السابق ص 277.
4) ابن عذاري،المصدر السابق،ج**1**،ص263؛ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص228؛وصفالنويري هذا الواد بانه« واد عميق لا يطمع بتعديته لشدة توعره وعمق قعره وصعوبة انحداره وكثرة مائه»(نهاية الارب في فنون الادب،ج**24**،ص**109**).
5) ابن عذاري ،المصدر السابق ،ج1،ص ص 263- 264؛ابن الاثير، المصدر السابق ،ج7،ص277؛ النويري، المصدر السابق،ج24 ،ص**109**.
6) النويري، المصدر السابق،ج24 ،ص**109**.
7) ابن الاثير،المصدر السابق،ص277؛ ابن خلدون، المصدر السابق،ج6،ص228.
8) بورويبة رشيد،المرجع السابق،ص27؛ وأثناء هذا الحصار بذل باديس لرجاله الأموال وأعطى كل واحدا منهم ما بين 500الى2000 دينار مما زاد في إحراج حمّاد امام رجاله الذين فضل الكثير منهم في ظل الضائقة التي حلت بالقلعة والتي افضت الى ارتفاع الأسعارالى التخلي عنه كما اضطر حماد الى الكذب على من بقي معه وذلك بتحرير رسائل مزيفة يدعي فيها تارة ان باديس ينوي الرحيل الى افريقية وتارة اخرى يطلبه للصلح الى غير ذلك مما كان يختلقه(النويري،المصدر السابق،ج**24** ،ص**109**).
9) ابن عذاري،نفس المصدر،ص266.ابن الاثير،المصدرالسابق،ج7،ص277؛النويري،المصدر السابق،ج**24**،ص **.109**
10) هادي روجي ادريس،المرجع السابق،ج**1**،ص**154**؛اما ارنست مرسييه فذكر ان باديس مات متاثرا بمرض الطاعون الذي كان منتشرا وقتئذ في افريقية(**ERNEST MERCIER,op cit ,t1,p396.**)

يكن سنه قد تجاوز 33 سنة،فرُفع الحصار عن القلعة،وانسحب الجيش الزيري الى المسيلة، ومنها إلى المهدية التي كان بها المعز بن باديس الذي بويع بالامارة يوم 23ذي الحجة406هــ/2جوان1016م،وهو في الثامنة من عمره [1] .

وبذلك توفرت لحمّاد فرصة ثمينة لمواصلة مشروعه،فراح يوظف مرة اخرى، الظرف لصالحه،واغتنم هذا الفراغ ليستولي على مدينتي أشيروالمسيلة،ويفرض حصارا على مدينة باغاية[2]،فكان لزاما على الأمير الصغيرأن يجد حلا لمشكلة حمّاد و المغرب الاوسط،التي ورثها عن والده،باديس،بكل الطرق الممكنةالعسكريةمنها والسياسية.

فبعد مرور سنة من استلامه زمام الحكم تولى المعز، قيادة الجيش بنفسه وزحــف على عمّ أبيه وتمكن من الانتصار عليه، و أخذ ابراهيم – أخ حمّاد– اسيرا[3].

و قد تاثر حمّاد بهذه الهزيمة كثيرا ،ولم يعد في وسعه مواصلة القتال،فارسل الى حفيد اخيه،رسولا يطلب منه الصلح،فاشترط عليه المعز،إرسال ابنه القائد،رهينة لديه[4].

لقد اثار اكتفاء المعز بارتهان القائد ،على الرغم من قدرته على حسم الموقف عسكريا لصالحه، عدة تسؤلات، عند الدكتور عويس عبدالحليم ،منها: هل يعود ذلك الى صغر سن الامير الذي لم يتجاوز الثماني سنوات، ورغبة المحيطين به، في ان يستفتح فترة حكمه بسلام واستقرار حتى يتم التفرغ لمواجهة المشاكل التي عادة ما تعترض الحكام الجدد؟ أم هل تعود الى اقتناع القائمين بامره، بجعل المناطق التي ستؤول الى حمّاد حاجزا يكفيهم شر زناتة وثوراتها المتكررة؟ أم يعود الى رغبة المقربين منه، في الاحتفاظ بكل امكانياتهم العسكرية، تحسبا لمواجهة قوة الفاطميين، التي هي اكبر من قوة حمّاد، في حالة تجسيد الميول السنية للمعز التي اظهرها سنة407هــ/1016م، والتي افضت إلى اضطهاد الشيعة في افريقية؟[5].

بعدما تأكد حمّاد من صدق نوايا المعز، بواسطة اخيه إبراهيم،الذي بادر المعز إلى إطلاق سراحه، أرسل إبنه القائد، يوم 15شعبان 408هــ/5جانفي1018م تأكيدا لرغبته

---

1) ابن عذاري، المصدر السابق،ج1،ص268؛ النويري، المصدرالسابق،ص111؛

2) تقع على بعد حوالي 12كم شمالي مدينة خنشلةالحالية(هادي إدريس،المرجع السابق،ص ص 82–83)

3) ابن الاثير،المصدر السابق،ج7،ص278؛ابن خلدون،المصدرالسابق،210ج6؛النويري،المصدرالسابق،ج24، 114.

4) ابن الاثير،المصدر السابق،ج7،ص278؛ابن خلدون،المصدر السابق،210ج6؛النويري،المصدرالسابق،ج24، 114

5) دولة بني حمّاد،ص69.

في الصلح، فأكرم المعز، القائد، وأقطعه المسيلة وطبنة ومرسى الدجاج وسوق حمزة وزواوة ومقرة، ثم أعاده الى ابيه في4 رمضان 408ه/24 فيفري1018[1].

وتبعا لذلك اعترف المعز لحمّاد، بحق امتلاك المسيلة وطبنة والزاب وأشير وتهارت، وكل الأعمال التي سيتمكن من فتحها في المغرب الاوسط ، و بذلك انقسمت الدولة الزيرية الى دولتين: دولة أحفاد باديس بن المنصور بن بلكين أصحاب القيروان، ودولة آل حماد بن بلكين أصحاب القلعة.

إقليم الدولة الحمادية

شكّلت المناطق التي نصّ عليها الصلح الذي تم بين الامير الزيري المعز، وعمّ أبيه، حمّاد سنة (408 هـ/ 1018م)، نواة للدّولة الحمّادية،وهي المسيلة وطبنة[2] ومرسى الدجاج[3] وسوق حمزة[4](البويرة)،وزواوة[5]ومقرة[6]والزاب[7]وأشير وتهارت، وسائر المناطق التي سيفتحها حمّاد من المغرب[8]، ومن الثابت أن الدولة الحمادية، بسطت نفوذها على معظم مناطق المغرب الاوسط، الذي كان يمتد حسب أبي الفدا(ت ...هـ/...م) «من شرق وهران عند تلمسان مسيرة يوم في شرقيها الى أخر حدود مملكة بجاية من الشرق»[9]،ويضم حسب الادريسي–المعاصر للدولة الحمادية -مدن

---

1) ابن الاثير، المصدر السابق،ص279؛ابن خلدون، المصدر السابق،ص210؛ النويري،المصدر السابق،ص114.
2) تقع اطلال مدينة طبنة على بعد 4كم جنوبي مدينة بريكة (ادريس هادي،المرجع السابق،ج2،هامش ص90).
3) مدينة تشرف على البحر من ثلاث جهات، يطوقها سورمن الشرق إلى الغرب ميناؤها ضيق وقليل العمق ،بها عيون عذبة، يسكنها قبائل من كتامة وأندلسيون،يقل عددهم في فصل الصيف بسبب هجمات الأساطيل الأجنبية عليها،تنتج أراضها الحنطة وسائر الفواكه وتشتهر أكثر بتينها الذي يصدر الى عدة مناطق ،(البكري، المصدر السابق، ص65؛الادريسي،المصدر السابق،ص259؛الحميري،المصدر السابق،ص539).
4) سوقُ حمزة مدينة كانت،تسكنها صنهاجة تنسب إلى حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب(الحموي ياقوت،معجم البلدان،دار صادر بيروت،ج2،ص302.).
5) تمتد مناطق زواوة حسب ابن خلدون بين بجاية ودلس منحصرة مابين قبيلتي صنهاجة وكتامة(العبر،ج6،ص 169).
6) بينها وبين المسيلة مرحلة،ونفس المسافة تفصلها عن طبنة وهي مدينة صغيرة تسود بها زراعة الحبوب ، والكتان،(الحميري،المصدر السابق،ص556.).
7) منطقة تضم مدن متصلة تمتد على مساحة واسعة،تتوفر على مياه الأنهار والعيون الكثيرة، من مدنه المسيلة ونقاوس وطبنة بسكَرة و تهودة وتوزر وطولقة وقفصة ونفزاوة ونقطة وبادس (الحموي،معجم البلدان،ج3،ص ص123–124؛الحميري،المصدر السابق،ص**281**.).
8) ابن خلدون، المصدر السابق،ج6،ص210؛ النويري،المصدر السابق،ص114.
9) تقويم البلدان،تحقيق دوسلان،(دار صادر بيروت بدون تاريخ)،ص121.

«تنس وبرشك[1] وجزائر بني مزغنة وتدلس[2] وبجاية وجيجل ومليانة والقلعة والمسيلة، والغدير[3]،ومقرة،ونقاوس[4]،وطبنة،وقسنطينة،وتيجس، وباغاية، وتيفاش[5]، ودارمرين ، وبلزمة،ودار ملول، وميلة»[6].

و يلاحظ ان المجال الجغرافي لهذه الدّولة،تأثر بحالة الصراع، الدائر بين الدولة الحمّادية والدولة الزيرية من جهة الشرق ،وبينها وبين الدّولةالمرابطية من جهة الغرب ، فضلا عن الصراع الذي كان دائرا بينها وبين قبائل زناتة ،ففي عهد الأمير بلكين بن محمد(447-454هـ/1055-1062م) إمتد المجال الجغرافي للدولة غربا،ليشمل مدينة فاس[7]،وبلغ في فترة حكم الأمير الحمّادي الخامس، النّاصر بن علناس(454-481هـ /1062-1088م)،أوج اتساعه،حيث ضم مدينة وارقلة في الجنوب ومدن تونس والقيروان و الجريد وصفاقس في الشرق[8]،في حين سجل عهد المنصور بن الناصر (481-488هـ/1081-1104م)،توغل المرابيطين إلى غاية مدينة أشير[9]،اما في عهد العزيز بن المنصور(498-515هـ/1105-1121م)،فقدالحقت جزيرة جربة[10] بدولته.

مثّل تمدد وتقلص إقليم الدولة الحمادية، صعوبة للمؤرخين، في توضيح معالمها الجعرافية، بشكل دقيق ،فعبد الواحد المراكشي(581-647هـ/1185-1250م)، ذكر

---

1) مدينة صغيرة على ضفة البحر تقع بين تنس وشرشال تبعد عن الاولى بستة وثلاثون ميلاً وعن الثانية بعشرين ميلا يحيط تعرضت للغزو النورماني سنة 539هـ /1145م.(الحميري، المصدر السابق88).

2) مدينة ساحلية بين بجاية والجزائر تتميز بوفرة وانخفاض اسعار الفواكه والمواد الغذائية والمواشي من ابقار واغنام(الادريسي،المصدر السابق،ص 259؛الحميري،المصدر السابق،ص 132).

3) مدينة على بعد ثمانية عشر ميلاً من المسيلة و ثمانية أميال من القلعة،و على مرحلتين من طبنة،وهي رخيصة الطعام واللحم فقنطار العنب فيها بدرهم(البكري،المصدر السابق،ص60؛الادريسي،نفس المصدر،ص261)

4) مدينة صغيرة من بلاد الزاب كثيرة الأنهار والثمار والمزارع،بها شجر الجوز،تصدر فواكهها إلى ما جاورها من المناطق (الادريسي،المصدر السابق،ص264؛ الحميري،نفس المصدر،ص 279).

5) تيفست في العصور القديمة،تبسة حاليا(هادي إدريس،المرجع السابق،ص81).

6) نزهة المشتاق في اختراق الافاق،تحقيق حسين مؤنس واخرون(نشرمكتبة الثقافة الدينية بور سعيد،بدون تاريخ)الجزء الاول،ص222.

7) ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص229.

8) ابن خلدون،نفس المصدرص ص 230 231؛بورويبةرشيد،المرجع السابق،ص117.

9) ابن خلدون،نفس المصدر،ص 234.

10) نفسه.

أن بني حمّاد «كانوا يملكون من قسطنطينة المغرب إلى موضع يعرف بسيوسيرات»[1] وهي منطقة سيق حاليا بولاية معسكر،بينما أورد ابن خلدون(732-808هـ/1332-1406م)،أن حمّاد أخضع مناطق تمتد«ما بين جبل أوراس إلى تلمسان وملوية»[2]، وتواصل هذا الاختلاف حول المجال الجغرافي للدولة الحمّادية عند المؤرخين المحدثين، فمنهم من حصرها في مقاطعتي الجزائر وقسنطينة فقط [3]، ومنهم من جعل حدودها تمتد غربا الى مدينة فاس وشرقا الى القيروان وتونس وجزيرة جربة وجنوبا الى منطقة الزاب وورقلة[4]، ومنهم من رسم حدودها في شكل مثلث قاعدته تمتد من بونة شرقا الى واركلة-وارقلة- جنوبا و رأسه يمتد الى سويسرات (السيق) غربا[5]،ومنهم من جعل هذا المجال يمتد من حوض الشلف وتنس غربا والى ما وراء الاوراس وتبسة شرقا والى ماوراء وارقلة جنوبا[6] ومنهم من جعله يضم غالبية الجزء الشمالي للجزائر الحالية[7].

وبالاعتماد على المناطق التي اشار اليها الصلح المبرم بين الأمير الزيري المعز وحمّاد،سنة(408هـ/1018م)،والمناطق التي كان يضمها المغرب الاوسط حسبما اوردها الادريسي،والمدن التي خضعت لنفوذ الحمّاديين لمدة زمنية كبيرة،يمكن حصر معالم الدولة الحمادية،من بونة(عنابة) شرقا،إلى تنس غربا،ومن منطقة الزاب و وارقلة جنوبا،إلى البحرالابيض المتوسط شمالا.

---

1) المعجب في تلخيص اخبار المغرب،تحقيق محمد سعيد العريان،بدون تاريخ،ص437.
2) المقدمة،الجز1،ص158.
3) الجيلالي عبدالرحمان،تاريخ الجزائر العام،الجزء الاول،ص372.
4) الميلي مبارك تاريخ الجزائر في القديم والحديث،المؤسسة الوطنية للكتاب بدون تاريخ،الجزء الثاني،ص ص 234-235.
5) عويس عبد الحليم،دولة بني حماد،ص83.
6) بوعزيز يحي،ملامح عن قلعة بني حمّاد والدولة الحمّادية وبجاية،مجلة الثقافة،الجزائر،العدد36،محرم-ذوالحجة1397/ ديسمبر-جانفي،1977،ص15.
7) عمارةعلاوة،دراسات في التاريخ الوسيط للجزائروالغرب الاسلامي،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية،ص 102.

مدن الدولة الحمادية:

ضمت الدولة الحمادية مدنا[1]، تفاوتت أهميتها تبعا للمراحل التي مرت بها الدولة،ففي مرحلة التأسيس حظيت المدن الداخلية مثل أشير والقلعة والمسيلة وطبنة بمكانة سياسية وإقتصادية وثقافية،أما في مرحلة التحضر والانفتاح والاتساع، انتقلت هذه المكانة إلى المدن الساحلية مثل بجاية[2] وبونة(عنابة) وجزائر بني مزغنة.

مدينة أشير:

تقع اطلال مدينة أشير اليوم عند جبل الكاف الأخضر، على بعد 12كم، شمال شرق عين بوسيف بولايةالمدية، وعلى بعد حوالي150كم جنوب شرق الجزائر العاصمة[3]، أسسها زيري بن مناد سنة 324هـ/936م[4]،ليجعل منها مركز انطلاق قبيلة صنهاجة لبسط نفوذها على المغربين الأدنى و الأوسط[5]،إختارها لموقعها المحصن طبيعيا، فهي «بين جبال محيطة بها دائرة عليها»[6]، قام بلكين-والد حماد-بتوسيعها وبناء سور لها سنة 367هـ- 977م[7]،وشهدت هذه المدينة بداية ظهورحمّاد على مسرح الحياة السياسية،إذ تولى إدارة شؤونها في عهد أخيه المنصور(373هـ/984-996 م)، وفي عهد إبن أخيه باديس بن المنصور(386- 406هـ/996-1016م)[8]، مما أكسبه خبرة إدارية وسياسية، شكلت رصيدا هاما له أثناء سعيه لتأسيس دولة مستقلة،وكانت

---

1) انطر الخريطة,ص17.
2) عويس عبدالحليم،المرجع السابق،ص99.
3) George marçais,revue africain,alger1922,volume63,page22 ;
الجيلالي عبدالرحمان،تاريخ الجزائرالعام،دار مكتبة الحياة بيروت ،ط2، 138هـ/1965م،ج1،ص291؛بورويبة رشيد، الدولةالحمادية،ص9.
4) النويري، نهاية الارب ،ج24، ص،88؛الحموي ياقوت ،معجم البلدان، دار صادر بيروت بدون تاريخ، الجزء الاول، ص203.
5) العربي اسماعيل ،بني حماد ملوك القلعة وبجاية ، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع 1984،ص73.
6) البكري ابو عبيد،المغرب في ذكر افريقيا والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك،(دار الكتاب الاسلامي بدون تاريخ)،ص60.
7) نفسه.
8) ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص227.

تتوفرعلى« سوق يوم معروف »[1]،واليها ينسب عدد من علماء الدولة الحمّادية.

قلعة بني حماد:

تقع أثار مدينة القلعة اليوم في جبل المعاضيد الذي يبعد على نحو وعلى نحو 36كم، شمال شرق المسيلة،و على نحو 31كم، جنوب برج بوعريريج، ،وعلى نحو15 كم شرقي برج غدير[2]،اسسها حمّاد بن بلكين اثناء سعيه للانفصال عن الدولة الزيرية سنة(398 هــ/1007-1008م)[3]،وجعلها عاصمة لدولته المستقلة.

بنيت القلعة على منحدروعر فوق سفوح جبل تاقربست [4]،أختير موقعها الحصين لللإمتناع عن الاعداء[5]،مثلما أثبتته الأحداث ،حيث تمكن حمّاد من هذا الموقع الصمود في وجه الحصار الذي فرضه عليه باديس بن المنصور،لمدة ستة اشهر سنة406هــ/1015 م[6]، وكذا صمود القائد بن حمّاد، في وجه الحصار الذي فرضه عليه المعز بن باديس سنة 432هــ/1040-1041م و لمدة سنتين[7]،وكان من دواعي هذا الاختيار كذلك، الحرص على الإستفادة من الإمكانيات الزراعية للمناطق المجاورة لها التي تنتج الحنطة والشعير وانواع من الفواكه،وتربية المواشي،حيث ذكر الادريسي ان «الحنطة تختزن بها فتبقى العام والعامين لا يدخلها الفساد ولا يعتريها تغيير وبها من الفواكه المأكولة والنعم المنتجة ما يلحقه الإنسان بالثمن اليسير ولحومها كثيرة وبلادها وجميع ما ينضاف إليها تصلح فيها السوائم والدواب لأنها بلاد زرع وخصب وفلاحتهم إذا كثرت أغنت وإذا قلت كفت فأهلها أبد الدهر شباع »[8] ومالبثت القلعة أن

---

1) الادريسي،المصدر السابق،ص**254**؛ الحميري عبدالمنعم، الروض المعطار في اخبار الاقطار،تحقيق احسان عباس، مكتبة لبنان ، 1984 ،ص ص 97 98.

2) عبدالرحمان الجيلالي،المرجع السابق،ج1،ص235.

3) ابن خلدون،المصدر السابق،ص227.

4) الادريسي،المصدرالسابق،ص255؛العربي اسماعيل،بني حمادملوك القلعةوبجاية،المؤسسة الوطنية للنشروالتوزيع 1984،ص119.

5) الحموي ياقوت ،المصدر السابق،ج4،ص390.

6) النويري،المصدر السابق، ج24،ص109.

7) ابن عذاري المصدرالسابق،ج1،ص275؛ابن الاثير،المصدرالسابق،ص29؛النويري،المصدرالسابق،ج24،ص 116.

8) المصدر السابق،ص**261**.

شهدت ازدهارا عمرانيا وتجاريا وثقافيا،مستفيدة من تراجع مكانة القيروان في اعقاب الهجرة الهلالية،اذ هجر إليها الكثير من العلماء والفنانون والأعيان طلبا للأمن والإستقرار، وأصبحت مقصدالتجارمن العراق والحجاز والشام ومصر وسائربلاد المغرب[1] شيدت بها المباني والقصورمثل قصر الملك والمنار والكوكب و السلام [2]، واشتهرت بها صناعة المنسوجات الصوفية المطرزة بالذهب[3].

بجاية:

تقع بجاية بالقرب من مصب نهر الصومام،المعروف في العصرالوسيط،بالنهر الكبير، في منتصف سواحل الجزائر[4]،اختطهاالناصربن علناس سنة 457هـ 1069/م[5] على انقاض مدينة سالداي القديمة[6] التي كانت عبارة عن ميناء صغير يسكنه أندلسيون[7]، وانتقل اليها سنة (461هـ/1073م)[8]،وكان وراء تاسيس الناصر لهذه المدينة عدة دوافع، منها نصيحة محمد بن البعبع، مبعوث الامير الزيري تميم بن المعز، إلى الامير الحمّادي الناصر بن علناس، والذي عوض ان يلتزم بمهمة عقد صلح بين الاميرين الصنهاجيين بعد هزيمة الجيش الحمّادي على يد الجيش الزيري المتحالف مع عرب بني

---

1) البكري،المصدر السابق،ص49؛موريس لمبارد،الاسلام في مجده الاول من القرن2الى القرن5هـ(القرن8-11م)،تر اسماعيل العربي(منشورات دارالافاق الجديدة المغرب)بدون تاريخ ص108؛جورج مارسي،بلاد المغربوعلاقاتها بالمشرق الاسلامي في العصور الوسطى،تر محمود عبد الصمد هيكل،(منشاة المعرفةالاسكندرية،1999)،ص ص 227 - 228.

2) ابن خلدون نالمصدر السابق، ج6، ص232.

3) الحموي ياقوت،المصدر السابق،ج4،ص390.

4) برنشفيك روبار،تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن13 إلى نهاية القرن15،تر حمادي الساحلي(دار الغرب الاسلامي، بيروت،1988)،ج1،ص410؛العربي اسماعيل،المرجع السابق،ص183.

5) الحموي،المصدر السابق،ج1،ص339؛ابن الاثيرالمصدر السابق،ج8،ص ص102-103؛النويري، المصدرالسابق، ج 24،ص ص124-125؛هادي ادريس، المرجع السابق،ج1،ص315؛عويس، المرجع السابق،ص ص100-101؛ بورويبة رشيد،المرجع السابق،ص ص67-68.

6) هادي روجي ادريس،المرجع السابق،ص107؛جورج مارسي،المرجع السابق،ص229.

7) البكري،المصدر السابق،ص82.

8) ذكر ابن خلدون ان الناصر بن علناس لما إختطها سماها الناصرية وهي عند الناس تسمى باسم القبيلةوهى بجاية (ابن خلدون،المصدر السابق،ص232 .)

هلال في معركة سبيبة بين تبسة والقيروان،سنة 457هـ/1064م[1]، قال للناصر« أنا أشير عليك بما تملك به المهدية وغيرها. وذكر له عمارة بجاية،وأشار عليه أن يتخذها دار ملك، ويقرب من بلاد إفريقية، وقال له:أنا أنتقل إليك بأهلي،وأدبردولتك، فأجابه الناصرإلى ذلك...فلما وصل الناصر والرسول إلى بجاية أراه موضع الميناء والبلد والدار السلطانية،وغيرذلك،فأمر الناصرمن ساعته بالبناء والعمل،وسربذلك،وشكره» [2]،وكذلك تطلعه الى وضع حاجز طبيعي ،بينه وبين عرب بني هلال الذين تزايد نفوذهم وتوغلهم في المغرب الاوسط مثلما اشار الى ذلك صاحب كتايب العبر «فرارا من ضيم هذا الجيل وفسادهم بالضواحي إلى منعة الجبال وتوعرمسالكها»[3]، وكذلك رغبة منه في اعطاء نفس جديد لإمارته بالانفتاح اكثر على البحر للاستفادة من تجارة المواصلات البحرية من جهة، وبناء قوة عسكرية بحرية من جهة أخرى[4].

شيدت بها القصور البديعة والفخمة مثل قصر اللؤلؤ و الكوكب و أميمون[4]،التي قال عنها صاحب الاستبصار،«لم ير الراؤون أحسن منها بناء،ولا انزه منها موضعا،فيها طاقات مشرفة على البحر عليها شبابيك الحديد والابواب المخرمة المحنية ، والمجالس المقرّصة المبنية حيطانها بالرخام الأبيض من أعلاها إلى أسفلها ،وقد نقشت أحسن نقش وأنزلت بالذهب واللازورد،وقد كتبت فيها الكتابات المحسنة،وصورت فيها الصور الحسنة،فجاءت من احسن القصورواتمها منتزها وجمالا »[5]،ومثلت هذه القصور مصدر الهام للشعراء.

---

1) ابن عذارى،المصدر السابق،ج1،ص399؛ابن الأثير،المصدر السابق،ج8،ص101؛ابن خلدون،المصدر السابق230؛ النويري، المصدر السابق،ج24،ص 12؛ ؛بوروبة رشيد،المرجع السابق،ص63؛ ادريس روجي هادي،المرجع السابق،ج1،ص308.

2) ابن الاثير،المصدر السابق،ج8،ص102؛النوير،المصدر السابق، ج 24،ص 124 .

3) ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص27.

4) اسماعيل العربي ،بني حماد ملوك القلعة وبجاية،المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع 1984،ص189.

5) ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص232؛برنشفيك المرجع السابق،ج1،ص312؛ هادي روجي إدريس،المرجع السابق،ج2،ص ص 108-109.

6) مؤلف مجهول،الاستبصار في عجائب الامصار،ص130.

كما شهدت بجاية تطورا إقتصاديا شمل النواحي الزراعية والصناعية والتجارية ، حيث كانت تنتج بوفرة الحنطة والشعير والتين وسائر الفواكه،وتوفرت على مواد أولية كالخشب والزفت البالغ الجودة والقطران و الحديد، سمحت بوجود ورشات صناعة بناء السفن، وانشاء الأساطيل، فضلا عن صناعات أخرى متنوعة، وتميزت بتبادل تجاري حيوي مع عدة مناطق، حيث كانت «السفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة والأمتعة إليها براً وبحراً مجلوبة، والبضائع بها نافقة، وأهلها مياسير تجار وبها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد، وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق وبها تحل الشدود وتباع البضائع بالأموال المقنطرة»[1] ،ولها ميناء ترسو به السفن «من اقصى بلاد الروم وسفن المسلمين من الاسكندرية بطرف مصر،وبلاد اليمن،والهند،والصين،وغيرها»[2].

أما من الناحية الثقافية فإن بجاية كان تذكر مقترنة مع عواصم الفكر والثقافة المنتشرة في العالم الاسلامي،مثل بغداد والقاهرة وفاس ومراكش والمهدية وسبتة[3]، وذلك بفضل تشجيع الامراء لتحصيل العلم والمعرفة،مثل الناصر بن علناس الذي اسس جامعة "سيدي التواتي" التي بلغ عدد طلبتها ثلاثة آلاف طالب وكانت تدرس بها عدة علوم،وكان مرخصا بها للفتيات ليس التعلم فقط بل تقديم محاضرات كان يحاضر بهذه الجامعة علماء من الاندلس والمشرق [4]، وكان المنصور بن الناصر«يكتب ويشعر»[5]، ويستقبل في بلاطه الشعراء منهم الشاعر ذائع الصيت عبدالجبار بن حمديس [6]،اما العزيز بن المنصور فكان شغوفا بحضور مجالس المناظرة بين العلماء[7]،ومما يؤكد المكانة العلمية لمدينة بجاية،هو توجه غير المسلمين إليها وطلبهم العلم في مدارسها ،

---

1) **الادريسي،المصدر السابق،ص ص** 260 261؛**الحميري،المصدر السابق،ص ص**80 81.
2) **مؤلف مجهول،الاستبصار في عجائب الامصار،ص**130.
3) **عويس عبدالحليم،المرجع السابق،ص249.**
4) **نفس المرجع،ص254.**
5) **ابن الخطيب ،المصدر السابق، ص97.**
6) **بورويبة رشيد،المرجع السابق،ص176.**
7) **عويس عبدالحليم ،المرجع السابق،ص ص263–264؛الخالدي عبدالحميد،رسالة دكتوراة (العلاقات الثقافية بين المغرب والمشرق من قيام الدولة العبيدية الى نهاية الدولة الحمادية)ص191،**

فعنها أخذ الاوروبيون الأرقام العربية والجبر والهندسة[1] ، وغدت بجاية مركزا فكري يستقطب العلماء وتدرس بها شتى انواع العلوم ،حيث ذكر الغبريني(644-714هـ) صاحب كتاب(عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية) على لسان ابي علي المسيلي(ت580هـ/1184م) «ادركت ببجاية ماينيف عن تسعين مفتيا ما منهم من يعرفني،واذا كان المفتون تسعين فكم يكون من المحدثين والنحاة والادباء وغيرهم...لقد كان الناس على اجتهاد،وكان الامراء لاهل العلم على ما يراد»[2]

بونة(عنابة) :

كانت في العهد الحمادي تتالف من مدينتنين، مدينة سيبوس تسمّى مدينة زاوي، ومدينة حديثة احيطت بسور بعد 450سنة(هـ/1058-1059م) [3]،وتسمى كذلك مدينة العنّاب لكثرة العنّاب بها،تنتشر حولها منطقة خصبة تسكنها قبائل بربرية من مصمودة وَأَوْربة، تنتج القمح والشعير والكتان والعسل والسمن وعدة انواع من الفواكه، ويشتغل أهلها بتربية الابقار، و صيد الأسماك واستغلال الأخشاب ويقع بجنبيها جبل إيدوغ الغني بمعدن الحديد[4]، أكثر تجّارها أندلسيّون،توفر لخزينة الدولة جباية قدرها عشرون ألف دينار[5]، وكانت سفنها المصنوعة محليا تشن الغارات على سواحل جزيرتي سردانية وكورسيكا[6]،وشهدت المدينة محاولة زيرية لانتزاعها من الدولة الحمادية حينما أرسل الامير الزيري تميم بن المعز إبنه أبا الفتوح بن تميم لتولى شؤون المدينة، مستغلا التمرد الذي قام به والي الحماديين-أبا يكنى-سنة 487هـ /1094م،لكن الاميرالحمادي المنصور بن الناصر تمكن من إسترجاعها بعد أن أرسل جيشا حاصرها مدة سبعة أشهر،و تمكن من القبض على أبي الفتوح بن تميم الذي سجن بالقلعة فيما بعد[7].

---

1) عويس عبدالحليم،المرجع السابق،ص249.
2) الغبريني(ابوالعباساحمد بن احمدبن عبدالله)،عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق عادل نويهض،منشورات دار الافاق الجديدة بيروت،ط2، 1979 ص55.
3) البكري، المصدر السابق،ص55.
4) الادريسي،المصدر السابق ،ص291 ؛ الحميري،المصدر السابق،ص 115.
5) البكري،نفس المصدر،ص55.
6) هادي وجي ادريس،المرجع السابق،ص101.
7) ابن خلدون،المصدر السابق،ص ص 232-233.

جيجل:

مدينة قديمة و صغيرة،يحيط البحر بسورها، حسنة المنظر، شيّد بها الامير الحمادي يحي بن العزيز قصرا للنزهة، حطّمه النورمان لما هاجموا المدينة سنة 537هـ/1143م[1]، تنتج فواكه متنوعة لاسيما التفاح والعنب،الذي يصدّر إلى بجاية، وتنتج الألبان والسمن والعسل ومحاصيل متنوعة، وساحلها غني بالثروة السمكية، وعلى نحو ميل منها يمتد الجبل الذي احتضن الداعي أبي عبد الله في بداية دعوته للفاطميين، ولها مرسيان: مرسى صعب لا يدخل اليه إلا بدليل حاذق، ومرسى هادىء الحركة كالحوض لكنه صغير لا يحتمل الكثير من المراكب،وشيد اهلها في اعالي الجبل مدينةحصينة، يلجأون اليها في فصل الصيف الذي يشهد تزايد الحملات النورمانية[2] .

جزائر بني مزغنة:

هي احدى المدن الثلاث التي أعاد بلكين بن زيري–والد حمّاد– بناءها مع مدينتي مليانة والمدية[3]، وهي مدينة قديمة تحتوي على معالم أثرية كثيرة ومتنوعة[4]،ذات كثافة سكانية مرتفعة ،لها أسواق نافقة، ومسجد جامع، ميناؤها محميٌ، مزوّد بالمياه من عيون عذبة، يقصدها البحارة من إفريقية والأندلس وغيرهما، تنتج الحنطة والشعير والعسل والسمن بما يفوق الاستهلاك المحلي، وتربّى بها الابقار والاغنام، ويتصل بجزائر بني مزغنى سهل متيجة الخصب الذي تشقه انهار، وتنتشر به قرى آهلة بالسكان[5].

قسنطينة:

مدينة كبيرة آهلة بالسكان،تمتد فوق جبل صخري، أكسبها حصانة طبيعية[6]، قراها كثيرة الخصب، بساتينها تنتج الفواكه بكثرة ،تعد مستودعا للحبوب، حيث تخزن

---

1) ابن الاثير،المصدر السابق،ج9،ص6.
2) الادريسي،نفس المرجع ص ص 268 269؛الحميري نفس المصدر،ص 184.
3) ابن خلدون،المصدر السابق،ص204.
4) البكري،المصدر السابق،ص66؛صاحب الاستبصار،المصدر السابق،ص132؛ الحميري،المصدر السابق،ص163.
5) الادريسي،المصدر السابق،ص258 ؛ الحميري،نفس المصدر،ص 163.
6) البكري،نفس المصدر،ص63.

في مطاميرها الحنطة مائة سنة لا تفسد، وتنتج العسل والسمن ما يفيض على حاجة السكان،أهلها مياسير ذوو أموال، وبها أسواق ،أسعار بضائعها في متناول الجميع [1]، أقرب مرسى لها، مرسى القل[2].

المسيلة:

تقع شمال غربي منخفض الحضنة، على نهر سهر، تمثل قاعدة اقليم الزاب،سميت بالمحمدية نسبة لمؤسسها أبو القاسم محمد بن عبيد الله الشيعي سنة313هـ/925م[8]، أسندت إدارتها إلى بني حمدون الذين شيدوا بها قصورا ضخمة خلد ذكرها مادحهم ابن هانىء في عدة قصائد[1]، مثلت للحماديين مرتكزا للتزود بالمواد لما كانت تنتجه مزارعها الفسيحة من البقول والقطن والقمح والشعيرو التمور وسائر الفواكه، وتربية الخيول والأغنام والأبقار، و«بها سمك به طرق حمر لم يرفي الدنيا سمك على صفته، وأهل المسيلة يفتخرون به ، قدره من الشبر فما دونه ويحمل منه الى مدينة القلعة التي تبعد عنها باثنى عشر ميلا»[2].

---

1) الادريسي،المصدر السابق،ص265.
2) الحميري،المصدر السابق،ص ص380 -381.
3) البكري،المصدر السابق،ص59؛مؤلف مجهول،الاستبصارفي عجائب الامصار،ص112؛الحميري،المصدر السابق،ص 558.
4) ابن خلدون،المصدر السابق، ج4،ص ص 107-108.
5) الادريسي، المصدر السابق،ص254 ؛الحميري،المصدر السابق،ص558.

التطور السياسي للدولة الحمادية

دامت الدولة الحمّادية من معاهدة إعتراف الزيريين بها سنة(408هـ/1017م)، إلى سقوطها على يد الموحدين سنة(547هـ/1152م) ، مائة وخمسة وثلاثون سنة سنة،تعاقب على حكمها تسعة أمراء.

مرحلة التأسيس

شملت هذه المرحلة تعاقب أربعة امراء [1]، سعى كل واحد منهم إلى ارساء دعائم الإستقرار الداخلي، والتصدي للاخطار الخارجية المحدقة بالدّولة ، لاسيما الخطرين الزيري، والزناتي،المتربصين بها بشكل مستمر.

فبعد ان تحصل حمّاد على اعتراف الدّولة الزيرية بدولته الفتية سنة(408 هـ/1017م)، تفرغ للاهتمام بعاصمته القلعة،وسعى الى جعلها قطبا عمرانيا وإقتصاديا وفكريا،حيث شيّد بها القصورالعالية،والمساجد الجامعة والبساتين الأنيقة[3]،وأصبحت مقصد طلبة العلم، وأصحاب الحرف، والتجار[4]،كما تطلع إلى كسب ود جيرانه وابناء عمومته الزيريين بمصاهرتهم وذلك بزواج إبنه عبد الله بن حمّاد من ام العلو، اخت المعز، سنة 415هـ /1024م [5]، وقضى شيخوخته في سلم وهدوء إلى ان وافاه اجله سنة1029/419[6] بتازمرت[7].

ولمّا تولى ابنه القائد شؤون الدولة و لمدة سبعة وعشرون سنة[8] ،سعى إلى تدعيم أركانها على ضوء الخبرة التي إكتسبها في عهد والده، فإستعان بأخويه يوسف

---

1) **هم: حماد بن بلكين(408 -419هـ /1017-1028 م)،والقائد بن حماد(419-446هـ / 1028-1054 م)، ومحسن بن القائد (446-447هـ / 1054-1055 م)، وبلكين بن محمد(447- 454 هـ/1055-1062 م).**
2) **وهم:المنصور بن الناصر(481-498 هـ/ 1088-1104 م) وباديس بن المنصور(498-500 هـ /1104-1106 م) والعزيز بن المنصور (500-515 هـ /1106/1121 م)**
3) **ابن الخطيب،المصدر السابقً، ج3،ص86؛ عويس عبدالحليم،المرجع السابق،ص113.**
4) **ابن خلدون،نفس المصدر،ص227.**
5) **ابن عذاري،المصدر السابق،ص ص272- 273.**
6) **ابن خلدون,العبر،ج6,ص229؛ابن الخطيب،أعمال الأعلام،ج3،ص86.**
7) **قد تكون تزملت الحالية التي تقع على بعد30كم جنوب غربي بجايةوعلى مسافة 8كم من بني منصور(هادي ادريس روجي،المرجع السابق،ج1،ص194 هامش26.).**

و ويغلان في إدارة بعض الأقاليم[1]،وتصدى بذكاء،للهجوم الزناتي، الذي شنّه عليه حمامة ابن زيري المغراوي،سنة (430هــ-1039م)،بحيث تمكّن من استمالة بعض المغرواويين الى صفه بتسريب مبالغ مالية في أوساطهم، مما اضطر ملك فاس الى طلب الصلح والدخول في طاعته[2]،وتمكّن من تجاوز الحصار الذي فرضه عليه الامير الزيري المعز بن باديس سنة 43هــ/1040-1041م، لمدة سنتين[3]،وفي الوقت الذي كان فيه الزيريون يدفعون ثمن قطيعتهم مع الفاطميين[4]، على يد العرب الهلاليين[5]، بعد هزيمتهم المنكرة في معركة حيدران سنة(443هــ/ 1051م)[6]، أعلن القائد ولاءه لحكام القاهرة،ونال منهم لقب شرف الدولة[7]،تأكيدا منه لإستقلالية السياسة الخارجية لدولته

---

1) عيّن القائد اخاه يوسف واليا على المغرب-الجهة الغربية للدولة- واخيه ويغلان واليا على حمزة (ابن خلدون،المصدر السابق، ج6،ص229.).
2) ابن خلدون،نفس المصدر،ج6،ص229.
3) ابن عذاري المصدر السابق،ج1،ص275؛ابن الاثير،المصدر السابق،ص29؛النويري،المصدر السابق، ج24، ص 116؛عويس عبدالحليم،المرجع السابق، ص 116؛خضيري حسن احمد،علاقات الفاطميين في مصربدول المغرب (362-567هــ/973-1171)،مكتبة مدبولي القاهرة بدون تاريخ ،الطبعة الاولى،ص78.
4) أجمعت عدة مصادر انّ قطيعة الزيريين مع الفاطميين تمت في سنة435هــ/1043-1044م (ابن الاثير،المصدر السابق،ج7،ص39؛النويري،المصدرالسابق،ج24،ص 116؛ابن ابي دينارمحمد بن ابي القاسم الرعيني القيرواني،المؤنس في اخبار افريقية وتونس،مطبعة الدولة التونسية، الطبعة الاولى 1286 هــ، ،ص 81؛ابن خلكان، المصدر السابق،ص ص229-230؛اما ابن عذاري فذكر في البيان تاريخين لهذه القطيعة، الاول سنة 433هــ/1042م والثاني سنة440هــ/1048م،(ابن عذاري،المصدر السابق،ص257؛و ذكر ابن خلدون هو الاخر تاريخين،الاول في سنة337هــ/1045م (ابن خلدون،المصدر السابق،ص 19)والثاني في سنة (440هــ/1048 م (ابن خلدون، المصدر السابق،ص 229)؛للمزيدعن هذا الاختلاف في التواريخ انظر هادي،روجي ادريس،المرجع السابق،ج1، ص ص 221-22؛جورج مارسي،المرجع السابق،ص194 .
5) ارسل الخليفة الفاطمي المستنصر وزيره اليازوري الى هؤلاء العرب سنة 441هــ/1051م واجزل العطاء لامرائهم ومنح لكل واحد من عامتهم بعيرا ودينارا وأباح لهم عبور النيل وقال لهم« قد أعطيتكم المغرب وملك المعز الصنهاجى العبد الآبق فلا تفتقرون» (ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص20).
6) ابن عذاري،المصدر السابق،ص ص 289 290؛ابن الاثير،المصدر السابق،ص ص 55-56؛ابن خلدون المصدر السابق، ص 211؛ النويري المصدرالسابق،ص ص119 120؛ ادريس روجي ، المرجع السابق،ج1،ص ص 256-257؛جورج مارسي،بلاد المغرب وعلافاتها بالمشرق الاسلامي في العصور الوسطى، ترمحمد عبدالصمد هيكل،(توزيع منشاة المعارف بالاسكندرية1991)،ص222.
7) ابن خلدون المصدرالسابق،ج6،ص229؛بونار رابح،المرجع السابق،ص208.

عن الزيريين[1].

إن سياسة القائد وحنكته في درء الاخطار المحدقة بدولته جعلت ابن الخطيب يصفه بسداد الراي وعلو الشان[2]،ولعل حزمه في إدارة شؤون الدولة جلبت له نعت الجبارعلى حد تعبير ابن خلدون[3]، فعاش بقية أيامه مطمئنا على مصيردولته، إلى أن توفي سنة446 هـ/1054م[4]، وكانت مدة حكمه سبعة وعشرون سنة[5].

تولى امور الدولة بعد ذلك محسن بن القائد ، الذي لم يحكم سوى ثمانية اشهر وثلاثة وعشرين يوما[6]، خالف وصية والده الذي أوصاه بأن لايخرج من القلعة إلا بعد مضي ثلاث سنوات[7]،وأن يحسن إلى أعمامه[8]،ثار عليه عمّه يوسف بن حمّاد،الذي هاجم مدينة أشير«وإستباح أموالها وفضح حرمها»[9]، فزاد حنق محسن، فقتل أربعة من أعمامه- مديني ومناد و ويغلان وتميم-[10]، وحاول اغتيال إبن عمّه بلكين بن محمد،بواسطة بعض أمراء العرب- خليفة بن بكير وعطية الشريف- اثناء تكلّيفه ،بمهمة اخماد ثورة عمهما يوسف بن حمّاد[11]،لكن حسن معاملة بلكين بن محمد لمرافِقَيْه،دفعتهما إلى إفشاء أسرار المؤامرة، فإنقلب الجميع على محسن،الذي لمّا علم « بذلك وكان قد فارق القلعة عاد هارباً إليها، فأدركه بلكين فقتله،وملك القلعة وولي الأمر»[12]، وكان ذلك في في ربيع الاول سنة447هـ/جوان 1055م.

---

1) عويس عبدالحليم،المرجع السابق،ص116.
2) اعمال الاعلام،ج3،ص86.
3) العبر،ج6،ص229.
4) ابن الاثير،المصدر السابق،ص 68؛ابن الخطيب،المصدرالسابق،ج3، ص87؛ابن خلدون المصدرالسابق،ج6، ص229؛ النويري، المصدرالسابق، ج24،ص117 .
5) ابن الخطيب،المصدر السابق،ج3،ص86.
6) ابن الخطيب،نفس المصدر،ص87.
7) نفسه.
8) ابن الاثير، المصدر السابق،ج8،ص68.
9) البكري،المصدر السابق،ص60.
10) النويري،المصدرالسابق،ج24،ص117؛هادي روجي ادريس،المرجع السابق،ج1،ص286.
11) ابن خلدون المصدر السابق،ج6،ص229.
12) ابن الاثير، المصدرالسابق،ج8،ص68.

وبتولى بلكين بن محمد الحكم ، انتقل أمر الدولة الحمّادية من أبناء القائد بن حمّاد الى محمد بن حمّاد،دامت فترة حكمه سبع سنوات (447-454هـ /1055 - 1062م)، أكمل خلالها تدعيم أسس الدولة،واكّد استقلاليتها، وتميزها،في التعامل مع الاحداث الهامة، التي تزامنت مع فترة حكمه[1].

رحّب بوجود مبعوث العباسيين أبي الفضل عبد الواحد البغدادي، في دولته، لمّا نبذه الزيريون إثر عودتهم إلى طاعة الفاطميين سنة 446هـ/1054 ،وكان يصطحبه معه في غزواته المتكررة[2]،في خطوة أراد بواسطتها تاكيد استقلالية الدولة الحمّادية عن الدولة الزيرية.

ولما توغلت قبائل بني هلال في المغرب الأوسط، على حساب الزناتيين سنة450 هـ/1059م [3]، **فضّل بلكين بن محمد عدم الاصطدام معها،وسعى الى توظيفها بما يخدم مصلحة الدولة، حيث استعان بها لهزم خصومه الزناتيين، في نفس السنة [4]، كما أرسل قائده، خلف بن أبى حديره، لإخماد الثورة التي قادها جعفر بن ابي رمان[5] في بسكرة فاستولى عليها ونقل سكانها الى القلعة حتى يجعلهم« عظة لمن بعدهم»[6]، واسند إدارة المدينة إلى عائلة بني سندي التي ستصبح من أوفى حلفاء الدولة**

---

1) **تزامنت فترة حكمه بوجود تطورات هامة على جانبي الدولة الحمادية، فعلى الجهة الشرقية، إستمر بنو هلال في التوغل في عمق الدولة الزيرية حيث قسمت« بلاد افريقية سنة ست وأربعين وكان لزغبة طرابلس وما يليها ،ولمرداس بن رياح باجة وما يليها ثم اقتسموا البلاد ثانية فكان لهلال من تونس إلى الغرب وهم رياح وزغبة والمعقل وجشم وقرة والاثيج والخلط وسفيان، وتصرم الملك من يد المعز»(ابن خلدون، المصدر السابق،ص21-22)، وعرفت الجهة الغربية، تعاظم قوة المرابطين الذين انتقلوا من الصحراء نحو المغرب الاقصى سنة448 هـ /1056م على حساب الزناتيين ، (ابن عذاري،المصدر السابق،ج3،ص243.).**
2) **ابن بسام(ابوالحسن علي الشنتريني)،الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة،تحقيق،احسان عباس دارالثقافة،بيروت، 1417هـ/ 1997م،المجلد الرابع،الجزءالأول، ص89؛ هادي روجي ادريس، المرجع السابق،ج1،ص290، بوروبةرشيد،المرجع السابق،ص 55.**
3) **ابن خلدون، المصدر السابق،ج7،ص61؛هادي روجي ادريس، المرجع السابق،ج1،ص289**
4) **ابن عذارى،المصدر السابق،ج1،ص194؛النويري،المصدر السابق،ص121.**
5) **كانت اسرة بني رمان تحكم بسكرة وكانت تتميز بكثرة اتباعها وممتلكاتها العقارية بضواحي المدينة(ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص585)؛ وكلمة رمان يمكن ان تقرا رومان من ذرية اللاتينيين الذين مكثوا بافريقية،(إدريس روجي هادي،المرجع السابق، هامش ص 288).**
6) **ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص585.**

الحمادية[1].

ولتأمين الجبهة الغربية من الخطر الزناتي والمرابطي المزدوج ،كان بلكين « كثيرا ما يردد الغزو إلى المغرب »[1]،ففي سنة 454هـ /1063م ،قاد حملة عسكرية نحو المغرب[2]،حيث نجح في تشتيت المرابطين إلى الصحراء وإخافة زعيمهم يوسف بن تاشفين[3]،وبلغ مدينة فاس، واخذ بعض أعيانها رهائن لضمان استمرار خضوعها لطاعته[4].

قد تكون الطريقة التي أدار بها شؤون الدولة الداخلية، و أساليبه المتنوعة في حمايتها من الاخطار الخارجية، جعلت المؤرخين يصفونه بالشهامة والحزم[5]، اضافة الى الجراة على اقتحام الاهوال[6]اذ وصفه ابن يسام ت.......بانه كان "لا يملأ يده إلا من لبدة أسد، ولا يسرح لحظه إلا في نهاب بلد مضطهد، ولا يراح إلا وبحر الموت يلتطم، ولا يكلم إلا حين يبتسم ... وطئ الدول، ودوخ السهل والجبل»[7]،

وكانت نهاية بلكين على يد ابن عمّه النّاصر بن علناس، الذي قتله انتقاما لأخته تانيمرت، التي لقيت مصرعها على يده لانه اتهمها بقتل شقيقه مقاتل[8]،وكان ذلك بتسالة اثناء عودته من غزوة فاس ،سنة454هـ/1063م[9].

---

1) ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص 229.
2) ابن عذاري،المصدر السابق،ج1،ص255.
3) ابن الخطيب،المصدر السابق،ص88؛ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص229.
4) ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص229.
5) ابن خلدون، المصدر السابق،ص229.
6) ابن الخطيب،المصدر السابق،ص87.
7) ابن بسام،المصدر السابق،القسم الأول، المجلد الأول،ص ص 188- 189.
8) وصف ابن بسّام مقتل محمد بن بلكين على يد ابن عمه الناصر بن علناس، قائلا «لقيه كأنه يسلم عليه، أو يسير بين يديه، فما راجعه الكلام، إلا وقد جلله الحسام، وأراح منه البلاد والأنام؛ ثم قام مقامه، واستظل أعلامه فقال: أنتم تعلمون أن بلقين قتل أختي، وفجعني بأكرم حرمتي؛ وإنما شفيت صدري، وأخذت بوتري، وظنوا أنه لم يجسر على ما فعل إلا وله أشياع، وأهمه ما هو فيه؛ وأمر لحينه بخزائن بلقين فأنهبها ذؤبان المراحل، ويعتسف المجاهل، فسبق الأخبار إلى القلعة فوطئ الحريم، وتملك الظاعن والمقيم » (الذخيرة في محاسن الجزيرة، المجلد الاول، الجزء الأول، ص 190 191.)
9) ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص229.

الانتقال من القلعة الى بجاية

شكّل عهد الامير الخامس الناصر بن علناس(454-481 هـ/1062-1088م) ، همزة وصل بين المرحلتين، السابقة واللاحقة،ففي عهده تم تاسيس مدينة بجاية التي سوف تفتح افاق جديدة للدولة الحمّادية في حوض البحر الابيض المتوسط، بعد التراجع الذي سجلته العاصمة الاولى القلعة، بسبب تاثيرات الهجرة الهلالية .

ارتقى الناصر بن علناس حكم الدولة سنة454 هـ/1062م، وعلى يديه انتقلت سلطة الدولة الحمّادية، إلى الابن الثالث من ابناء حمّاد وهو علناس (عالي الناس/اعلى الناس /علاء الناس)، بعد القائد ومحمد،وظل الحكم في هذا الفرع إلى غاية اندثارها، ويعد النّاصر ثاني اهم امير في الدولة الحمادية بعد مؤسسها حمّاد،نظرا لما شهدته الدولة في عهده من تماسك داخلي وتوسع جغرافي، وتفوق حضاري.

فمن الناحية الداخلية اهتم بتنظيم شؤون الدولة الإدارية،و أسند حكم بعض الولايات إلى المقربين من إخوته،وابنائه حيث«عقد على المغرب لأخيه كباب،وأنزله مليانة وعلى حمزة لأخيه رومان، وعلى نقاوس لأخيه خزر... وعقد على قسنطينة لأخيه بلباز وعلى الجزائر ومرسى الدجاج لابنه عبد الله، وعلى أشير لابنه يوسف» [1]،كما بذل جهدا معتبرا في إرساء الأمن و الاستقرار، في ارجاء اقاليم الدولة،حيث اخمّد بكل قوة التمرد الذي قام به اهل بسكرة[2]،واحبّط محاولة علي بن ركان في الاستيلاء على القلعة[3].

كما سعى الناصر،وبكل الطرق السلمية والعسكرية،إلى توسيع نفوذ دولته،على حساب جيرانه الزيريين،الذين اصبحوا بعد هجرة بني هلال،شبه محاصرين في مدينة المهدية،فلم يبق لهم في عهد تميم بن المعز«الاّما ضمه السور» [4].

اذ انضم إلى الدولة الحمّادية، عدد من رؤساء القبائل، منهم حمو بن مليل البرغواطى، من صفاقس،الذي وجّه رسالة مبايعة مصحوبة بهدية ثمينة، كما وفد

---

1) ابن خلدون،المصدر السابق،ص230.

2) ابن خلدون،المصدر السابق،ص230.

3) اغتنم علي بن ركان خروج الناصر لتفقد بعض اقاليمه، فشن هجوما على تاقربوست وتمكن من احتلالها،لكن الناصر سرعان ما عاد من المسيلة وباغت المهاجمين واسترجع منهم تاقربوست وأقدم علي بن ركان على **الانتحار**،(ابن خلدون نفس المصدر، ص230.).

4) ابن خلدون نفس المصدر،ج6،ص212.

عليه أهل قسطيلية، بزعامة يحيى بن واطاس، لتقديم شواهد الطاعة والإخلاص، فأجزل لهم العطاء وعين عليهم من صنهاجة، يوسف بن خلوف، ودخل في طاعته أهل القيروان[1]،وطلب منه اهل تونس، تعيين حاكما لهم من لدنه،فاختيار لهم عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان[2]،وعلى الجملة«صارت صاغبة أهل افريقية إلى بنى حمّاد ملوك القلعة»[3].

بعد ذلك،تطلّع النّاصرالى إلى ضم ما تبقى من املاك الزيريين الى نفوذه[4]،فجهّز جيشا من الصنهاجيين، ودعمه بحلفاء له من زناته وعرب الأثبج وعدي،وزحف على الامير تميم بن المعز،الذي نجح بدوره في اقناع عرب بني رياح للدفاع عنه بحجة ان هذا الهجوم موجه إليهم بالدرجة الأولى،فطلبوا منه إمدادهم بالمال والسلاح، فأعطاهم عشرة آلاف دينا،وألف درع، وألف رمح، وألف سيف هندي [5]،واشتبك الفريقان،في معركة سبيبة، سنة 457هــ/1064م،وبفعل المؤامرة التي نسجها ضده العرب والزناتيون [6]،مني الناصر بهزيمة نكراء[7]،كان لها تاثير بليغ على مستقبل الدولة الحمادية حيث لاحقه عرب بني رياح فلجأ إلى قسنطينة مع من تبقى من رجاله البالغ

---

1) ابن خلدون نفس المصدر، ص230 .

2) ابن خلدون نفس المصدر، ص217.

3) نفسه

4) ادريس روجي هادي،المرجع السابق،ج1،ص305.

5) ابن الاثير،المصدر السابق،ج7،ص101؛النويري،المصدر السابق ،ج24،ص123؛ عويس عبدالحليم،نفس المرجع، ص 130؛ ادريس روجي هادي،المرجع السابق،ج1،ص307 .

6) اتصل بنورياح المتحالفين مع الامير الزيري تميم بن المعز، بإخوانهم الاثبج وعدي، المتحالفين مع الناصر، وحذروهم من مغبة دعمه، وهددوهم بزوال كل ما كسبه العرب الهلاليين في حالة التمكين لحاكم قوي في المنطقة مثل الناصر،واتفقوا معهم على افتعال الهزيمة اثناء المعركة واقتسام الغنائم، ونفس الشيء فعله المعزبن بن زيري بن عطية الزناتي مع اخوانه الزناتيين المتواجدين في معسكرالخصم(ابن الاثير،المصدر السابق،ج7،ص101؛النويري،المصدر السابق،ج24،ص123؛ عويس عبدالحليم،نفس المرجع، ص 130؛ ادريس روجي هادي،المرجع السابق،ج1،ص307).

7) ابن عذارى،المصدر السابق،ج1،ص299؛ابن الأثير، المصدر السابق،ج8،ص101؛ابن خلدون،المصدر السابق، ص230؛ النويري، المصدر السابق،ج24،ص 123؛ ؛بوروبة رشيد،المرجع السابق،ص63؛ ادريس روجي هادي، المرجع السابق،ج1،ص308.

عددهم مائتين،ومنها سار إلى القلعة التي فرضوا عليها حصارا وقطعوا اشجار الغابة المحيطة بها واتلفوا البساتين،ونهبوا طبنة والمسيلة وردموا الابار ونشروا الرعب في الاقاليم،وفرضوا الجزية على السكان الراغبين في استغلال اراضيهم، فاضطر النّاصر في اعقاب ذلك إلى بناء عاصمة جديدة للدولة على الساحل هي بجاية[1].

وجد الناصر نفسه بعد معركة سبيبة، امام واقع جديد،حاول التكيف معه بما يحفظ كيان الدولة الحمّادية ومكانتها في بلاد المغرب،وأول خطوة اقدم عليها ضمن هذا المسعى هي تفويض وزيره،أبو بكر بن أبي الفتوح[2]،من اجل عقد صلح مع الأميرالزيري تميم[3]، ورغم تعثرهذا الصلح[4] المنشود وتأخره، إلى غاية 470هـ /1077م إلا انه توثق في الاخير بزواج الناصر بابنة تميم بلارة[5]، وكانت الخطوة الثانية التي انجزها هي بناء مدينة بجاية،التي انتقل اليها سنة461 هـ /1073م [6]، وكانت الخطوة الأخرى، هي التعامل مع قبائل بني هلال، التي توغلت داخل الدولة الحمادية، بصيغة الأمر الواقع،إذ اختص الاثبج منها، بالتحالف والتعاون[7].

و تصدى الناصر، على غرار من سبقه إلى حكم الدولة،الى فروع قبيلة زناته، التى استمرت في إثارة الاضطربات، وزعزعة الأمن، فلمّا زحف المستنصر بن خزرون الزناتى، من طرابلس برفقة بني عدى، على المسيلة و أشير خرج إليه

---

1) **ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص27.**
2) **عاتب هذا الوزير الناصر قائلا« ألم أشر عليك أن لا تقصد ابن عمك، وأن تتفقا على العرب، فإنكما لو اتفقتما لأخرجتما العرب.فقال الناصر: لقد صدقت، ولكن لا مرد لما قدر، فأصلح ذات بيننا»(ابن الاثير،المصدر السابق، ج7، ص102).**
3) **بلغ الناصر، ما نال ابن عمه تميم من الألم والحزن، بعد معركة سبيبة، وندمه على تعاظم قوة العرب إلى درجة انه رفض قبول الألوية والطبول وخيم الناصر التي اتاه بها العرب وردها عليهم بقوله: يقبح بي أن آخذ سلب ابن عمي(ابن الاثير،المصدر السابق،ج7،ص102 ؛ النويري،المصدر السابق،ج24،ص124).**
4) **تعثر هذا الصلح بسبب اكتشاف تميم خيانة محمد بن البعبع –مبعوثه إلى الناصر–الذي رغّب الامير الحمادي الناصر باحتلال مدينة المهدية –عاصمة تميم – وأقنعه بان لا سبيل لذلك إلا ببناء مدينة بجاية على ساحل البحر(ابن الاثير،المصدر السابق،ج8،ص102 ؛ النويري،المصدر السابق،ج24،ص124) .**
5) **ابن عذارى،المصدر السابق،ج1،ص300؛ابن الاثير،المصدر السابق، ج8، ص ص124 125.**
6) **ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص232.**
7) **ابن خلدون،نفس المصدر،ج6،ص27.**

الناصر ففر إلى الصحراء،ولما عاد للاغارة، على اقاليم الدولة،دبّر له مكيدة مزدوجة ، حيث راسله للصلح وأقطعه ضواحي الزاب وريغه، من جهة، ومن جهة أخرى أوعز إلى عامله على بسكرة -عروس بن سندي-، ليمكر به، فقتله اثناء تناوله الطعام، في مأدبة غذاء، أقامها لهذا الغرض، سنة 460هـ /1072م [1].

كما نجح ايضا في إخماد ثورة المغروايين، التي تزعمها كلّ من أبي الفتوح بن حنوش، أمير بني سنجاس بالمدية، ومعنصر بن حماد بالشلف[2].

ووجد في استنجاد أهل الزاب به، من بني غمرت، ومغراوة، فرصة لتدريب إبنه المنصور، على تحمل تبعات الحكم ومشقاته، إذ أرسله على رأس جيش إلى وعلان-بلد المنتصر بن خزرون جنوب بسكرة - فخربها ثم توغل إلى غاية وارقلة التي عين على رأسها عاملا،تابعا له، ثم قفل راجعا، محملا بالغنائم والأسرى[3].

ولما تناهى الى مسامع الناصر، أن بنو توجين بزعامة مناد بن عبد الله، تواطؤوا مع بني عدي على قطع الطريق،والقيام باعمال نهب، أرسل إليهم ابنه المنصور، الذي تمكن من إلقاء القبض على أميرهم، وأخيه زيري، وعميهما، الأغلب، وحمامة، وأحضرهم إلى الناصر الذي وبخهم ثم قتلهم جميعا[4].

وتعرض الناصر،من الجهة الغربية لدولته،لزحف المرابطين عندما توغل يوسف بن تاشفين شرقا سنة 473هـ/1080 م ، وإحتل تلمسان، ووهران، وتنس، والونشريس، قبل ان ينسحب، راجعا إلى مراكش سنة 475هـ/1082م [5] .

وشهدت السياسة الخارجية للدولة الحمّادية في عهد الناصر تطورا لافتا ،لما اقام الناصر اتصالات مع بابا الكنيسة غريغوار السابع،في محاولة منه لاقامة علاقات ودية بين الطرفين[6] .

---

1) ابن خلدون،نفس المصدر،ج7،ص59.
2) ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص231.
3) ابن خلدون،نفس السابق،ج6،ص231.
4) نفسه؛ ادريس هادي روجي ،المرجع السابق،ص324.
5) ابن ابي زرع الفاسي،المصدر السابق،ص143؛ابن خلدون،ج6،ص247؛ حسن احمد محمود، المرجع السابق،ص205.
6) De mas laterie traites de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l Afriqueseptentrional au moyen age libraire de firmin paris, 1866, p42.

فالناصر اذا سعى ، إلى جعل الدولة الحمّادية، قوية، في المنطقة، بحيث تمكّن من بسط نفوذها على رقعة جغراقية واسعة، امتدت إلى تونس والقيروان وصفاقس[1]،وفي فترته «اعتز آل حماد وعظم شأن ايامهم فبنى المباني العجيبة المؤنقة وشيّد المدائن العظيمة»[2]،واسّس مدينة بجاية، التي ستمنح لها نفسا جديدا للدّولة في حوض البحر الابيض المتوسط، ولم يتوقف عن نشاطه الى ان توفي سنة 481هـ /1088م[3]،تاركا للامراء الذين جاؤوا من بعده مهمة استكمال البناء الحضاري للدولة.

<u>مرحلة الإستقرار النسبي والانتاج الحضاري</u>

استهل هذه المرحلة المنصور بن الناصر(481-498 هـ/1088-1104 م) الذي ترك بصماته واضحة على مسار الدّولة فهو «الذى حضّر ملك بنى حماد، وتأنق في اختطاط المباني، وتشييد المصانع، واتخاذ القصور،وإجراء المياه في الرياض والبساتين، فبنى في القلعة، قصرالملك،والمنار،والكوكب، وقصر الشام، وفى بجاية، قصر اللؤلؤة، وقصر أميميون»[4].

تولى أمر الدّولة في سن مبكرة،اقتفى «آثار أبيه في الحزم والعزم والرئاسة»[5]،لم يمكث بالقلعة سوى سنتين ثم غادرها إلى بجاية سنة 483هـ/1091م .

واجهته خلال فترة حكمه، مشكلتان بارزتان:تمثلت الأولى في الحركة التمردية،التي قادها ضده احد افراد اسرته بتواطؤ مع الاميرالزيري،وبعض القبائل العربية،وتمثلت الثانية في طموح المرابطين في التوسع على حساب امارته.

فبعد فترة وجيزة من تسلمه زمام الحكم،أعلن عمّه بلباز،حاكم قسنطينة، العصيان[6]، فأرسل إليه المنصور،جيشا، بقيادة أبي يكنى بن محسن،الذي ألقى القبض على المتمرد، وأرسله إلى القلعة،وحل محله واليا على قسنطينة،وبونه، مستعينا في أداء مهمته،

---

1) ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص230 .
2) ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص232.
3) ابن عذاري، المصدر السابق، ج1،ص301؛ابن الاثير،المصدر السابق،ج8،ص147؛ابن خلدون،المصدر السابق،ج6، ص232.
4) ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص232.
5) ابن الاثير،المصدر السابق،ج8،ص1447.
6) ابن خلدون،نفس المصدر،ج6،ص232.

بأخيه ويغلان، الذي عهد إليه الاشراف على بونة[1].

لكن الوالي الجديد- أبا يكنى -ما لبث ان شق عصا الطاعة للمنصورسنة(487هــ /1094م)، في حركة انفصالية خطيرة،تآمر خلالها مع خصوم الأمير الحمّادي في المنطقة،إذ بعث أخاه ويغلان إلى الأمير الزيري ،تميم بن المعز،طالبا منه ضم مدينة بونة، إلى مملكته،فاستجاب له، وأرسل إبنه، أبا الفتوح بن تميم لتولى شؤون المدينة،وبالموازاة مع ذلك تمكن ابا يكنى،و اخيه ويغلان، من استمالة بعض العرب إلى صفهم،و«كاتبوا المرابطين بالمغرب الاقصى»[2] لنفس الغاية.

لكن المنصور بادر ،إلى إخماد هذا التمرد-على طريقة أبيه-، قبل ان تتسع رقعته ، مستخدما القوة والدهاء معا،حيث ارسل قوة عسكرية تمكنت من استرجاع مدينة بونة، بعد محاصرتها مدة سبعة أشهر، وألقت القبض على أبي الفتوح بن تميم، الذي سجن بالقلعة فيما بعد،ثم زحفت على قسنطينة،وأرغمت ابا يكنى، على الفرار إلى قلعة بجبل الاوراس، تاركا امر قسنطينة لقائد الأثبج، سليسل بن الاحمر، التي استرجعها منها المنصور،بعد ان بذل له مبلغ من المال،وانتهى هذا الانقلاب بقتل ابي يكني بعد محاصرته في مخبئه[3] .

وبينما نجح المنصور في تجاوز هذه المؤامرة، التي حيكت ضده، في الجزءالشرقي من امارته، كانت الجهة الغربية، محل طمع المرابطين، بمساعدة قبيلة،بني ومانو،الزناتية[4] .

اذ قام محمد بن تينعمر،-والي المرابطين على تلمسان- وبمساعدتها، بشن غارات متكررة، على الدولة الحمادية، فإضطٌر المنصور، إلى الرد على ذلك بهجوم مضاد تمكن بواسطته من تخريب قلع بني ومانو، وإلحاق الهزيمة بوالي تلمسان،الامر الذي استوجب تدخل يوسف بن تاشفين لطلب الصلح[5]. ولمّا عاد المرابطون، إلى الاغارة

---

1) ابن خلدون،نفس المصدر،ج6،ص232.

2) نفسه.

3) نفس المصدر ،ص233.

4) على الرغم من سعي المنصور،الى كسب ود قبيلة بني ومانو الزناتية، بزواجه من اخت زعيمها ماخوخ، الا انها فضلت ان تكون اداة في يد المرابطين يستخدمونها كنقطة امامية متى أرادوا شن هجومات ضد الدولة الحمادية(ابن خلدون،نفس المصدر،ص233).

5) ابن خلدون، المصدرالسابق،ج6،ص233.

على الدولة الحمادية من جديد،سيّر إليهم المنصور جيشا بقيادة ابنه عبد الله الذي اجبرهم على الفرار إلى المغرب الاقصى و احكم سيطرته على الجهة الغربية من البلاد[1].

وفي غمرة هذا الخلاف المرابطي الحمادي،وعلى اثر نجاح المرابطين في الاستيلاء على امارة اشبيلية بالاندلس،لم يتردد المنصور من تلبية طلب معز الدولة ابن صمادح، حاكم ألمرية،من القدوم اليه، هربا المرابطين، حيث استقبله سنة 484هـ /1091م ، و أقطعه دلس ليقيم بها[2]

تجاوزت رغبة المرابطين، المناوشات والاستفزازات الى الاصرار على ضم الجزء الغربي من الدولة الحمادية، تجلى ذلك في اغتنام واليهم على تلمسان، محمد بن تينعمر، فرصة الهزيمة التي مني بها المنصورعلى يد ماخوخ قائد بني ومانو- بتحريض ودعم منهم-، ليتوسع شرقا ويحتل مدينتي الجزائر وأشير سنة 495هـ/1101م [3].

دفعت هذه التطورات بالمنصور إلى حماية امارته بكل ما أوتي من إمكانيات حيث جهز جيشا من عشرين الف جندي ضم صنهاجة، وحلفاءه من زناته وعرب الأثبج وزغبه وربيعة[4]،وبمجرد أن أذيع خبر زحف المنصور في تلمسان سنة 496هـ /1103م سارع والي المرابطين ، تاشفين بن تينعمر، بالخروج منها قاصدا تسالة لكن جيش المنصور لقيه بواد سطفيسف[5]،وألحق به هزيمة اضطرته إلى اللجوء إلى جبل الصخرة[6]،ثم دخل المنصور تلمسان واستباحها لجنوده،الى ان خرجت إليه حوا-زوجة

---

1) ابن خلدون، المصدرالسابق،ج6،ص233.

2) ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص234؛ ابن الخطيب،المصدر السابق،ج3،ص97؛اماصاحب البيان فذكر ان المنصور،اقطعه مدينة تنس،(ابن عذارى المصدر السابق،ج3،ص168.)

3) ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص233؛ادريس هادي روجي،الملرجع السابق،ج1،ص328؛الجيلالي عبدالرحمان،المرجع السابق،ص376.

4) ابن خلدون،نفس المصدر،ص234؛امابن الخطيب فيقدرعددهذا الجيش ب12الف محلة(ابن الخطيب،المصدر السابق ،ج3،ص97) ؛عويس عبداتلحليم،المرجع السابق،ص145.

5) ينبعث من أسفل جبل البغل ويصب في بركة عظيمة من عمل الأول، ويسمع لوقوعه فيها خرير شديد على مسافة، ثم ينشق منه بحكمة مدبرة إلى موضع يسمى المهراز، ثم ينصب في أنهار كثيرة، وبعد ذلك ينحدر إلى البحر (روض المعطار في اخبار الاقطار،ص318.)

6) جبل الصخرة او الصخرتين هو الجزء الشرقي من الجبل الذي يشرف على تلمسان من الجهة الجنوبية(ادريس روجي هادي،المرجع السابق،ج1،هامش،ص330.)

والي تلمسان الهارب-متوسلة، بصلة الرحم الصنهاجية التي تجمع الحماديين والمرابطين،فتم الصلح بين الطرفين للمرة الثانية ،و أعفى يوسف بن تاشفين بعد ذلك والي تلمسان من مهامه واستبدله بمزدلي واليه السابق على بلنسية[1]،ارضاءا للمنصور،بعد ذلك شرع في الانتقام من زناتة في طريق عودته فشرّدهم بنواحي الزاب،والمغرب الأوسط،كما أخضع القبائل المستعصيةالمحيطة ببجاية، «في جبالهاالمنيعة مثل بنى عمران،وبنى تازروت، والمنصورية،والصهريج،والناظور، وحجر المعز»[2]،ولم يعمر المنصور اكثر من سبعة اشهر بعد هذه الحملة العسكرية[3].

تولى الامر بعد المنصور، ابنه باديس سنة 498هـ /1104م ، فكان شديد البأس، عظيم السطوة، سريع البطش[4]،فما ان تسلم زمام الحكم، حتى بادر إلى قتل وزير أبيه، عبد الكريم بن سليمان، بعد أن صادر املاكه، وبعد ان انتقل من القلعة إلى بجاية قتل عاملها، سهّام، وعزل أخاه العزيز، عن ولاية الجزائر، ونفاه إلى جيجل[5]، والقى باحد الصالحين إلى الأسود حيا، لكنه مات قبل أن يستكمل سنة من حكمه، ويقال، أنّ أمه دست له السم من كثرة ما كان يتوعدها بالقتل[6]، فتولى أخوه العزيز، من بعده [7].

وكان العزيز يلقب بالميمون،لولادته ليلة ولاية أبيه،في 18 جمادى الاولى 481 هـ /2اوت 1088م،تولى الحكم بعد ان استدعاه قائد الأسطول الحمّادي علي بن حمدون من منفاه بجيجل، كان« حسن الخلق معتدل الطريقة»[8]،شغوفا بحضور مجالس المناظرة بين العلماء،انتهج سياسة سلمية مع جيرانه،الزيريين و الزناتيين ، عزّزها بمصاهرتهم، اذ تزوج بنت ماخوخ الزناتي[9]،و بدر الدجى، بنت الأمير الزيري يحي بن تميم[10]،

---

1) ابن خلدون، المصدر السابق،ج6،ص250؛ ادريس هادي روجي،الملرجع السابق،ج1،ص330.

2) ابن خلدون، المصدرالسابق،ج6،ص234؛ ادريس هادي روجي،الملرجع السابق،ج1،ص330.

3) ابن عذارى،المصدرالسابق،ج1،ص302؛ابن الخطيب،المصدرالسابق،ج3،ص97؛ابن خلدون،نفس المصد،ص234.

4) ابن خلدون، المصدر السابق،ج6،،ص234 ؛ابن الخطيب، المصدر السابق،ج3،ص98؛ادريس هادي،المرجع السابق،ج1،ص231.

5) ابن خلدون، المصدرالسابق،ج6،ص234؛عويس عبدالحليم ،المرجع السابق،ص147.

6) ابن الخطيب، المصدر السابق،ج3،ص98 .

7) ابن خلدون، المصدر السابق،ج6،ص234؛ ادريس هادي،المرجع السابق،ج1،ص231.

8) ابن الخطيب، المصدر السابق،ج3،ص99.

9) ابن خلدون،نفس المصدر،ص234.

10) ابن عذارى،المصدر السابق،ص306.

اما المرابطون فكفوا ايديهم عن دولته،بعد وفاة اميرهم يوسف بن تاشفين سنة 500هـ/1106م،وأصبح همهم الأكبر هو الحفاظ على مكاسبهم، وليس التوسع[1].

وعلى الرغم من أنّ أيامه كانت«هدنة وأمنا»[2]،و«أعيادا لحسنها وجمالها »[3]،إلاّ أنها،لم تخل من بعض التدخلات العسكرية،بدليل أرساله لجيش بقيادة إبنه،يحيى، وقائده،على بن حمدون، سنة 512هـ/1118م [4]،من أجل إعادة الإستقرار للقلعة، وضواحيها، بعد ان عاث فيها العرب الهلاليون فسادا[5]، والحملة العسكرية التي قادها بنفسه، سنة514هـ/1120م،والتي أخضع، بها حاكم تونس، أحمد بن عبد العزيز ،الذي حاول الانفصال عن الدولة الحمادية[6]، والأسطول الذي ارسله لضمّ، جزيرة جربة[7]،الى سلطته[8].

وشهد أواخر عهد العزيز،الإرهاصات الأولى لدعوة الموحدين،على يد المهدي بن تومرت[9]، الذي حل ببجاية سنة 512هـ/1118م،عائدا من المشرق[10]،مبديا إمتعاضه، من بعض سلوكات سكان بجاية، كإرتداء الصبيان، للباس النساء، واختلاط الرجال بالنساء في الأعياد[11]،إذ تسببت انتقاداته، في حدوث إضطرابات، أغضبت العزيز، فلجأ

---

1) انظر عويس عبدالحليم،المرجع السابق،ص150.
2) ابن خلدون،نفس المصدر،ص234.
3) ابن الخطيب، المصدر السابق،ج3،ص99.
4) الجيلالي عبدالرحمان،المرجع السابق،ص378.
5) ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص235.
6) ابن خلدون، المصدر السابق،ج6 ،ص217.
7) جزيرة بالمغرب قرب قابس ، قال عنها أبو عبيد البكري: فيها بساتين كثيرة وأهلها مفسدون في البر والبحر وهم خوارج وبينها وبين البر الكبير مجاز،انظرالحموي ياقوت،المصدر السابق،ج2،ص118.
8) ابن خلدون، المصدر السابق ،ج6،ص234.
9) أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن تومرت، المنعوت بالمهدي الهرغي، وهو من جبل السوس في أقصى بلاد المغرب، نشأ هناك ثم رحل إلى المشرق في شبابه طالباً للعلم، فانتهى إلى العراق، واجتمع بأبي حامد الغزالي والكيا الهراسي والطرطوشي وغيرهم، وحج وأقام بمكة مدة، وكان شجاعاً فصيحاً ، شديد الإنكار على الناس فيما يخالف الشرع،(انظرابن خلكان،المصدر السابق،ج5،ص 45فما بعدها من عدة صفحات.)
10) ابن خلدون، المصدر السابق،ج6،ص 235.
11) ابن القطان(ابو محمد حسن بن علي المراكشي)،نظم الجمان لترتيب ما سلف من اخبار الزمان،تحقيق محمود علي مكي،(دار الغرب الاسلامي بدون تاريخ) ص93.

إلى قرية ملالة[1]، واحتمى ببني ورياكل الصنهاجيين، وأقام بها مدرسا، ثم رحل عنها رفقة عبد المؤمن بن علي[2]،إلى المغرب[3].

لقد تميز عهد العزيز الطويل نسبيا(498-515 هـ/1104-1121) بالامن والاستقراروالازدهار، لخلوه من تحديات خارجية و داخلية خطيرة مثل تلك التي استنزفت وقت ابيه المنصور وجدّه النّاصر[4]، مما جعل الدولة الحمادية بعد وفاته سنة 515هـ/1121م[5] تنعم بحياة الدعة والرخاء،والدخول في مرحلة جديدة، حملت في طياتها بوادر افول الدولة واندثارها.

<u>مرحلة أفول وزوال الدولة الحمادية</u>

شملت هذه المرحلة فترة حكم يحي بن العزيز (515- 547 هـ/1121-1152م) ، اخر امراء بني حمّاد ، التي دامت واحد وثلاثون سنة ، ومن بين العوامل التي ساهمت في افول الدّولة، شخصية هذا الامير الذي كان يفتقد الى الحزم والصرامة في تدبير شؤون الدولة، وكان يؤثر حياة اللهو والانهماك في الملذات[6] على حد وصف ابن الخطيب الذي قال عنه بانه كان « مولعا بالصيد، مغرما به، كلفا بالملهين، يحضر عنده نحوالعشرين، بين رجل وامراة، من شيوخ وعجائز وحمقى فكان يستلقي في بيته، على الفرش الوثيرة الحشايا ويستدعي المضحكين وجوارح الصيد، فيختبر هذا البازي ويتفقد هذا الكلب،ويستنهض هذا المضحك في النوع الذي سلكه، فيلهيه ويضحكه،ويجلس ابدا بين اخواته...في زي العرائس من الحلي والملابس»[7]، كما قال عنه ابن خلدون بانه كان«مستضعفا مغلبا للنساء مولعا بالصيد»[8].

---

1) ملالةُ: بالفتح ثم التشديد: قرية قرب بجاية على ساحل بحر المغرب (الحموي ياقوت،المصدر السابق،ج5،ص189).
2) عن نسب غبدالمؤمن بن علي انظر ابن خادون،نفس المصدر،ج6،ص ص 166 167.
3) عبد الواحد المراكشي،المصدر السابق،ص248؛ابن خلدون،المصدر السابق،ص ص 302- 303.
4) عويس عبدالحليم،المرجع السابق،ص151
5) ابن خلدون،المصدر السابق، ج6 ،ص235؛وذكر بعض المؤرخين ان وفاته كانت سنة 518هـ/1124م انظرابن عذاري،المصدر السابق،ج1،ص518؛ابن القطان،المصدر السابق،ص146.
6) عويس عبدالحليم،المرجع السابق،ص155.
7) اعمال الاعلام،ج3،ص99.
8) العبر،ج6،ص235.

وعلى الرغم من هذه الاوصاف الا ان عهده سجل احداثا هامة، مثل انفراده بسك العملة باسمه، سنة543هـ/1147م [1]،و تطلعه إلى التوسع على حساب جيرانه الزيريين،الذين كانوا يواجهون اطماع النورمان[2]، حيث ارسل في سنة 522 هـ/1128م حملتين عسكريتين،كانت الأولى، بقيادة ابن المهلب، الذي فشل في اخضاع المهدية[3]، و اما الثانية، فكانت بقيادة مطرف بن علي بن حمدون، الذي «تغلب على تونس وأخرج أحمد بن عبدالعزيز، صاحبها ونقله إلى بجاية بأهله وولده»[4].

وفي سنة529هـ/1135م ، كرّر محاولته للاستيلاء على المهدية[5] متحججا برغبة سكان المدينة، الذين راسلوه و« وأطمعوه بتسليم البلد، فوثق بهم، وبعث اليها جيشا،في البر، ومراكب في البحر»[6] ، تحت قيادة مطرف بن علي بن حمدون، الذي اخفق في فتح المدينة، رغم الحصار الطويل الذي فرضه عليها،وذلك بسبب إستنجاد الأمير الزيري، الحسن بن علي، بحلفائه النورمان، والعرب، حيث وضع ملك صقلية-رجار- تحت تصرفه «أسطولا عظيما»[7]، وأمدّه القائد العربي ،ميمون بن زياد، بقوات برية،أرغمت الحماديين عن الرحيل خائيين[8].

وبقدر ما أبان هذا الهجوم عن حدة الصراع الحمادي الزيري،بقدر ما فتح الباب على مصرعيه أمام النورمان لتجسيد مشاريعهم التوسعية على حساب الكيانين معا ، حيث كثف النورمان غاراتهم البحرية على بعض سواحل الدولتين فاحتلوا جزيرة جربة

---

1) كتب على هذه العملة ثلاثة سطور ودائرة في كل وجه، ففي احدى الدائرتين كتب «واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون» والسطور لا اله الا الله محمد رسول الله يعتصم بحبل الله يحيى بن العزيز بالله الامير المنصور ودائرة الوجه الآخر بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينار بالناصرية سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وفى سطوره الامام أبو عبد الله المقتفى لامر الله أمير المؤمنين العباسي (ابن خلدون،المصدر السابق، ج6 ،ص235.)
2) ابن الاثير،المصدر السابق،ج9،ص ص 18 -19؛ابن خلدون،المصدر السابق،ص ص213-214.
3) ابن عذارى،المصدر السابق،ج1،ص310.
4) ابن خلدون،المصدر السابق،ص ص217- 218.
5) ابن الاثير،المصدر السابق،ج8،ص350؛ابن ابي دينار،المصدر السابق،ص90؛لكن صاحب البيان ذكر ان هذا الهجوم وقع سنة530هـ/1136(ابن عذارى،المصدر السابق،ج1،ص312).
6) ابن ابي دينار،المصدر السابق،ص90.
7) نفسه؛ ابن الاثير، المصدرالسابق،ج8،ص350.
8) نفسه.

سنة529هـ /1135م [1]، وهاجموا مدينة جيجل سنة 537هـ/ 1143م[2]، ومدينة برشك سنة 539هـ /1145م [3]،وتمكنوا من الاستيلاء على مدينتي طرابلس سنة 540هـ/1146 م)[4]، والمهدية سنة543هـ/1148م [5].

وعلى اثر سقوط المهدية في يد النورمان، اندثرت الدولة الزيرية[6] التي حل أخر أمرائها–الحسن بن علي– بمدينة الجزائر[7]عند القائد بن العزيز، قبل أن يلتحق في سنة 547هـ/1152م بعبد المؤمن بن علي زعيم الموحدين الذي« أحسن إليه، وألزمه صحبته، وأعلى مرتبته، فلزمه إلى أن فتح عبد المؤمن المهدية فجعله فيها،وأمر واليها أن يقتدي برأيه ويرجع إلى قوله» [8]،وفي نفس السنة، تمكن الموحدون الذين زادت شرعيتهم في المنطقة اكثر بعد أن تكفلوا بدفع الخطرالنورماني ومقاومة الممالك النصرانية في الأندلس[9]، من الاستيلاء على بجاية،فاضطرب حال اخر امراء بني حمّاد على حد وصف ابن خلدون له حيث «ركب يحيى البحر إلى صقلية يروم الاجازة منها إلى بغداد ثم عدل إلى بونة فنزل على أخيه الحارث ونكر عليه سوء صنيعه واخراجه عن البلاد فارتحل عنه إلى قسنطينة فنزل على أخيه الحسن فتخلى له عن الامر... ثم بايع يحيى لعبد المؤمن سنة سبع وأربعين ونزل عن قسنطينة واشترط لنفسه فوفى له ونقله إلى مراكش فسكنها ثم انتقل إلى سلا سنة ثمان وخمسين فسكن قصر بنى عشيرة إلى ان هلك في سنته»[10]،وبذلك انقرض ملك بنى حماد.

---

1) **ابن عذاري،المصدر السابق،ج1،ص312؛ابن الاثير،المصدر السابق،ج8،ص350.**

2) **ابن ابي دينار،المصدرالسابق،ص91؛ابن الأثير،المصدر السابق،ج9،ص6؛ابن خلدون،المصدرالسابق،ج5،ص232**

3) **عن هذا الهجوم اورد ابن الاثير« خرج أسطول الفرنج من صقلية إلى ساحل إفريقية والغرب، ففتحوا مدينة برشك وقتلوا أهلها، وسبوا حريمهم وباعوه بصقلية»(ابن الاثير ،المصدر السابق،ج9،ص6).**

4) **ابن ابي دينار،المصدر السابق،ص91؛ابن الاثير،المصدر السابق، ج9 ،ص12؛ابن خلدون،المصدر السابق، ج5، ص232؛ النويري، المصدر السابق،ج24 ،ص136.**

5) **ابن عذارى،المصدر السابق،ص313؛ابن الاثير،المصدر السابق،ج9،ص ص18 19 ؛ ابن خلدون،المصدر السابق، ج5، ص 233؛النويري،المصدر السابق،ج24 ،ص136.**

6) **«وكان عدة من ملك منهم من زيري بن مناد إلى الحسن تسعة ملوك، ومدة ولايتهم مائتا سنة وثماني سنوات، من سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة إلى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة»(ابن الاثير،المصدر السابق،ج9، ص19).**

7) **ابن الاثير،المصدر السابق،ج9، ص20؛ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص215؛التجاني(ابو عبدالله محمد بت احمد) رحلة التجاني ، (الدار العربية للكتاب ليبيا-تونس 1981) ص343.**

8) **ابن الاثير،المصدر السابق،ج9، ص31.**

9) **تولى الموحدون حكم بلاد المغرب بعد ان قضواعلى المرابطين سنة541هـ والزيريين والحماديين سنة547هـ**

10) **العبر،ج6،ص236).**

الفصل الثاني:

العلاقات السياسية

حرست الدولة الحمّادية في علاقاتها السياسية، مع الدول المعاصرة لها، وهي الدولة الزيرية، والمرابطية، والفاطمية، وبعض الإمارات الأندلسية، وفروع قبيلة زناته ، وعرب بني هلال، و مسيحيي أوروبا،على تحقيق مصلحتها الاقليمية،مما جعل هذه العلاقات تترواح بين التعاون والعداء .

العلاقات الحمادية الزيرية

باستثناء بعض مظاهر التقارب،التي شهدتها العلاقات الحمادية الزيرية كالمصاهرة وإبرام بعض عقود الصلح، وتبادل السفارات،فان الخط العام لهذه العلاقات، سار في اتجاه الصراع والتوتر وتنامي روح العداء،رغم الروابط الاسرية التي جمعت الدولتين.

ويفسر عبدالحليم عويس هذه العلاقة العدائية، بنظرة الزيريين للدولة الحمّادية، كدولة تابعة، لا يحق لها الانفصال،وإدارة شؤونها الخارجية، وإدّعائهم بأن المكاسب السياسية،التي حققتها،تمت بفعل استغلالها للظروف الحرجة التي مرت بها دولتهم، كتأثرها بانعكاسات الهجرة الهلالية، و تضررها من الهجمات المتكررة للنورمان على سواحلها،ومن جهتهم كان الحماديون يرون في الزيريين عقبة، تحول بينهم وبين طموحاتهم في تأسيس دولة قوية في المنطقة[1]، و من ثم فان العلاقات الحمادية الزيرية خضعت للاحقاد والاطماع المتوارثة،على حد ما ذهب اليه ابن الأثير «في نفوسهم الضغائن والحقود مِن باديس، ومَن بعده مِن أولادهم، يرثه صغير عن كبير»[2].

وكانت مظاهر العداء والتوتر بين الطرفين،عديدة منها :المواجهات العسكرية، وحصار المدن وحبك المؤامرات و التوسع الاقليمي على حساب الاخر.

وقد مثلت معركة الشلف سنة406هـ/ 1015م، بداية ذلك الصراع العسكري،حدثت نتيجة اصرار حمّاد على الإنفصال عن الدولة الأم، بعد ما تحصل، من ابن اخيه، الأمير باديس بن المنصور سنة 395هـ/1004م،على وعد بتمليكه أشير والمغرب الأوسط و كل ما يفتحه من بلاد زناته[3]،وبعد ان شيّد عاصمته،القلعة سنة 398هـ/1007-

---

1) **المرجع السابق،ص ص171-172.**

2) **المصدر السابق،ج8،ص**101.

3) **ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص227؛ ابن الخطيب،المصدر السابق،ج3،ص ص**69 70.

1008م [1]،غير ان الأمير الزيري،وعلى اثر الوشاية التي قامت بها« بطانة باديس ومن إليه من الأعاجم والقرابة»[2]، فضّل التنصل من هذا الوعد وطلب من عمّه حمّاد سنة 405 هـ/1015م، التنازل عن مدينة تيجس، وقصر الإفريقي وقسطنطينة لصالح ولي عهده المنصور[3]،ولمّا رفض ذلك،خرج باديس من القيروان و راح يطارده في عدة مدن وقرى، إلى أن التقى به في واد الشلف، في غرة جمادى الاولى سنة406هـ/ 17اكتوبر 1015م [4]، و بعد قتال عنيف، دار بينهما، انهزم معسكر حمّاد،ولولا إنشغال الناس بالنهب والسلب، لكثرة ما تحصلوا عليه من غنائم، لأُخذ حمّاد اسيرا[5] .

ورغم هذه الهزيمة إلا أن حمّاد ظل متمسكا بمشروعه الإنفصالي،و خاض من اجل ذلك، معركة اخرى، ضد الأميرالمعز،الذي خلف اباه باديس بعد وفاته، حيث التحم جيشاهما في معركة عنيفة بالقرب من مدينة باغاية سنة408هـ /1017م[6]، تمكن الامير المعز من حسمها لصالحه، بعد ان رصد لها اموالا هامة، حفّز بواسطتها اتباعه، اذ وعد بمنح أربعة دنانير لكل من يقتل شخصا من معسكر الخصم، وقد اصيب حمّاد في هذه المعركة بجروح بليغة،و اسر اخوه إبراهيم، وتفرق عنه أصحابه [7].

ان المعركتين السابقتي الذكر،تعكسان رفض الزيريين المطلق تأسيس دولة حمادية مستقلة ذات سيادة في المغرب الأوسط،وهو ما رشح علاقاتهما المستقبلية للمزيد من

---

1) ابن خلدون، المصدرالسابق ،ج6،ص227.
2) ابن خلدون،نفس المصدر ،ص228.
3) ابن عذاري,المصدرالسابق,ج1,ص ص261؛ابن الاثير،المصدر السابق،ج7،ص276؛ابن خلدون،المصدر السابق ، ج6،ص228.
4) ابن خلدون، نفس المصدر،ج6،ص228.؛النويري،المصدر السابق،ج24،ص109.
5) « أخذ الناس من الأموال والغنائم ما لا يحصى عددا وكثرة، ووجد رقعتان فيهما: أن الذي عند القائد فلان صندوق فيه خمسون ألف دينار وسبعمائة، ومن الورق ألف ألف وخمسمائة ألف درهم، ومن الأمتعة خمسون صندوقا. قال أبو إسحاق: وجد رجل بين يديه بغل يسوقه، ففتشه بعض الوصفان بين أيدينا، فوجد في حشو برذعته وصوفها ثماني آلاف دينار، ومثل هذا ما لا يحصى وعرضت لي ابيات بعد ان صعدنا من الوادي،...

لم أنس يوما بشلف راع منظره   وقد تضايق فيه ملتقى الحدق

والخيل تعبربالهامات خائضة   من سافح الدم مجرى قاني الفلق» (البيان المغرب في اخبارالاندلس والمغرب، ج1،ص ص263 –264.)

6) ابن الاثير،نفس المصدر ،ج7،ص278.
7) نفسه

التوتر والتشنج.

وقد اسهمت التطورات التي شهدتها منطقة المغرب بفعل الهجرة الهلالية،في تحديد علاقة الدولتين ببعضهما البعض،حيث ادّى إنشغال الزيريين بتداعيات هذه الهجرة،الى تنامي اطماع الحماديين الاقليمية على حسابهم،تجلى ذلك في خلفية المواجهة العسكرية الثالثة التي حدثت بينهما وهي معركة سبيبة سنة 457هـ/1069م التي كان وراءها الاسباب التالية:

الأحقاد المتوارثة بين أمراء الدولتين:فحمّاد كان بينه وبين باديس بن المنصورعداء،الى درجة ان باديس مات محاصرا لقلعة بني حمّاد،واستمر هذا العداءبين حمّاد والمعز بن باديس ومابين القائد بن حمّاد والمعز بن باديس،واستمر ذلك الشعور بعد القائد في« ولده محسن، وبعده ابن عمه بلكين بن محمد بن حماد، وبعده ابن عمه النّاصر بن علناس بن حمّاد »[1]، وبعد هزيمة الزيريين في معركة حيدران سنة443 هـ /1052م، على يد العرب الهلاليين،استضعف الناصر بن علناس،دولتهم، خاصة بعد أن أكتسح العرب سائر افريقية، واستباحوا مدنها نهباوسلباوقتلا،وارغموا السكان على الهجرة والتشتت ،وضيقوا الخناق على المهدية[2].

و بعد انصمام صفاقس و قسطيلية ، و تونس[3] و القيروان [4] لسلطة الناصر راح يحاول الإجهاز على ما تبقى من تلك الدولة ، فتحالف مع«بعض صنهاجة، وزناتة، وبني هلال ليعينوه على حصار المهدية»[5]، في حين كان عرب بني هلال يسعون إلى إستغلال حالة الاحتقان بين الطرفين لتحقيق المزيد من المكاسب، فأرسل عرب رياح، المتحالفين مع الامير الزيري تميم بن المعز، شيخين سرا، الى عرب الاثبج المتحالفين مع الامير الحمادي، لاقناعهم بعدم مساعدة الناصر بن علناس وان مصلحة جميع العرب على اختلاف بطونهم تكمن في اضعاف سلطة فرعي صنهاجة معا واستمرار بينهما،وليس من مصلحة العرب اطلاقا بروز حاكم قوي في المنطقة مثل الناصر الذي

---

1) **ابن الاثير، المصدر السابق،ج7ص101؛ النويري،المصدر السابق،ج 24، ص122.**
2) **ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص22.**
3) **ابن خلدون، نفس المصدر، ص230؛روجي هادي ادريس،المرجع السابق،ج1،ص304.**
4) **ابن خلدون، نفس المصدر، ص217 .**
5) **ابن الاثير ، المصدر السابق،ج8ص101؛ النويري ،المصدر السابق،ج 24، ص ص122- 123.**

قد يهلك جميع العرب بمن معه من زناته وصنهاجة ويساثر بالسلطة لوحده[1].

هذه الاسباب وغيرها[2]،جعلت من معركة سبيبة تضم كل أطراف الصراع في المغربين الأدنى والأوسط،حيث اشترك إلى جانب الاميرالحمادي الناصربن علنّاس، عرب الاثبج وعدي وبعض زناته والى جانب الامير الزيري تميم بن المعز،عرب زغبة و سليم ورياح وبعض زناته[3]،والتحم الطرفان بفحص سبيبة سنة457 هـ/1069م،وانهزم النّاصرالذي انطلت عليه خدعة العرب وزناتة بافتعالهم الهزيمة، تنفيذا لما تم الاتفاق عليه مع اخوانهم المتواجدين في معسكر تميم[4]،ويحدد ابن الاثير والنويري عدد من قتل في معسكر الناصر بأربعة وعشرون ألفاً [5]،منهم أخوه القاسم، ولم يخلِّص الناصرالاّ الفرار إلى قسنطينة مع من تبقى من رجاله البالغ عددهم مائتين [6].

ومن نتائج تلك المعركة:

1) تعاظم قوة عرب بني هلال بمختلف بطونهم في المنطقة، فبعد « هذه الوقعة تم للعرب ملك البلاد، فإنهم قدموها في ضيق وفقر وقلة دواب فاستغنوا،وكثرت دوابهم وسلاحهم،وقل المحامي عن البلاد»[7] ولم يبقى نفوذهم مقتصرا على افريقية بل توسع ليشمل قسما معتبرا من المغرب الأوسط[8].

---

1) ابن الاثير،المصدرالسابق،ج8ص101.

2) وفي رواية مناقضة، يرى صاحب الاستبصار، ان هذه المعركة تمت على خلفية النجدة التي قدّمها المنصور بن حمّاد –وليس الناصر–لابن عمّه المتحصن بالمهدية، ضد العرب الذين افسدوا اكثر مدن افريقية الاستبصارفي عجائب الامصار،ص ص 227– 228؛ عن خلفية هذه المعركة انظرعويس عبدالحليم،المرجع السابق،ص 128 فمابعدها من عدة صفحات.

3) ابن عذاري,البيان,ج1,ص299؛ابن الاثير،الكامل،ج8،ص101؛ابن خلدون،المصدرالسابق، ج6،ص230؛ النويري، المصدرالسابق،ج24، ص122؛روجي هادي ادريس،المرجع السابق،ج1،ص 293؛عويس،المرجع السابق،ص130؛بورويبة رشيد،المرجع السابق،ص62.

4) ابن الاثير،المصدرالسابق،ج8ص101؛ النويري ،المصدر السابق،ج 24، ص 123؛ ادريس هادي روجي،المرجع السابق،ج1،ص306؛عويس المرجع السابق،ص ص 130–131

5) الكامل في التاريخ،ج8ص101؛نهاية الارب في فنون الادب،ج 24، ص123.

6) ابن خلدون،المصدر السابق،ج**6**،ص**27**؛ ادريس ،المرجع السابق،ج1،ص308

7) الكامل في التاريخ،ج8ص101.

8) ابن خلدون،المصدر السابق،ج**6**،ص**32**؛ ادريس هادي،المرجع السابق،ج1،ص309؛بورويبة رشيد المرجع السابق،ص160.

2) رغبة الأميرين الصنهاجيين-الزيري والحمادي-في وضع حد لخلافاتهما التي زادت دولتيهما ضعفا،أمام تنامي قوة الهلاليين، إذ أصاب الأمير الزيري تميم حزن شديد بعد تلك المعركة فرفض اخذ أسلاب ابن عمه التي ارسلها إليه العرب، كما أظهر الامير الحمادي الناصر الندم وسعى إلى الصلح بواسطة وزيره ابي بكر بن أبي الفتوح[1] ،غير أن هذا الصلح تاخر إلى سنة 470هـ/1077-1078م[2]، بسبب اكتشاف تميم خيانة مبعوثه إلى الناصر[3].

3) تطلّع الأمير الحمادي بعد هذه الهزيمة، إلى تأسيس مدينة جديدة،تكون اكثر أمنا من القلعة، التي غدت هدفا للاعراب، حيث وقع اختياره على موقع بجاية،لاسيما بعد ان أسر له مبعوث تميم-محمد بن البعبع-أن إنشاء مدينة به، سيمكّنه من الاستيلاء على عاصمة الزيريين المهدية[4]،فأسس به« مدينة بجاية ونقل إليها ذخيرته وأعدّها لنزله»[5].

وكانت المواجهه الرابعة بين الطرفين عندما زحف الحمّاديون على المهدية سنة529هـ/1135م او سنة530هـ/1136[6]، وقد تضاربت أراء المؤرخين حول اسباب هذا الهجوم، فابن الاثير ذكر انها تعود الى أن تفضيل الامير الزيري الحسن بن علي، للامير العربي، ميمون بن زياد،على بقية الامراء العرب الذين إستعرت في افئدتهم نار الحسد « فساروا إلى يحيى بن العزيز بأولادهم، وجعلوهم رهائن عنده، وطلبوا منه أن يرسل معهم عسكراً ليملكوا له المهدية فأجابهم إلى ذلك »[7].

---

1) ابن الاثير،المصدر السابق، ج8،ص102 ؛ النويري،المصدر السابق،ج24،ص124؛ .ادريس هادي،المرجع السابق،ج1،ص315.

2) ابن عذارى،المصدر السابق،ج1،ص300؛ابن الاثير،المصدرالسابق،ج8،ص ص124-125؛ادريس هادي،المرجع السابق،ج1،ص322؛ عويس المرجع السابق،ص133.

3) ابن الاثير،المصدرالسابق،ج8،ص102؛النوير،المصدرالسابق،ج 24،ص124؛عويس المرجع السابق،ص 132.

4) ابن الاثير،المصدر السابق، ج8،ص102 ؛ النويري،المصدر السابق،ج24،ص124؛ .ادريس هادي،المرجع السابق،ج1،ص316.

5) ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص27.

6) ابن عذارى،المصدر السابق،ج1،ص312؛ابن الأثير،المصدر السابق،ج8،ص350؛ابن أبي دينار،المصدر السابق،ص90؛ ادريس هادي،المرجع السابق،ج1،ص408؛ عويس المرجع السابق،ص158.

7) الكامل في التاريخ،ج8،ص350.

أما ابن أبي دينار فيعيد سبب ذلك إلى تذمر الأمير الحمادي يحي بن العزيز من الأمير الزيري ، الذي رضخ لشروط ملك صقلية،رجار الثاني، ورضي منه بصلح مهين « فكاتب أهل المهدية يحي بن العزيز الحمادي صاحب بجاية وأطمعوه بتسليم البلد»[1]**.**

أما التيجاني فيعيده إلى وجود خلاف بين الأميرين الصنهاجيين وهو «ما اوجب أن يبعث يحي في هذه المدة لمحاصرته بالمهدية أسطولا في البحر وجيشا في البر»[2]**.**

وكان ذلك بقيادة الفقيه مطرف ابن حمدون، الذي فرض حصارا على المدينة براً وبحراً،وأبدى في بداية الأمر، تورعا عن سفك الدماء بقوله « إنما أتيت الآن لأتسلم البلد بغير قتال»[3]**، وبعد مرور سبعين يوما من الحصار، يئس من استسلام خصومه،فشرع في اقتحامها براً وبحراً،وقاتل قتالا شديدا، وأحكم قبضته على الشاطئ،واقتربت سفنه من سور المدينة، لكن الأمير الزيري، تمكن من فك الحصار عن مدينته، بعد أن استنجد بملك صقلية رجار الثاني**[4]** الذي «بعث أسطولا عظيما وأمر مقدم الأسطول أن يقف عند أمر الحسن ونهيه»**[5]**، كما أمده ميمون بن زياد بقوات عربية من البر، فلما رأى مطرف، النجدات تصل إلى الحسن ، رفع الحصار، ورحل عن المهدية**[6]**.**

وقد عكس هذا الهجوم استمرار حدة الصراع الحمادي الزيري، من جهة، وقصر نظر الدولتين في ادراك ما كان يجري حولهما من تحولات داخلية وخارجية من جهة أخرى،بحيث وفر استمرار هذا الصراع، على المستوى الداخلي، فرصة للموحدين لكسب المزيد من التأييد الشعبي لتولي شؤون المنطقة، على إعتبار أن الكيانات السياسية لبلاد المغرب، أصبحت عاجزة ومتخاذلة في صدّ الأخطار الاجنبية المحدقة بها، وعلى

---

1) المؤنس في اخبار افريقية وتونس،ص90.

2) رحلة التجاني، ص ص339 340؛ غلبون(ابو عبدالله محمدبن خليل الطرابلسي)،تاريخ طرابلس الغرب فيمن ملك طرابلس وماكان بها من الاخبار المسمى التذكار،تصحيح وتعليق الطاهراحمد الزاوي،(المطبعة السلفيةالقاهرة1439)،ص44.

3) ابن الأثير،المصدر السابق،ج8،ص350.

4) نفسه؛ ابن خلدون المصدر السابق،ص215؛غلبون الطرابلسي،المصدر السابق،ص44.

5) ابن أبي دينار،المصدر السابق،ص90.

6) ابن الأثير،المصدر السابق،ج8،ص350؛ ابن خلدون المصدر السابق،ص215؛ غلبون الطرابلسي،المصدر السابق،ص44؛ ادريس هاد ي روجي ،المرجع السابق،ج1،ص404؛عويس عبدالحليم،المرجع السابق،ص162.

المستوى الخارجي أغرى هذا الصراع،النورمان والجمهوريات الايطالية كبيزا وجنوة والبندقية، لتجسيد مشاريعهم التوسعيةعلى حساب الكيانين معا،ففي سنة528-529هـ/ 1135م، شنت بيزة بالتعاون مع جنوة وبروفانس، هجوما على عنابة امتد إلى سواحل افريقية ، وتمكنت تلك الجمهوريات من الاستيلاء على طبرقة واستغلوا رصيفها المرجاني سنة534هـ /1140م [1]، كما كثّف النورمان غاراتهم البحرية على سواحل الدولتين فاحتلوا جزيرة جربة سنة529هـ /1135م، وهاجموا مدينة جيجل سنة537هـ/1143م، ومدينة برشك سنة 539هـ /1145م، وتمكنوا من الاستيلاء على مدينة طرابلس سنة 540هـ /1146 م، وعلى المهدية سنة543هـ/1148[2] ، مما ساهم في اضعافهما وجعلهما يتوفران على اسباب الزوال والإندثار.

أظهرت المواجهات العسكرية التي تمت بين الدولتين الزيرية والحمادية، رغبة كل طرف في اقصاء الاخر، و فوّتت عليهما فرصة اقامة دولة صنهاجية واحدة، ذات نفوذ قوي في بلاد المغرب،تكون قادرة على مواجهة التحديات المستقبلية التي سوف تشهدها المنطقة برمتها.

كما تسبب ذلك الخلاف الى لجوء كل منهما الى فرض حصار عسكري على عاصمة الاخر،من أجل إرغامه على الاستسلام، وذلك في ثلاث مناسبات:

اولاها سنة 406هـ/1015م عندما فرض الأمير الزيري باديس بن المنصور، بعد انتصاره على عمّه حمّاد في معركة الشلف، حصارا على القلعة ، ناهز الستة أشهر[3]،نجم عنه نقص مواد التموين و إرتفاع الأسعار ،والى إحراج حمّاد امام رجاله، الذين فضّل الكثيرمنهم التخلي عنه،لا سيما بعدان تناهت الى مسامعهم المنح التي كان يقدّمها باديس لاتباعه حيث كان يعطي الواحدا منهم،مابين خمسمائةالى الفي

---

1) de mas laterie ,traités de paix et de commerce et ducuments divers relations avec les arabes de l afrique septentrionale concernant les imprimeur–,paris 1866,p8 ; au moyen age,henri plon editeur

ادريس روجي هادي،المرجع السابق،ص ص 404 405 ؛

2) انظر ماقبله ص ص 37 -38.

3) ابن الاثير،المصدر السابق،ج7،ص277؛ النوري،المصدر السابق،ج24،ص109؛ ادريس هادي روجي ،المرجع السابق،ج1،ص153؛بورويبة رشيد،المرجع السابق،ص27.

دينار[1]،الامر الذي دفع حمّاد الى الكذب على من بقي معه، وذلك بتحرير، رسائل وهمية يدّعي فيها تارة ان باديس ينوي الرحيل الى افريقية، وتارة اخرى يطلبه للصلح،الى غير ذلك مما كان يختلقه. وفي الوقت الذي تضاعلت فيه فرص الخلاص لحمّاد ولمن بقي معه،وزادت مقدرة باديس من الاستيلاء على القلعة واسترجاع المغرب الاوسط[2] ،توفي فجأة في30 ذي القعدة406 /10ماي 1016[3]،فوضع حد لذلك الحصار الذي كاد يقضي على حلم حمّاد في تاسيس امارة.

لكن الزيريون فرضوا حصارا ثانيا على القلعة سنة432هـ /1040-1041م دام سنتين [4]، لما نبذ الامير القائد بن حمّاد -مثل والده حمّاد- طاعة الفاطميين ودعا إلى بني العباس[5]، الامرالذي اعتبر تحديا لصلاحية الاميرالمعز ،فزحف بجيشه على القلعة،التي لم يرفع عنها الحصار الاّ بمقتضى صلح عقد بينهما [6].

ويرى عبدالحليم عويس أنّ الدافع الحقيقي لموقف المعز، هو حرصه ،على إبقاء الوصاية الزيريةعلى الدولة الحمادية،على الأقل في مجال الشؤون الخارجية[7]،وليس الزام القائد بن حمّاد بطاعة العبيديين، وإلاّ كيف نفسر ميول المعز السنية منذسنة 407هـ/1016م[8]والتي توجها سنة435هـ/ 1043-1044م[9] بإحداث القطيعة مع الفاطميين الذين انتقموا منه بالسماح لبني هلال باكتساح المغرب سنة443ه/1051م[10].

---

1) النويري،المصدر السابق،ج24،ص109؛هادي روجي ادريس،المرجع السابق،ج1،ص153.

2) النويري،المصدر السابق،ج24،ص109.

3) ابن عذارى،المصدر السابق،ج1،ص266؛ابن الاثير،المصدر السابق،ج7،ص277؛ النويري، المصدر السابق ،ص**109**؛هادي روجي ادريس،المرجع السابق،ج1، ص154.

4) ابن عذاري المصدرالسابق،ج1،ص275؛ابنالاثير،المصدرالسابق،ص29؛النويري،المصدرالسابق،ج24،ص 116.

5) ابن الخطيب،نفس المصدر،ص86؛الجيلالي عبدالرحمان،المرجع السابق،ص366عويس،المرجع السابق،ص 116

6) ابن خلدون،المصدرالسابق،ج6،ص229؛ادريس ،المرجع السابق،ج1،ص196؛عويس،المرجع السابق، ص116.

7) المرجع السابق،ص171.

8) ابن الاثير،المصدر السابق،ج7، ص295؛النويري ،نفس المصدر، ج24، ص 111؛ ادريس هادي روجي ،المرجع السابق،ج1،ص196.

9) ابن الاثير،المصدر السابق، ص39؛النويري ،نفس المصدر، ج24، ص 116؛ابن ابي دينارنفس المصدر ، ص81؛ابن خلكان،المصدر السابق،ص ص 229 230.

10) ابن عذاري،المصدر السابق،ص ص 289 290؛ابن الاثير،المصدر السابق،ص ص 55 56؛ابن خلدون المصدر السابق،ص 211؛ النويري المصدرالسابق،ص ص119 .

ومن جهتهم فرض الحماديون حصارا على المهدية سنة529هـ/113م ،براً وبحراً، ولمدة سبعين يوما،على يد قائدهم مطرف ابن حمدون،الذي فشل في اخضاع المدينة،بسبب الإمدادات التي قدّمها ملك صقلية،رجارالثاني،والقائد العربي ميمون بن زياد،للأمير الزيري الحسن بن علي[1].

وفي خضم العلاقات العدائية بين الدولتين،لجأ بعض الأمراء،الى حبك المؤامرات ضد بعضهم البعض،وابرز نموذج ذلك،المؤامرة التي نسج خيوطها الامير الزيري، تميم بن المعز، ضد الناصر بن علنّاس قبل معركة سبيبة سنة457 هـ/1069م،التي«كان من أعظم الأسباب في ذلك ما أبرمه تميم في أمره»[2]، فبعد ان تأكد الأمير الزيري من أن الناصر بن علنّاس يذمه في مجلسه ، وأنه عزم على المسير إليه ليحاصره بالمهدية، بمساعدة حلفائه من زناته،وبني هلال ،أرسل تميم إلى أمراء بني رياح، وقال لهم: أنتم تعلمون أن المهدية حصن منيع، أكثره في البحر،يستطيع حمايته أربعون رجلاً، وإنما جمع الناصر هذه العساكر إليكم، فقالوا له: الذي تقول حق، ونحب منك المعونة، فأمر لهم بعشرة آلاف دينار، لكل أمير منهم ألف دينار،وألف درع، وألف رمح،وألف سيف هندي، عندئذ أكمل بنو هلال هذه المؤامرة فأرسلوا شيخين سراً إلى إخوانهم المتواجدين في معسكر الأمير الحمادي الناصر فقالا لهم: كيف وقعتم في هذا الأمر وأردتم إتلاف ملككم؟ هذا الناصر قد سمعتم غدر جده حمّاد لباديس، وغدر بنيه بعضهم بعضاً، وقد اتفق مع زناته، فإذا وطئ افريقية مع حلفائه يخرجنا وإياكم منها. فقالا لهما مشايخ بني هلال: والله، لقد صدقتم. فإذا التقينا فقاتلونا فإنا ننهزم ونرجع عليهم.فإذا ملكنا رقابهم كان لنا من الغنيمة الثلث ولكم الثلثان. فقال الشيخان: رضينا[3]، و بقدر ما نجحت هذه المؤامرة في انقاذ ما تبقى من ملك الزيريين، بقدر ماكانت كانت انعكاساتها وخيمة على الحماديين[4].

---

1) انظر ما قبله ص30.
2) ابن عذارى،المصدر السابق،ج1،ص299.
3) ابن الاثير،المصدر السابق،ج7، ص101؛النوير، نفس المصدر، ج24، ص 122 123؛ هادي روجي ادريس،المرجع السابق،ج1،ص ص 305-306؛عويس،المرجع السابق،ص130.
4) انظر ما قبله ص ص28-29.

كما شارك الامير الزيري تميم بن المعز في المؤامرة الخطيرة، التي استهدفت الدولة الحمادية، سنة487هــ /1094م،في عهد المنصور بن الناصر،والتي نجح فيها المتمرد، ابا يكنى، والي المنصور على قسنطينة وبونة ،في اقناع الامير الزيري ، بدعم حركته الانفصالية،إذ طلب منه ضم مدينة بونة الى امارته، فاستجاب له، وارسل ابنه، أبا الفتوحبن تميم، لتولى شؤون المدينة،تزامن ذلك مع سعي ابا يكنى الى استمالة بعض العرب إلى صفه و اتصاله بالمرابطين بالمغرب الاقصى لنفس الغاية[1].

ان مشاركة تميم بن المعز في هذه المؤامرة،التي نجح الامير الحمّادي المنصور في اخمادها، يؤكد حرص الزيريين على استغلال اية فرصة من شانها تقليص نفوذ الحماديين وزعزعة اوضاعهم الداخلية.

وفي سياق العلاقات العدائية بين الطرفين،سعى بعض الامراء الحماديين الى توسيع نفوذهم الجغرافي على حساب جيرانهم الزيريين،مستغلين في ذلك ضعفهم الناجم عن توغل بني هلال الذين «استحوذوا على كثير من حواضر افريقية »[2]، بعد انتصارهم في معركة حيدران سنة443هــ/1051م[3].

فالامير الحمادي الناصر بن علناس (454 -481 هــ /1062-1088 م) ضمّ لدولة مدينة صفاقس، بعدما وجه له حاكمها حمو بن مليل البرغواطى رسالة بايعه فيهااضافة الى هدية ثمينة، كما وفد عليه أهل قسطيلية وعلى راسهم يحيى بن واطاس، لتقديم شواهد الطاعة والإخلاص، فأجزل لهم العطاء وولّى عليهم يوسف بن خلوف[4]،و التحق به اهل تونس التي عين عليها الناصر عبدالحق بن عبد العزيز بن خراسان [5]، وفي سنة460هــ/1066-1067م« حاصر الناصر بن علناس بن حمّاد مدينة الأربس، وكان معه الأثبج من العرب، وبقي عليها حتى افتتحها وأمن أهلها»[6]،و بايعه في نفس

---

1) ابن خلدون، المصدر السابق،ج6،ص ص232-233.
2) ابن عذاري،المصدر السابق،ص315؛وعن اقتسام بطون بني هلال لافريقية انظرابن خلدون، المصدرالسابق، ج6 ، ص ص21 22.
3) ابن عذاري،المصدر السابق،ج1،ص ص 289 290؛ابن الاثير،المصدر السابق،ج8، ص ص 55 56؛ابن خلدون المصدر السابق،ص 211؛ النويري، المصدر السابق،ج24، ص 119 .
4) ابن خلدون، المصدر السابق،ج6،ص230.
5) ابن عذارى،المصدر السابق،ج1،ص315؛ ابن خلدون، المصدر السابق،ج6،ص217.
6) ابن عذارى،المصدر السابق،ج1،ص299.

السنة اهل القيروان[1] وعلى الجملة «صارت صاغبة أهل افريقية إلى بني حماد »[2].

كما تمكن الحمّاديون في عهد العزيز بن المنصور (498-515 هـ/1104-1121م) من ادخال جزيرة جربة ضمن سلطتهم مستخدمبن اسطولهم البحري[3]،وفي عهد يحي بن العزيزكررالحمّاديون غزوهم لتونس سنة 52هـ/1128م على يد القائد مطرف بن على بن حمدون الذي تمكن من اخراج صاحبها أحمد بن عبد العزيز ونقله إلى بجايةبأهله وولده بعدما ولى على تونس كرامة ابن المنصورعم يحيى بن العزيز [4]، وظلت تونس بعد ذلك تابعة للحماديين إلى أن استولى النورمان على المهدية سنة 543هـ/1148م[5].

إن تعدد محاولات الحماديين لتوسيع نفوذهم شرقا، دفع الزيريين إلى حماية كيانهم بكل الطرق، بما فيها الاستنجاد بأعدائهم النورمان، مثلما فعل أخر أمرائهم الحسن بن علي الذي استنجد بملك صقلية روجار الثاني ،فامدّه باسطول بحري [6].

وعلى الرغم من أنّ الخط العام لعلاقات الدولتين، سار في إتجاه العداء والتأزم، إلاّ انّ ذلك، لم يمنع من بروز بعض مظاهر الود بينهما، من حين لأخر ، مثل إبرام عقود صلح والمصاهرة ، واقامة التعاون وتبادل السفارات:ففي سنة 408هـ/1018م، عُقد صلح بين حمّاد و المعز بن باديس، افضى الى الميلاد الرسمي للدّولة الحمّادية والى وضع حد لصراع مرير استنزف قواهما لمدة ثلاث سنوات(405-408هـ /1015-1018م) .

ويبدو ان الظروف التي احاطت بكل طرف، هي التي دفعته إلى الاقبال على هذا الصلح، فحمّاد بعد انهزامه امام باديس، في معركة الشلف سنة406هـ / 1016م [7]، وتعرض عاصمته، القلعة، لحصار دام ستة اشهر[8]، وانهزامه امام المعزبن باديس

---

1) ابن عذارى،المصدر السابق،ج1،ص315؛ابن خلدون، المصدر السابق،ج6،ص230؛ابن الخطيب،المصدر السابق،ج3،ص96.
2) ابن خلدون، المصدر السابق،ج6،ص217.
3) ابن خلدون، نفس المصدر،ج6،ص234؛عويس،المرجع السابق،ص150.
4) ابن عذارى،المصدر السابق،ج1،ص ص315 316؛ ابن خلدون، المصدر السابق،ج6،ص ص217 218.
5) ابن عذارى،المصدر السابق،ج1،ص ص315 ؛ ابن خلدون، المصدر السابق،ج6،ص ص217 .
6) ابن خلدون، المصدر السابق،ج6،ص 215.
7) ابن خلدون،المصدر السابق،ص228؛النويري،المصدر السابق، ج24،ص109.
8) ابن الاثير،المصدر السابق،ج7،ص 277النويري،المصدر السابق،ج24،ص 109.

قرب باغاية سنة (408هـ/1017م) [1]، لم يعد في وسعه مواصلة القتال،فالامير المعز الذي استلم الحكم في سن الثامنة، اصبح متوجسا من رد فعل فاطمي يأتيه من الشرق،بعد الاضطهاد الذي تعرض له الشيعة في القيروان سنة407هـ/1016 م[2]، فسعى الى تلبية طلب عم ابيه للصلح، لكي يُؤّمن الجهة الغربية، التي اثبّت فيها حمّاد، مقدرته في رد الغارات الزناتية.

وبمقتضى هذا الصلح كتب المعز لحماد «منشوراً بولاية المسيلة وطبنة ومرسى الدجاج زواوة و مقّرة ودكمة وبلزمة وسوق حمزة»[3]والزاب واشير وتاهرت وما يفتحه من بلاد المغرب «ورفعت الحرب أوزارها من يومئذ واقتسموا المظلة والتحموا بالاصهار وافترق ملك صنهاجة إلى دولتين دولة آل المنصور بن بلكين أصحاب القيروان ودولة آل حماد بن بلكين أصحاب القلعة »[4].

وقد ساهم هذا الصلح في ايجاد هدنة بين الطرفين استمرت من 408هـ/1017-1018م إلى غاية432هـ/1040-1041م وهي السنة التي فرض فيها المعز بن باديس، حصارا على القلعة لمدة سنتين انتهى بعقد صلحا ثانيا بينه و بين القائد بن حمّاد لم تعرف تفاصيله[5].

وعقد الناصر بن علناس مع تميم بن المعز صلحا ثالثا سنة470هـ /1077-1078م، على خلفية الصدمة التي تركتها معركة سبيبة سنة457هـ/ عليهما، فالامير الزيري تميم« أصابه حزن شديد»[6] ورفض بعد هذه المعركة اخذ اسلاب ابن عمه وقال للعرب الذين اتوه بألوية وطبول وخيم ودواب الناصر«يقبح بي أن آخذ سلب ابن عمي»[7]، ومن جهته ندم الامير الحمادي الناصر لخوضه هذه المعركة وسعى إلى

1) ابن الاثير،المصدر السابق،ج7،ص 278؛ النويري،المصدر السابق،ص114.
2) ابن الاثير،المصدر السابق،ج7، ص295؛النويري ،نفس المصدر، ج24، ص ص 111 - 112.
3) النويري،المصدر السابق،ج24،،ص114 .
4) ابن خلدون، المصدر السابق،ص210.
5) ابن خلدون،المصدرالسابق،ج6،ص229؛ادريس هادي،المرجع السابق،ج1،ص196؛عويس،المرجع السابق،ص 116؛خضيري حسن احمد،علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب،(مكتبة مدبولي-القاهرة-بدون تاريخ)،ص78.
6) ابن الاثير ، المصدر السابق،ج8ص101؛ النويري،المصدر السابق،ج24،ص124.
7) ابن الاثير ، المصدر السابق،ج8ص101؛ النويري،المصدر السابق،ج24،ص124.

التصالح مع ابن عمه بواسطة وزيره أبو بكر بن أبي الفتوح الذي لم يفوت الفرصة لتأنيبه قائلا«ألم أشر عليك أن لا تقصد ابن عمك، وأن تتفقا على العرب، فإنكما لو اتفقتما لأخرجتما العرب.فقال الناصر: لقد صدقت، ولكن لا مرد لما قدر، فأصلح ذات بيننا»[1] ورغم قناعة الطرفين بهذا الصلح ،إلاّ أنّه تاجل ثلاثة عشر سنة كاملة،بسبب اكتشاف تميم البعبع،الذي اشار على الناصر ببناء مدينة بجاية، ليتخذها منطلقا للاستيلاء على المهدية وسائر افريقية[2].

و ساهمت ظروف الطرفين مرة أخرى في تقاربهما، فالامير الحمادي الناصر اصبح مرغما على التكيف مع توغل بني هلال في امارته من جهة[3]،ومنشغلا بتعدد غارات قبيلة زناتة المدمرة على المسيلة واشيرو مليانة والمديةو الزاب[4]من جهة اخرى،في حين كان الاميرالزيري تميم بن المعز، احوج ما يكون إلى هذا الصلح،بعد فشل محاولاته في ترسيخ نفوذه في جزيرة صقلية،وهزيمة جيوشه امام النورمان[5]،وتم هذا الصلح الذي لم تعرف لامقدماته ولابنوده[6]سنة 470هــ/1077-1078م[7]،ولم تشهد علاقاتهما بعده صداما عسكريا إلى سنة522هــ/1128م لمّا حاول الحمّاديون اقتحام المهدية[8].

وفي كل مرة كان يعقد صلح بين الدولتين، كان يوطّد بإقامة علاقة مصاهرة بين الاسرتين الحاكمتين،وفي هذا السياق جاء زواج عبدالله بن حمّاد من ام العلو، اخت

---

1) **ابن الاثير،المصدر السابق، ج8،ص102 ؛ النويري،المصدر السابق،ج24،ص**124.

2) **ابن الاثير،المصدر السابق، ج8،ص102 ؛ النويري،المصدر السابق،ج24،ص**126 .

3) **ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص ص27-28؛عويس،المرجع السابق،ص125؛خضيري حسن احمد ،المرجع السابق،ص80.**

4) **ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص231.**

5) **في سنة**461**هــ/**1068-1069**م ارسل تميم اسطولا بقيادة ابنيه ايوب وعلي،الذين عادا خائبين منها بعد ما وقع«بين أهل المدينة وبين عبيد تميم فتنة أدت إلى القتال، ثم زاد الشر بينهم، فاجتمع أيوب وعلي أخوه، ورجعا في الأسطول إلى إفريقية سنة إحدى وستين، وصحبهم جماعة من أعيان صقليةوالأسطولية،ولم يبق للفرنج ممانع، فاستولواعلى الجزيرة»(ابن الاثير،المصدرالسابق،ج ،ص**185**)؛ عن هذه الانتكاسة الزيرية في صقلية، انظر هادي روجي ادريس،المرجع السابق،ج1،ص333 فما بعدها من عدة صفحات.**

6) **هادي روجي ادريس،المرجع السابق،ج1،ص322.**

7) **بن عذارى،المصدر السابق،ج1،ص300؛ابن الاثير،المصدر السابق، ج8، ص ص124 125؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص 127.**

8) **ابن عذارى،المصدر السابق،ص**310.

المعز بن باديس، في سنة 415هـ /1024-1025م[1]،تأكيدا لروابط الود التي اصبحت قائمة بينهما منذ الصلح الذي عُقد بين حمّاد والمعز سنة 408هـ /1017-1018م، وبهذه المناسبة، بالغ المعز في الإنفاق على مراسيم هذا الزواج، حيث«زُين الإيوان المعظم للسيدة الجليلة أم العلو ن ودخل الناس خاصة وعامة، فنظروا من صنوف الجوهر والأسلاك والأمتعة النفيسة وأواني الذهب والفضة ما لم يعمل مثله، ولا سمع لأحد من الملوك قبله... فبهر عيون الخلق حال ما عاينوه، وأبهتهم عظيم ما شاهدوه، وحمل جميع ذلك إلى الموضع الذي ضربت فيه الأبنية والأخبية، وحمل المهر في عشرة أحمال على البغال على كل حمل جارية حسناء، وجملته مائة ألف دينار عينا. وذكر بعض حذاق التجار أنه قوم ما هو لها، فكان زائد على ألف ألف دينار وهذا ما لم يُر قط لامرأة قبلها بأفريقية»[2].

وتاكيدا للصلح الذي عقد بين الناصر بن علنّاس و تميم بن المعز سنة470هـ /1077 -1078م،تزوج الامير الحمادي الناصر، من بلارة، ابنة تميم، في هذه السنة، وقد انفق الناصر بن علنّاس « من الحلي والجهاز ما لا يحد، وحمل النّاصر ثلاثين ألف دينار، فأخذ منها تميم ديناراً واحداً ورد الباقي»[3]،ومن حبّ الناصر لهذه الاميرة، بنى لها قصورا بالقلعة وبجاية، منها قصر بلارة بالقلعة،وانجبت له الاميرة عددا من الابناء،منهم المنصور الذي خلف اباه على الامارة الحمّادية[4].

و كانت المصاهرة الثالثة في سنة 509هـ/1015-1016،بزواج الامير الحمادي العزيز بن المنصور،من بدر الدجى، بنت الامير الزيري يحي بن تميم[5].

و لم يتمخض عن علاقات المصاهرة المتعددة، ان انتقل في أي مرة، حكم احدى الدولتين إلى الاخرى عن طريق الوراثة الاسرية.

---

1) ابن عذاري،المصدر السابق،ج1،ص ص272 ؛ هادي روجي ادريس،المرجع السابق،ج1،ص179؛ عويس، المرجع السابق،ص113.

2) ابن عذاري،المصدر السابق،ج1،ص ص272 -273.

3) ابن عذارى،المصدر السابق،ج1،ص300؛ابن الاثير،المصدر السابق، ج8، ص ص125؛النويري،المصدر السابق، ج24، ص 127.

4) هادي روجي ادريس،المرجع السابق،ج1،ص322.

5) ابن عذارى،المصدر السابق،ص306؛عويس عبدالحليم،المرجع السابق،ص180.

وشهدت العلاقات الودية بين الدولتين،تبادل الرسل والسفراء، في محاولة منهما لحل خلافاتهما بطرق سلمية،ولهذا الغرض،«بقي القائد يتردد إلى المعز»[1]،و وفد الفقيه ابو القاسم بن ابي مالك سنة438هـ/1046م على «القيروان رسولاً من قبل ابن حمّاد، على المعز، سنة ثمان وثلاثين،فخاطب بأبلغ خطاب،وأحسنه،وألطفه ،ولقي مسرة من السلطان»[2].

وبعد معركة سبيبة457هـ/1067م تبادلا الطرفان الرسل، فارسل الامير الحمادي الناصر بن علنّاس، رسولا إلى الامير الزيري، تميم بن المعز يعرض عليه الصلح، فاستجاب له ، وارسل محمد بن البعبع لنفس الغاية[3]، كما كان يتم بين الطرفين تبادل الرسائل و الوفود لغرض التعزية والتهنئة عقب وفاة امير، وتولية اخر، مثل مراسلة المعز لتعزية القائد بن حمّاد، في وفاة أبيه حمّاد سنة419هـ/1028-1029 [4]،وارسال النّاصر بن علناس سنة 454هـ /1062م رسالة إلى تميم تتضمن تعازيه، في وفاة ابيه المعز، وتهنئته بتوليته من بعده[5]،وردّ تميم بمثل ذلك عند وفاة النّاصر بن علناس وتولية ابنه المنصور سنة481هـ /1088-1089 [6].

ومن مظاهر التعاون النادر بين الدولتين، إشتراك عبد الله ابن حمّاد، في المواجهة التي خاضها الامير الزيري المعز بن باديس ضد الزناتيين بنواحي طرابلس، سنة**430**هـ حيث دفع عبد الله ابن حماد حياته ثمنا لهذه المواجهة ووقعت زوجته، ام العلو –اخت المعز–في اسر الزناتيين، الذين اطلقوا سراحها بعد مدة من الإحتجاز [7]، وتكرر هذا المظهر اثناء مقاومة المعز بن باديس للزحف الهلالي لما فانجده القائد بن

---

1) النويري،المصدر السابق، ج**24**، ص **114**.
2) عياض القاضي،ترتيب المدار وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك،ضبطه وصححه محمد سالم هاشم،منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت،الطبعة الاولى1418هـ/1998،ج2،ص332؛ ادريس هادي روجي ،المرجع السابق،ج**1**،ص**196**.
3) ابن الاثير،المصدر السابق، ج**8**،ص**102** ؛ النويري،المصدر السابق،ج24،ص ص124-125. .
4) النويري،المصدر السابق،ج24،ص115؛ هادي روجي ادريس،المرجع السابق،ج**1**،ص**194**.
5) النويري،المصدر السابق،ج24،ص121.
6) ابن الاثير، نفس المصدر،ج**8** ،ص**147**.
7) ابن خلدون المصدر السابق،ج7،ص58؛ ادريس هادي روجي ،المرجع السابق،ج**1**،ص**204**.

حمّاد بن بلكين، بكتيبة من ألف فارس [1]،غير ان هذه الكتيبة فضلت الانسحاب عندما حمي وطيس معركة حيدران (443هـ/1051م).

إن العلاقات الحمادية الزيرية طغى عليها طابع العداء والتأزم بفعل الاحقاد والاطماع المتوارثة بين الدولتين، وأنّ مظاهر الود التي كانت تطفو بينهما من حين إلى اخر كانت شكلية، ولم تغير من هذا الطابع شيئا.

ثانيا:العلاقات الحمادية الفاطمية

كانت تلك العلاقات تستمد جذورها،من علاقة الدولة الفاطمية بقبيلة صنهاجة،التي انحدرت منها الدولة الحمّادية،فبعدما قرّر الفاطميون الرحيل إلى مصر سنة361هـ/ 972م[2]،تركوا حكم بلاد المغرب لقبيلة صنهاجة التي كان يتزعمها انذاك،والد حمّاد، بلكين بن زيري، عرفانا بجميل ومكانة هذه القبيلة، التي ساعدتهم على ترسيخ نفوذهم في المنطقة،اثناء صراعهم مع قبيلة زناته،وحلفائها الامويين في الاندلس[3]،لكن الصنهاجيين لم يستسيغوا المذهب الشيعي الدي تركه لهم الفاطميون،الذي نفر منه سكان المنطقة رغم محاولات الخلفاء الفاطميين فرضه بالقوة[4]،وقد بادر حمّاد اثناء سعيه إلى تأسيس دولته عن الدولة الأم، إلى نبذ طاعة الفاطميين سنة405هـ /1015 م،حيث « قتل الرافضة وأظهر السنة ورضى عن الشيخين ونبذ طاعة العبيديين جملة وراجع دعوة آل العباس لهم»[5]،وبذلك سبق الزيريين في هذه القضية بثلاثين سنة[6]، كما خلع القائد بن حمّاد طاعة الفاطميين ودعا إلى بني العباس[7]،وهو ما اعتبره الأمير

---

1) ابن خلدون المصدر السابق،ج6،ص20.

2) ابن الاثير،المصدر السابق ,ج6,ص 45؛المقريزي،المصدر السابق،ص134؛النويري،المصدرالسابق،ج24، ص93؛وحسب ابن خلدون وابن الخطيب ان رحيل المعز تم في 362هـ (ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص206 ؛ ابن الخطيب،المصدر السابق,ج 3 ص65).

3) ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص 203 204.

4) ابن عذاري،المصدرالسابق،ج1،ص159؛مرمول محمدالصالح،المرجع السابق،ص141فمابعدها من عدة صفحات.

5) ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 228.

6) ابن الاثير،المصدرالسابق،ج8،ص39؛النويري،المصدرالسابق،ج24، ص116؛ مارسي جورج،المرجع السابق، ص 190؛ حسن خضيري احمد،المرجع السابق،ص ص76-77.

7) ابن الخطيب، المصدر السابق،ص86؛الجيلالي عبدالرحمان،المرجع السابق،ص366عويس،المرجع السابق،ص 116

الزيري المعز تحديا لصلاحياته، بصفته ممثلا للخليفة الفاطمي في بلاد المغرب فزحف سنة 432هـ/1040-1041م،على القلعة،وفرض عليها حصارا لمدة سنتين[1]،وتحولت مسالة موقف الحماديين من الدولة الفاطمية فيمابعد،إلى ورقة سياسية يستخدمونها ضد جيرانهم الزيريين لاثبات استقلاليتهم،ورفع الوصاية الزيرية عن دولتهم في مجال السياسة الخارجية.

ففي الوقت الذي كان فيه الزيريون يدفعون ثمن قطيعتهم مع الفاطميين،على يد العرب الهلاليين، بعد هزيمتهم المنكرة في معركة حيدران سنة(443هـ/ 1051م)[2]، أعلن القائد ولاءه لحكام القاهرة،ونال منهم لقب شرف الدولة[3]،ومثّل ذلك اول اتصال رسمي بين الفاطميين و الحماديين، ولما رجع الامير الزيري إلى طاعة الفاطميين سنة 446هـ/1054م، بعد الذي لحقه من اذى العرب الهلاليين،واصبح عنده مبعوث العباسيين،أبو الفضل محمد بن عبدالواحد البغدادي الدريمي ضيفا غير مرغوب فيه، لم يجد الامير الحمادي بلكين بن محمد أي حرج في استقباله في امارته و اصطحابه معه في غزواته المتكررة[4]، وهكذا وظف الحمّاديون علاقاتهم مع الفاطميين ضمن لعبة التوازنات وتغييرالمعسكرات طبقا لتغير الخصوم[5]، ولسان حالهم يقول ليس هناك صديق دائم وليس هناك عدو دائم وانمّا هناك مصلحة دائمة.

ويبدو ان الفاطميين في اواخر عهدهم[6]، حرصوا على المحافظة على الجسور التي كانت تربطهم ببلاد المغرب بعد الذي تعرضت له علاقاتهم بالمنطقة من فتور وصل إلى

---

1) ابن عذاري المصدر السابق،ج1،ص275؛ابن الاثير،المصدر السابق،ص29؛النويري،المصدر السابق، ج24، ص 116؛ حسن خضيري احمد،المرجع السابق،ص 78.
2) ابن عذاري،المصدرالسابق،ص ص289- 290؛ابن الاثير،المصدرالسابق،ص ص55-56؛ابن خلدون المصدرالسابق،ص211؛ النويري المصدرالسابق،ص ص119 120؛ ادريس روجي ، المرجع السابق،ج1،ص ص 256-257؛ مارسي جورج ،المرجع السابق ،ص222.
3) ابن خلدون نفس المصدر،ص229؛الجيلالي عبدالرحمان،المرجع السابق، ص366؛بونار رابح،المرجع السابق،ص208؛ حسن خضيري احمد،المرجع السابق،ص 78.
4) ابن بسام، المصدر السابق، القسم الرابع،المجلد الأول،ص89؛ هادي روجي ادريس، المرجع السابق،ج1، ص 290، بوروبة رشيد، المرجع السابق،ص ص 55.
5) حسن خضيري احمد،المرجع السابق،ص79.
6) سقطت الخلافة الفاطمية على يد صلاح الدين الايوبي سنة567هـ/1171م (ابن الاثير،المصدر السابق، ج9، ص111.).

حد القطيعة بينهم وبين الزيريين[1]، فبذلوا لاجل ذلك الهدايا، مثل المركب الذي انطلق من الاسكندرية سنة 536هـ/1044م محملا«ببضائع عظيمة لها شأن وأثمان للتجار وهدية إلى صاحب بجاية»[2]،غير ان هذا الاسلوب لم يثني اخر امراء بني حماد يحي بن العزيزمن استبدال عملتهم سنة543هـ/1147م بعملة حمّادية،اعلن بواسطتها ولاءه للخليفة العباسي أبي عبد الله المقتفى لامر الله[3] .

وخلاصة القول ان الحماديين سعوا إلى توظيف موقفهم من الخلافة الفاطمية توظيفا مزدوجا،فلما قطعوا علاقاتهم مع الفاطميين كانوا يستهدفون كسب تاييد سكان المغرب الساخطين على المذهب الشيعي، ولما اقاموا جسور اتصال معهم فكان هدفهم انقاذ امارتهم من العقاب الذي حل بخصومهم الزيريين على يد بني هلال بايعاز من الفاطميين[4]،من جهة،ومن جهة أخرى، اتاحة الفرصة لقلعة بني حماد وبجاية لاخذ مكانة القيروان الفكرية والتجارية[5] في بلاد المغرب.

العلاقات الحمادية المرابطية

تاثرت العلاقات المرابطية الحمادية بجملة من المعطيات منها،وشائج القربى التي تربط الدولتين بحكم انتمائهما المشترك إلى قبيلة صنهاجة[6]،التي تصدرت المشهد السياسي لبلاد المغرب طوال القرن الخامس ومنتصف القرن السادس الهجريين،القرن 11ومنتصف القرن12م، الامر الذي كان يذكرهما بصلة رحمهما كلما احتدم الصراع بينهما[7]، وكان المرابطون في عهد اميرهم القوي، يوسف بن تاشفين،يسعون إلى بسط

---

1) حسن خضيري احمد،المرجع السابق،ص73.
2) ابن عذارى،المصدر السابق،ج1،ص312.
3) ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص235.
4) مارسي جورج،المرجع السابق،ص227؛ حسن خضيري احمد،المرجع السابق،ص79.
5) جوليان شارل تاريخ شمال افريقيا،ص96؛ خضيري حسن احمد،المرجع السابق،ص79.
6) ينحدر الحماديون من تلكاتة وهي اعظم قبائل صنهاجة الممتدة ما بين المغرب الاوسط وافريقية وهم اهل مدر في حين ينحدر المرابطون من مسوفة ولمتونة وكدالة وهم اهل وبر(ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص202.) .
7) لما اقتحم الامير الحمادي المنصور مدينة تلمسان سنة 496هـ /1103م، واستباحها لجنوده،خرجت إليه حوا – زوجة والي تلمسان الهارب- متوسلة ومذكرة بصلة الرحم الصنهاجية التي تجمع الحماديين والمرابطين فعفى عن المدينة(ابن خلدون،المصدرالسابق،ج6،ص234؛عبدالمنعم حمدي،التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والاندلس في عهد المرابطين،دار المعرفة الجامعية،1997،ص232).

نفوذهم على الجهات الغربية للدولة الحمادية[1]، بحجة تأمين حدودهم الشرقية، من القبائل الزناتية، التي اتخذت من هذه المنطقة ملاذا لها،بعد الضربات التي تلقتها على ايديهم في المغرب الاقصى[2]،وفي الوقت الذي كان فيه المرابطون يتطلعون لدرء الاخطار الاجنبية، الأتية من شمال اسبانيا[3]،وجنوب ايطاليا[4] عن بلاد المغرب،فضّل الحماديون انتهاج سياسة خارجية تراعي مصالحهم القطرية بالدرجة الاولى.

وعلى اساس هذه المعطيات ترواحت العلاقات الحمّادية المرابطية بالتوتر والاظطراب تارة وبالود والتعاون تارة أخرى،ففي سنة454هـ /1063م،زحف الامير الحمادي،بلكين بن محمدعلى المغرب،وتمكن من اخضاع مدينة فاس،واخذ اعيانها رهائن عنده،ضمانا لاستمرار طاعتهم له،وارغم يوسف بن تاشفين على الفرار امامه، بعد ان شتت في الصحراء [5].

وفي سنة 473هـ/1080م،تمكّن يوسف بن تاشفين من بسط نفوذه على وهران وتنس والونشريس و الجزائر قبل ان ينسحب راجعا إلى مراكش سنة 47هـ/1082م[6].

---

1) **«أغزى الامير يوسف بن تاشفين إلى المغرب الاوسط سنة ثنتين وسبعين قائده مزدلى .. لمحاربة مغراوة ملوك تلمسان ...فدوخوا المغرب الاوسط وصاروا في بلاد زناتة وظفروا بيعلى ابن الامير العباسي فقتلوه وانكفوا راجعين من غزاتهم»(ابن خلدون،ج6،ص247)**

2) **ابن عذاري،المصدر السابق،ج3،ص243؛ ابن خلدون،ج6،ص247؛حسن احمد محمود،المرجع السابق ،ص205؛ الغنيمي مقلّد عبدالفتاح،المرجع السابق،ص ص272-373؛ عويس عبدالحليم،المرجع السابق،ص180؛عبدالمنعم حمدي،المرجع السابق،ص ص229-230.**

3) **المطوي العروسي محمد،الحروب الصليبية في المشرق والمغرب،دار الغرب الاسلامي،1982،ص ص 219-220؛ممدوح حسين،الحروب الصليبية في شمال افريقيا واثرها الحضاري668-792هـ/1270-1390م،دار عمار عمان،1419/1998،ط1،ص14.**

4) **التجاني،المصدرالسابق،ص335؛ ادريس هادي روجي ،نفس المرجع،ج1،ص397؛ التازي عبدالهادي ،التاريخ الديبلوماسي للمغرب من اقدم العصور الى اليوم ، ،مطابع فضالة-المحمدية،1407هـ/، المجلد الخامس عهد المرابطين،1987،ص ص185-186؛عبدالمنعم حمدي،المرجع السابق،ص225.**

5) **ابن خلدون، المصدرالسابق،ج6،ص229؛ابن الخطيب،المصدر السابق،ص88؛ بونار رابح ،المرجع السابق، ص210؛ بورويبة رشيد،المرجع السابق،ص56 ؛عويس عبدالحليم،المرجع السابق،ص122.**

6) **ابن ابي زرع الفاسي،المصدر السابق،ص143؛ابن خلدون،ج6،ص247؛حسن احمد محمود،المرجع السابق ،ص206؛ هادي روجي ادريس،المرجع السابق،ج1،ص327؛بورويبة رشيد،المرجع السابق،ص75؛عويس عبدالحليم،المرجع السابق،ص127؛ عبدالمنعم حمدي ،المرجع السابق،ص49.**

وحدث اهم توتر للعلاقات الحمادية المرابطية في عهد المنصور بن الناصر(481-498 هـ/1088-1104 م)،بسبب الاصرار الذي ابداه المرابطون، من اجل بسط نفوذهم على الجهات الغربية من الدولة الحمادية، تجلى ذلك من خلال الغارات التي كان يشنها محمد بن تينعمر،واليهم على تلمسان،بمساعدة قبيلة بني ومانو الزناتية عليها ، مما اضطر المنصور في إلى الرد على ذلك بهجوم مضاد، مكّنه من تخريب الحصون التي اقامها حليفهم ماخوخ، زعيم قبيلة بني ومانو،وضيَق عليه الخناق ،فتدخل يوسف بن تاشفين لطلب الصلح.

ولمّا تكررت غارات المرابطين، للمرة ثانية،ارسل اليهم المنصور،جيشا،بقيادة ابنه، عبد الله، فاستعاد السيطرة على الجهة الغربية من المغرب الاوسط، و اجبر خصومه على الفرار إلى المغرب الاقصى.

وفي المرة الثالثة،افصح محمد بن تينعمر،عن نوايا دولته التوسعية على حساب الحماديين،اذ استغل الهزيمة التي مني بها المنصور سنة495هـ /1101م[1]،على يد ماخوخ ، بدعم وتحريض منه، فزحف على مدينة الجزائر،وحاصرها لمدة يومين،و بعد وفاته،خلفه اخوه،تاشفين بن تينعمر الذي تمكن من تخريب مدينة اشير[2] .

وزاد تكرار هذه المحاولات من حدة التوتر بين الطرفين[3]،وهو ما دفع المنصور إلى الدفاع عن امارته بكل ما أوتي من إمكانيات، فاستغل انشغال خصومه بعبورهم الرابع إلى الاندلس[4]، فجهز جيشا، قدّره ابن خلدون بعشرين الف جندي[5]،وقدّره ابن

---

1) **عويس عبدالحليم،المرجع السابق،ص 144.**
2) **ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص ص 233-234؛ هادي روجي ادريس،المرجع السابق،ج1،ص ص327 - 328؛ بورويبة رشيد، المرجع السابق،ص ص76-77؛عويس عبدالحليم،المرجع السابق،ص ص143-144.**
3) **في غمرة الخلاف المرابطي الحمادي،فتح المنصور ابواب امارته، لمعز الدولة ابن صمادح، حاكم ألمرية،الهارب من المرابطين بعد احكام سلطتهم على الاندلس،واقطعه،مدينة دلس ليقيم بها ابن خلدون، المصدر السابق،ص234؛ابن الخطيب،المصدر السابق،ج3،ص97؛اما صاحب البيان فذكر ان المنصور، اقطعه مدينة تنس،(ابن عذارى المصدر السابق،ج3،ص168.)**
4) **ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص250؛ سعدون عباس نصرالله،دولة المرابطين في المغرب والاندلس عهد يوسف بن تاشفين،(دار النهضة العربية بيروت الطبعة الاولى،1405هـ1985م)؛ص145؛ عنان محمدعبدالله، دولة الاسلام في الاندلس العصر الثاني دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي (مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الرابعة1417هـ/1997م) ص ص 372 373؛ عبدالمنعم حمدي ،المرجع السابق،ص75.**
5) **المصدر السابق،ج6،ص234.**

الخطيب باثنى عشر الف [1]، من صنهاجة،و حلفائه من زناته وعرب الأثبج وزغبه وربيعة[2]، وبمجرد أن أذيع خبر زحف المنصور على تلمسان سنة 496هـ/1103م سارع والي المرابطين عليها تاشفين بن تنيعمر بالخروج منها، قاصدا تسالة، لكن جيش المنصور لقيه بواد سطفيسف[3]، وألحق به هزيمة، لجا بعدها إلى جبل الصخرة[4]، و دخل المنصور تلمسان، ولما استباحها لجنوده خرجت إليه حوا –زوجة واليها–الهارب– متوسلة ومذكرة بصلة الرحم الصنهاجية التي تجمع الطرفين، فعفى عن المدينة،و تم الصلح بينهما وأعفى يوسف بن تاشفين والي تلمسان من مهامه واستبدله بمزدلي ارضاءا للمنصور[5]،الذي وضع حدا نهائيا لتهديدات المرابطين لحدود دولته الغربية إلى عليها الموحدون .

وكانت الرسالة التي بعث بها كاتب يوسف بن تاشفين، ووزير، ابو بكر بن القصيرة، الى المنصور بن الناصر[6]،ردّا على رسالة كان الاميرالحمادي ارسلها الى المرابطين، تعكس حدة توتر علاقاتهما وتجلى ذلك من خلال اللهجة الحادة،والانتقاد اللاذع الموجه للمنصور بن الناصر، لاتخاذه مواقف مناوئة للمرابطين، لاستخدامه لبعض قبائل بني هلال ضدهم[7]، والمبالغة في الانفاق عليهم «وتستدعي ذؤبان العرب وصعاليكهم من مبتعد ومقترب، فتعطيهم ما في خزائنك جزافاً، وتنفق عليهم ما كنزه أوائلك إسرافاً، وتمنح أهل العشرات مئين وأهل المئين آلافاً، كل ذلك تعتضد بهم، وتعتمد على تعصبهم

---

1) االمصدر السابق ،ج3، ص97.

2) ابن خلدون، المصدر السابق، ج6،ص234 هادي روجي ادريس،المرجع السابق،ج1،ص 329؛عويس المرجع السابق،ص145.

3) عن هذا الواد انظر،البكري،المصدر السابق،ص76؛ الحميري،المصدر السابق،ص318.

4) (جبل الصخرة او الصخرتين هو الجزء الشرقي من الجبل الذي يشرف على تلمسان من الجهة الجنوبية) هادي روجي ادريس،المرجع السابق،ج1،هامش،ص330.

5) ابن خلدون، المصدر السابق،ج6،ص250؛ ابن الخطيب،المصدر السابق ،ج3، ص97؛ هادي روجي ادريس،المرجع السابق،ج1،ص ص 329–330؛ بورويبة رشيد،المرجع السابق،ص ص **77–78**؛عويس عبدالحليم،المرجع السابق،ص ص **144–145**.

6) ابن خاقان(ابوالنصر الفتح بن محمدبن عبيدالله القيسي الاشبيلي)،قلائد العقيان ومحاسن الاعيان،تحقيقوتعليق حسن يوسف خربوش،مكتبة المنارللطباعة و النشر والتوزيع،الاردن،الطبعة الاولى 1409هـ/1989م،ص309.

7) عويس عبدالحليم،المرجع السابق،ص ص**182**؛ عبدالهادي التازي،المرجع السابق،ص190؛بلغيث محمدالامين، دراسات في تاريخ الغرب الاسلامي،دار التنويرالجزائر،2006/1427،ص48.

لك وتألبهم، وتعتقد أنهم جنتك من المحاذير، وحماك دون المقادير»[1]، وانّه تقاعس عن مد العون لاخوانه الزيريين في صراعهم مع النورمان[2] ولم يكترث بالصراع الاسلامي المسيحي في غرب البحر المتوسط،وسعى لربط جسور التعاون مع العدو« وإنك لمتداوٍ منهم بسمٍ، ومستريح إلى غم، فبلغت معهم ما بلغت، وأرغت بهم ما أرغت، واستقبلتنا بما أثبت عن العدو ولقد أخذناه بمخنقه، وأضفنا أنشوطة وهق الخزي على عنقه، وأشفى على انقطاع ذمائه ورمقه، ففرجت عنه كربة لم يظنها تنفرج، ونهجت له منها وجه مخلص لم يحسبه ينتهج، وأخليت وجهه لأذى المسلمين يبدئه ويعيده، وبسطت فيهم يده وكانت في جامعة تقصره عما يريده، ولو أن صاحب رومة المشتمل معه بعباءة الكفر والشرك، المنتحل ما ينتحله من كلمة الزور والإفك، يكون مكانك من جوارنا، ويصاقب كما صاقبت قاصية دارنا، ما أتى من نصره فوق ما أتيت، ولا تولى من انتشاله، والسعي في استقلاله، إلا بعض ما توليت، ولا أنحى على المسلمين من مضاره إلا بدون ما أنحيت، ولا بغاهم خبالاً بأكثر مما بغيت،وما في تلك الجزيرة – عصمها الله – من صالحٍ ولا طالح إلا ما يعرضك على الله تعالى، ويرفع إليه فيك عقيرته بالشكوى، وكل ما سفك من دم، وانتهك من محرمٍ، واستهلك من ذمم، فإليك منسوب، وعليك محسوب، وفي صحيفتك مكتوب، وموعد الجزاء غداً وإنه لقريب، فانظر ما أنجح أثرك، وأربح متجرك، وأصلح موردك ومصدرك.»[3]وعدم نسيانه للأحقاد القديمة،رغم تردد المرابطين في دعم الحركة التمردية التي قام بها ابا يكنى ضد المنصور[4]، «ألم نكن عندما نزغ الشيطان بينك وبين أبي عبد الله محمد بن يوسف، رحمه الله، وفاقم الشنآن، قد توفرنا على ما كان بالحال من إقلاق، وتأخرنا عما كانت النصبة تستقدم إليه من بدارٍ أو سباق، ولم نمد الجهة حق إمدادها ، ولا كثرنا فوق ما كان يلزم من جماهير أعدادها، ولا عدلنا عن جهاد المشركين»[5].

---

1) ابن خاقان،المصدر السابق،ص311؛ ابن بسام،المصدر السابق،ج2،ص ص259–260.

2) التازي عبدالهادي ،المرجع السابق،ص190؛بلغيث محمدالامين،دراسات في تاريخ الغرب الاسلامي، دار التنوير الجزائر،2006/1427، ص48.

3) ابن بسام،المصدر السابق،ص ص259–260.

4) عويس عبدالحليم،المرجع السابق،ص ص**182**.

5) ابن خاقان،المصدر السابق،ص311؛ ابن بسام،المصدر السابق،ج2،ص ص258–259؛للاطلاع على نص الرسالة كاملةانظر الملحق ص139.

ومع ان التعاون بينهمافي المجال السياسي كان قليلا وشكليا الا انه لم يختف نهائيا بدليل الرسالة التي بعث بها يوسف بن تاشفين الى المنصوربن الناصر سنة481هــ /1088م، لتعزيته في وفاة ابيه وتهنئته بالامارة[1]،و الفرقة العسكرية التي ارسلها الامير الحمادي ،يحي بن العزيز، الى الامير المرابطي،تاشفين بن علي، لمساعدته في مقاومة المد الموحدي،مراعاة « لعصبية الصنهاجية»[2]، بقيادة طاهر بن كباب الذي اظهر حماسة واقداما وسخر منالمرابطين واميرهم «لقعودهم عن مناجزة الموحدين، وقال انّما جئتكم أؤمنكم من صاحبكم عبد المؤمن هذا، وأرجع إلى قومي، فامتعض تاشفين لكلمته، وأذن له في المناجزة، فحمل على القوم فركبوا وصموا للقائه فكان آخر العهد به وبعسكره»[3] لكن الموحدين«اعترضوا عسكر بجاية عند رجوعهم فنالوا منهم أعظم النيل»[4].

واذا كانت الروابط السياسية،بين الطرفين غير متينة،فان العلاقات الحضارية بينهما، كانت تسير سيراطبيعيا، سواءا في المجال الثقافي، الذي ميزه حرية انتقال العلماء اوالمجال الاقتصادي يفعل التبادل التجاري [5].

انّ إختلاف الرؤى وتعارض الاهداف، جعل علاقة الحماديين بالمرابطين،تتسم بالحذر الشديد، وتسودها حربا باردة، ترتفع درجة حرارتها من حين الى اخر،لكنها لم ترق الى الاصطدام المؤدي الى اقصاء احدهما للاخر من الساحة السياسية لبلاد المغرب.

العلاقات الحمادية الاندلسية

ظهرت الدولة الحمادية على الساحة السياسية لبلاد المغرب، سنة 408 هــ/ 1018م,في حين كانت الاندلس تشهد انهيار السلطة المركزية للدولة الاموية منذ سنة407هــ/1017م[6]، لتتحول سنة سنة422هــ/1031م الى حكم لامركزي يتولي فيه

---

1) ابن الاثير،المصدر السابق،ج8،ص147.
2) ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص308.
3) نفسه؛بورويبة رشيد،المرجع السابق،ص ص99–100.
4) ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص308.
5) الغنيمي،المرجع السابق،ص ص375–376.
6) ابن عذاري،المصدر السابق،ج3،ص117؛عبدالواحد المراكشي،المصدر السابق،ص91؛ابن الاثير،المصدر السابق،ج7، ص285؛ ابن خلدون،المصدر السابق،ج4،ص195؛فيلالي عبدالعزيز،المرجع السابق، ص265؛ زغلول، المرجع السابق،ج3،ص507.

ملوك الطوائف زمام السلطة[1]،بعدما اقتسموا مدنها[2]،وقد ساهم مؤسس الدولة الحمّادية،عن غير قصد، في هذا المشهد السياسي لمّا اجبر اعمامه على العبورالى الاندلس سنة391 هـ/1001م، اثناء مطاردتهم ابان تمردهم علىابن اخيه باديس [3]، اذ تمكن بنو زيري هؤلاء من تاسيس امارة غرناطة ،التي استمر قيامها الى سنة 484هـ/...م حين قضى عليها المرابطون[4]

وقد صعّب تزامن قيام الدولة الحمادية في تلك الظروف، من ربط جسور التعاون السياسي بين الطرفين، حيث قضى ملوك الطوائف معظم فترات حكمهم، منهمكين في صراعاتهم الداخلية،و منشغلين بدرء الخطر المسيحي المتنامي[5] ،كما يمكن تبرير فتور علاقات الحماديين بالاندلسيين ، باستحضار ملوك الطوائف ،بصفتهم موظفين سابقين[6] في الدولة الاموية، لخلفية الصراع الاموي الفاطمي، على بلاد المغرب،الذي شهد انخراط قبائل المغرب فيه، حيث انحازت قبيلة صنهاجة، التي تنحدر منها الدولة الحمادية،الى الفاطميين الشيعة،ومالت زناتة الى امويي الاندلس السنيين[7]،وشكلت بذلك حاجزا، حال دون توطيد العلاقات السياسية بين الحماديين والاندلسيين[8] .

---

1) ابن الاثير،المصدر السابق،ج7،ص290؛عبد الواحد المراكشي،المصدر السابق،ص110؛ابن خلدون،المصدر السابق،المصدر السابق،ج4،ص196؛ فيلالي عبدالعزيز،المرجع السابق،ص269؛عنان محمدعبدالله، المرجع السابق،ص13؛حسين مؤنس،معالم تاريخ المغرب والاندلس،مكتبة الاسرة الاعمال الفكرية،2004، ص415.

2) ابن الاثير،المصدرالسابق،ج7،ص290 فما بعدها ؛ابن خلدون،المصدر السابق،ج4،ص200 فما بعدها .

3) ابن بسام ،المصدر السابق،ج4،ص81؛ابن خلدون، المصدر السابق،ج6،ص238؛ابن الخطيب،المصدر السابق،ج 3،ص68؛هادي روجي ادريس،المرجع السابق،ج1،ص ص132-133؛عويس عبدالحليم،المرجع السابق،ص58؛ عبدالمنعم حمدي،المرجع السابق، ص228.

4) تعاقب على حكم غرناطة من الزيريين، حبوس بن ماكسن،وولي بعده ابنه باديس، فلما توفي ولي بعده ابن أخيه عبد الله بن بلكين، وبقي إلى أن ملكها منه المرابطون(ابن الاثير،المصدر السابق،ج7،ص294؛ ابن خلدون، المصدر السابق،ج6،ص ص239-249.)

5) ابن الاثير،المصدرالسابق،ج8،ص138؛ابن خلدون،المصدرالسابق،ج6،ص248؛عنان محمدعبدالله،دولة الاسلام في الاندلس العصرالثاني دول الطوائف ،ص11؛مؤنس حسين،المرجع السابق، ص 416.

6) منهم من كان وزيرا سابقا،او قائد مقربا،او حاكما لاحدىالمدن،اوقاضيا،اوصاحب مال متنفذا(عنان محمدعبدالله، المرجع السابق، ص14.)

7) ابن عذاري،المصدر السابق،ج2،ص242؛ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص 204؛ النويري،المصدر السابق، ج24،ص89؛ إدريس روجي ،المرجع السابق،ج1، ص ص43-44 ؛لقبال موسى،المرجع السابق،ص ص186 – 187؛ابن عميرة محمد ،المرجع السابق، ص244؛عويس عبدالحليم ،المرجع السابق،ص40.

8) الغنيمي عبدالفتاح المقلد،المرجع السابق،378؛عويس عبدالحليم ،المرجع السابق،ص40.

وبالرغم من ذلك،مثلت الدولة الحمّادية لبعض ملوك الطوائف في اواخر عهدهم، ملجأً آمنا ،من المرابطين الذين بسطوا نفوذهم على بلادهم،واستقبل الاميرالحمادي الناصر بن علناس، عليا بن مجاهد، امير دانية،الذي فرّ امام ابن الحاج،قائد يوسف بن تاشفين، فاستقبله الناصر واكرمه[1]، وفي سنة 484هـ/1090م وفد على المنصور بن الناصر، اميرالمرية، معزالدولة،بن المعتصم صمادح، عملا بوصية ابيه الذي قال له:«امتسك بهذه القصبة طول مقام ابن عباد في ملكه باشبيلية ما استطعت، فان رأيت ابن عباد قد خرج ، فلا تتربص ساعة واحدة،وانج بنفسك الىالقلعة،وادخل البحر بما قدرته عليه من ذخائرك،اذ لامطمع لك في البقاء بعده»[2]،فاحسن المنصور استقباله،واقطعه،مدينة دلس ليقيم بها[3].

وخلافا للعلاقات السياسية،شهدت علاقة الحماديين بالاندلس تواصلا لافتا، في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية[4] ،اذ كانت ابواب المدن الساحلية والداخلية للدولة الحمادية مفتوحة امام الاندلسيين،الذين راوا في حسن استقبال هذه البلاد لامرائهم حافزا للقدوم اليها والاستقرار بها،ناقلين معهم خبرتهم، وعاداتهم الاجتماعية،في المأكل والملبس والعمران[5]،وكانت الاتصالات الثقافية بين المنطقتين،مستمرة،و مثلما كان المغرب الاوسط منطقة عبور للعلماء الاندلسيين المهاجرين الى المشرق،كانت الاندلس مقصدا لكثير من علماء المغرب الاوسط[6]،كماشهدت موانئ المنطقتين،حركة تجارية نشطة[7].

---

1) ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص248؛ عويس عبدالحليم ،المرجع السابق،ص184.

2) عبدالله بن بلكين،مذكرات الامير عبدالله اخر ملوك بني زيري بغرناطة469-483 المسمى بالتبيان،نشر وتحقيق ليفي بروفنسال،دار المعارف ،مصر 1955ص ص167-168.

3) عبدالله بن بلكين،المصدر السابق،ص168؛ابن الاثير،المصدر السابق،ج8،ص156؛ ابن خلدون، المصدرالسابق، ص234؛ابن الخطيب، المصدر السابق،ج3،ص97؛ عويس عبدالحليم ،المرجع السابق،ص184؛عبدالمنعم حمدي،المرجع السابق،ص ص231-232؛ ويذكر صاحب البيان ان المنصور، اقطعه مدينة تنس،(ابن عذارى المصدر السابق،ج3،ص168.)

4) انظر مقلّد عبدالفتاح،المرجع السابق،ص 378؛عويس عبدالحليم ،المرجع السابق،ص185.

5) مقلّد عبدالفتاح،المرجع السابق،ص 379.

6) بونار رابح،المرجع السابف،ص283، عويس عبدالحليم ،المرجع السابق،ص249؛الخالدي عبدالحميد،العلاقات الثقافية.....

7) ادريس هادي روجي ،المرجع السابق،ج2ص294؛عمارة علاوة،المرجع السابق،ص ص140-141.

العلاقات الحمّادية المسيحية

تزامن قيام الدولة الحمادية سنة 408هـ/1018م ، مع بداية تحول القوى المسيحية في غرب المتوسط من حالة الدفاع الى حالة الهجوم على المسلمين في كل من الاندلس وصقلية وشمال افريقيا[1]، واستفحل ذلك التحول بشكل جلي بداية النصف الثاني من القرن الخامس الهجري،(11)م،ونالت السواحل الحمادية، نصيبها من تلك الهجومات،بدءا من سنة 426هـ/1034م،لما تعرضت بونة(عنابة) لهجوم سفن بيزا[2].

وكان لحالة الصراع والتنافس بين الدولة الحمادية وبين جيرانها الزيريين شرقا ، او المرابطين غربا او فروع زناتة،هنا وهناك، تاثيركبير على كيانها,الامرالذي دفعها الى توخى الحذر ومراعاة المصلحة، في اية علاقة تقيمها مع المسيحيين في الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط، كما سعى المسيحيون من جهتهم الى ايجاد قنوات اتصال معها ، بسبب موقعها الجغرافي في المغرب الاوسط، باعتباره حاجزا بين الزيريين في الشرق والمرابطين في الغرب،كي تتمكن من تعميق حالة الانقسام في بلاد المغرب بما يخدم مصلحتهم[3].

وعلى ضوء هذه المعطيات،سعى الحمّاديون منذ عهد اميرهم الناصر بن علناس الى كسب ود الكنيسة المسيحية، وقد يعود ذلك الى رغبتهم في فتح افاق جديدة لدولتهم في حوض المتوسط هربا من الصراعات المريرة التي خاضوها، منذ تاسيسها، مع جيرانهم،الزيريين والزناتيين ،لاسيمابعد تاسيسهم لمدينة بجاية وسعيهم الى امتلاك اسطول بحري، من خلال دور الصناعة الحربية التي اقاموها ببعض المدن الساحلية مثل بونة(عنابة) ومرسى الخرز(القالة)[4]،غير ان رغبتهم هذه جعلتهم يصطدمون بالاطماع التوسعية لنورمان صقلية[5]، وامارتي بيزة وجنوة[6].

---

1) المطوي العروسي،المرجع السابق،ص ص18-19؛ممدوح حسين،ص ص105-106.

2) ادريس هادي روجي ،المرجع السابق،ج1،ص208؛ممدوح حسين،ص 106.

3) عويس عبدالحليم ،المرجع السابق،ص ص 185-186.

4) هيصام موسى،الجيش الجزائري،في العهد الحمادي،(105-547هـ/1014-1152م)منشورا ت مديرية الثقافة لولاية المدية، 2008،ص126.

5) انظر ما قبله ص29.

6) D e mas laterie ,traités de paix et de commerce et ducuments divers concernant les relations avec les arabes de l afrique septentrionale au moyen age ,p8 ;

ادريس روجي هادي،المرجع السابق،ص ص404-405.

ففي سنة 468-469هـ/1076م،اقام الامير الحمادي الناصرعلاقة ودية مع المركز البابوي، تجلى ذلك من خلال الرسالة التي ارسلها البابا غريغوار السابع اليه سنة 1073-1085 م،هذا نصها:«من الاسقف خادم خدام الله الى الناصر ملك موريتانيا السطيفية بافريقيا تحية وبركة رسولية. لقد بعثت لنا نبالتك في هذه السنة نفسها رسائل لكي نقوم بسيامة القس سرفانوس اسقفا وفق الشريع المسيحية وهذا ما عجلنا بعمله لانطلبك بدا لنا عادلا ومثاليا ولقد ارسلت الينا ايضا هدايا ومراعاة للقديس بطرس امير الرسل ومحبة فينا حررت المسيحيين المحتجزين اسرى لديكم كما وعدت بان تطلق سراح الاسرى الاخرين ، انه بكل تاكيد الله خالق جميع الاشياء والذي من غيره لانستطيع ان نفعل شيئا ولا ان نفكر في الخير هو الذي الهم قلبك هذا الصنيع الطيب ان الله الذي يهدي كل انسان ات الى هذا العالم قد اضاء ذهنك ان الله كلي القدرة الذي يريد ان يكون جميع الناس سالمين وان لايهلك احد لايستحسن في الحقيقة شيئا فينا اكثر من ان يحب الانسان الناس بعد حبه لله وان ما لايريد ان يفعله الاخرون به لايفعله هو بهم .وعلى ذلك ينبغي ان تكون المحبة بيننا نحن وانتم بوجه خاص اكثر مما تكون بننا وبين الشعوب الاخرى طالما اننا نؤمن ونعترف -بطريقة مختلفة- باله واحد نسبح بحمده ونجله كل يوم خالقا للاجيال وحكام هذا العالم كما قال الرسول «هو سلامنا هوجعل الاثنين واحد» وايضا لما علم الكثيرون من اشراف روما عن طريقنا بالتعمة التي منحك اياها الله اعجبوا بطيبتك وبفضائلك واذاعوها للجميع ومن بين هؤلاء اثنان من المقربين الينا البيريكوس كنكيوس تربيا معنا تقريبا منذ صباهما في القصر الروماني وهما اذ يرغبان كثيرا في الوصول الى صداقتك ومحبتك وفي ان يقوما باغتباط بخدمتك في دوائرنا بما يروق لك يرسلان اليك رجالا من لدنهما سوف تعرف عن طريقهم كم هما يعتبرانك حكيما وشهما وكم هما يريدان و يستطيعان ان يقوما بخدمتك بسرور ونحن اذ نوصي بهؤلاء الرجال لدى فخامتك نطلب ان توليهم جل اهتمامك من واقع محبتك لنا ومن اجل مكافاة ذلكما الرجلين على ثقتهما بنفس المحبة التي ترغب دائما في التعبيرعنها نحوك ونحو ذويك ان الله يعرف جيدا اننا نعزك باخلاص من اجل مجده واننا نبتغي سلامتك ومجدك في الحياة الحاضرة والمستقبلة ونحن ايضا نطلب من الله بالشفاه ومن القلب بان يتلقاك بنفسه بعد حياة طويلة في

حضن الطوباوي الاقدس الاب ابراهيم»[1]

وتعد هذه الرسالة من اقدم الرسائل البابوية نحو حكام المغرب الاسلامي، وهي فريدة من نوعها من حيث اسلوبها وصياغتها[2]،وصفها اسماعيل العربي بانها تحفة في الديبلوماسية الدينية،وفي فن المجاملات[3].

وقد اثار هذا التقارب بين الناصر بن علناس وغريغوار السابع، عدة تسؤلات لدى بعض المؤرخين، منهم سامي سلطان سعد،الذي قام بدراسة تناولت مختلف الاراء بالنقد والتحليل وحاول الوقوف عن الدوافع التي كانت وراء هذا التقارب[4].

ونسج خلفاء الناصر على نفس المنوال في توفير جو التسامح والمعاملة الحسنة للرعايا المسيحيين الذين كانوا يتوافدون باعدادا كبيرة على الامارة الحمادية،لشعورهم بالامن بها،وللاستفادة منهم في بعض الاعمال لاسيما العمرانية منها [5]، ففي سنة 509هـ /1114م، سمح العزيز بن المنصور للمسيحيين بانشاء كنيسة في القلعة دُشنت باسم كنيسة مريم العذراء،وكان كاهنها المسمى عزون،يسكن في بيت مجاور للكنيسة، يطلق عليه العامة لقب خليفة[6]، وفي نفس السنة اطلق الامير الحمادي،سراح عددا من الرهبان البنديكتيين الذين وقعوا في اسر البحارة الحماديين، عندما كانوا متوجهين من

---

1) De mas laterie ,op cit, ,pp 22-23;cristian courtois,gregoireⅦ et l'afrique du nord remarques sur les communautes chretiennes en afriques au Ⅺ siecle , revue historique,69e année-tome cxcv, paris, 1945,p99-

بوروبية رشيد،المرجع السابق،ص ص 164–165 100؛سلطان سامي سعد،دراسة عن رسالة البابا جريجوري السابع الى العاهل الحمادي الناصر بن علناس ، مجلة الدراسات التاريخية،جامعة الجزائر،العددالاول،1406 /1986، ص ص 42–43؛ عويس عبدالحليم، المرجع السابق، ص ص 187–188؛اسماعيل العربي،المرجع السابق،ص ص 179–180؛ التازي،المرجع السابق،ص ص 194–195.

2) سامي سلطان سعد،المرجع السابق،ص42.

3) اسماعيل العربي ،المرجع السابق، ص 179.

4) المرجع السابق،ص42فما بعدها من عدة صفحات .

5) De mas latrie, Relations et commere de l'afrique septentrional ou maghreb avec les nations chretiennes au moyen age, pp 124-125 ; de beylie,la kalaa de beni-hammad, capital berbere,de l'afrique du nord au Ⅺ siecle ,ernest leroux. editeur,paris,1909 p20 ;

عويس عبدالحليم، المرجع السابق،ص190.

6) De mas latrie ,op cit, p125; cristian courtois, op cit, p204 ; de beylie,la kalaa des beni-hammad,p13

هادي روجي ادريس،المرجع السابق،ج2،ص376؛عويس عبدالحليم، المرجع السابق،ص 189.

جزيرة سردانية نحو صقلية،وذلك بعد الوساطة التي قام بها حاكم صقلية[1]، مما قد يدل على وجود معاهدات بين الحماديين والنورمان في هذه الفترة[2].

ورغم روح التسامح التي ابداها الحماديين حيال المسيحيين الا انهم لم يتوانوا في التصدي لهجماتهم، وملاحقتهم حتى في عقر ديارهم، وهذا خلافا لما جاء به بعض المؤخين الذين وصفوا علاقة الحماديين بالمسيحيين،بالساذجة،والمتخاذلة، مقارنة مع معاصريهم من الزيريين والمرابطين[3].

فلقد تمكّن الحماديون,مند تاسيس مدينة بجاية، ولم يمضي وقت طويل حتى تمكنوا من امتلاك اسطول بحري،وظف لمقارعة القوى المسيحية المتنامية في الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط[4]، فضلا عن الاهداف التجارية ، حيث اقاموا، دورا للصناعة العسكرية في بعض المدن الساحلية مثل بجاية التي ذكر الادريسي ان، كان « بها دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن والحرابي »[5]،اما صاحب الاستبصارفذك ان بها«داران لصناعة المراكب، وإنشاء السفن»[6]ومدينة مرسى الخرز(القالة) التي «صنع بها مرفأ للسفن منذ مدّة قريبة. و في هذه المدينة تنشأ السفن و المراكب الحربية»[7] .

وقد اشار ابوعبيد البكري ،الذي عاصر الدولة الحمادية (404-487هـ/1014-1094م) الى نشاط هذا الاسطول لاسيما ذلك المتواجد في المدن الحمادية القريبة من الشواطئ الايطالية،فمن« من مرسى بونة تخرج الشواني غازية إلى بلاد الروم و جزيرة سردانية و كرسقة و ما والاها»[8]،اما مرسى الخرز كانت ،قاعدة «يغزى بها إلى بلاد الروم. و إلى هذه المدينة يقصد الغزاة من كلّ أفق لأنّ

---

1) De mas latrie ,op cit,pp125-126 ; cristian courtois, op cit, p204 ; de beylie,la kalaa des beni-hammad,p13 de beylie,la kalaa des beni- hammad,p13 ;
هادي روجي ادريس،المرجع السابق،ج1،ص364؛ عويس عبدالحليم، المرجع السابق،ص ص189-190.

2) هادي روجي ادريس،المرجع السابق،ج1،ص364.

3) الغنيمي،المرجع السابق386؛ اسماعيل العربي ،المرجع السابق،ص177؛عويس،المرجع السابق،185.

4) هيصام موسى،المرجع السابق،ص125.

5) المصدر السابق،ص ص 260 261؛الحميري،المصدر السابق،ص ص80 81.

6) الاستبصار في عجائب الامصار،ص130.

7) البكري المصدر السابق،ص55.

8) البكري المصدر السابق،ص73

مقطعها يقرب من جزيرة سردانية بينهما نحو مجرأين»[1].

وذكرصاحب الاستبصار ان من بجاية كانت «تغزى بلاد الروم فإنها ليس بينها وبين صقلية غير ثلاث مجار» [2] وفي سنة529هـ/1135م، سخط الامير الحمادي يحي بن العزيز على الامير الزيري الحسن بن علي الذي رضخ للصلح المهين الذي فرضه عليه ملك صقلية،رجار الثاني[3]، وتوافق ذلك مع رغبة السكان حيث « كاتب أهل المهدية يحي بن العزيز الحمادي صاحب بجاية وأطمعوه بتسليم البلد»[4]، فاستجاب الامير الحمادي لهم وارسل اسطوله الى المهدية بقيادة الفقيه مطرف ابن حمدون،الذي فرض حصارا على المدينة براً وبحراً،لمدة سبعين يوما حيث أحكم قبضته على الشاطئ، واقتربت سفنه من سور المدينة، لكن الأمير الزيري،استنجد بملك صقلية رجار الثاني [5] الذي«بعث أسطولا عظيما وأمر مقدم الأسطول أن يقف عند أمر الحسن ونهيه» [6]، فاضطر الحماديون الى رفع الحصار. ولم تمر هذه الارادة الحمادية في التصدي للاخطار الاجنبية بالمنطقة، من دون ردفعل مسيحي،دفعت ثمنه، عدة مدن ساحلية حمادية،حيث شنت امارة بيزة بالتعاون مع امارتي جنوة وبروفانس في سنة528-529هـ/ 1135م ، هجوما على عنابة امتد إلى سواحل افريقية[7] ، ونفذ النورمان من جهتهم غارات بحرية على السواحل الحمادية،ففي سنة537 هـ / 114م ، «وصلوا إلى جيجل، فلما رآهم أهل البلد هربوا إلى البراري والجبال، فدخلها الفرنج وسبوا من أدركوافيها وهدموها، وأحرقوا القصر الذي بناه يحيى بن عبد العزيز بن حماد للنزهة ثم عادوا»[8]، وفي سنة 539هـ /1145م،« خرج أسطول الفرنج من صقلية إلى ساحل إفريقية والغرب، ففتحوا مدينة برشك وقتلوا أهلها، وسبوا حريمهم وباعوه بصقلية»[9].

---

1) البكري المصدر السابق،ص55.
2) مؤلف مجهول،الاستبصار في عجائب الامصار،ص130.
3) ابن أبي دينار،المصدر السابق،ص90؛ادريسهادي،المرجع السابق،ج1،ص408؛عويس المرجع السابق،ص 158.
4) ابن أبي دينار،المصدر السابق،ص90.
5) ابن الأثير،المصدر السابق،ج8،ص350؛ابن خلدون، المصدر السابق،ص215.
6) ابن أبي دينار،المصدر السابق،ص90.
7) de mas laterie ,traités de paix et de commerce,p8 ;
ادريس روجي هادي،المرجع السابق،ص ص 404 405 ؛ارشيبالد لويس،المرجع السابق،ص314.
8) ابن الاثير ،المصدر السابق،ج9،ص6.
9) نفسه

وفي المحصلة يمكن القول ان الحماديين ابدوا تسامحا وودا وحسن معاملة، حيال المسيحية كدين، سواءا مع المركز البابوي او مع الجالية المسيحية في اماراتهم، و لما افصح المسيحيون عن اطماعهم التوسعية حاول الحماديون التصدي لهم بما توفر لديهم من امكانيات .

العلاقات الحمادية الزناتية

طغى على علاقة الحماديين بفروع قبيلة زناتة من مغراوة وبني يفرن وبني ومانو وبني خزرون، طابع العداء،وتعود خلفية هذا العداء الى عهد الصراع الفاطمي الاموي على المغرب والذي شهد ميل صنهاجة للفاطميين وانحياز زناتة الى اموي الاندلس[1]،كما ان قبيلة زناتة لم تستوعب تولي الصنهاجيين ادارة شؤن المغرب بعد رحيل الفاطميين عنه،في سنة361هــ/ 972م[2] ،وكان لهذا الصراع الزناتي الصنهاجي تاثير في بروز وميلاد الدولة الحمادية ،حيث اغتنم حماد تكليف الاميرالزيري باديس له سنة 395هــ/1004م بمحاربة قبيلة زناتة وابعاد خطرها، فرصة ليشترط عليه السماح له بحكم المغرب الاوسط وما فتحه من اراضيها[3].

وبعد تاسيس الدولة الحمادية سعت قبيلة زناتة الى زعزعة الامن والاستقرار بها، الامر الذي دفع الامراء الحماديين الى تنويع اساليبهم في دفع خطرها عن امارتهم حيث استخدم الامير القائد بن حماد المال وسربه في اوساط اتباع حمامة ابن زيري المغراوي،الذي هاجم الحماديين سنة 430هــ-1039م[4]،واتبع الامير بلكين بن محمد اسلوب الهجومات العسكرية الدورية ضدهم اذ كان« كثيرا ما يردد الغزو إلى المغرب»[5]، اماالامير الناصر بن علناس فاظاف الى اسلوب المواجهة العسكرية، اسلوبا جديدا تمثل في الاغتيال السياسي الذي نفذه ضد المستنصر بن خزرون الزناتى لما

---

1) انظر ماقبله ص52.

2) انظر ماقبله ص2.

3) ابن خلدون،المصدر السابق،ص227؛ابن الخطيب اعمال الاعلام,ج3،ص ص69 70؛ ادريس هادي روجي ، المرجع السابق،ج1،ص ص133؛ عويس عبد الحليم, دولة بني حماد، ص61.

4) ابن خلدون،نفس المصدر،ج6،ص229.

5) نفسه.

زحف،من طرابلس برفقة بني عدى، على المسيلة و أشير،حيث أوعز إلى عامله على سنة460هـ/1072م [1].

واتبع المنصور اسلوب المصاهرة حيث سعى الى كسب ود قبيلة بني ومانو الزناتية، بزواجه من اخت زعيمها ماخوخ[2]،واقتفى ابنه العزيز نفس النهج اذ«اصهر الى ماخوخ فانكحه ابنته» [3] .

لقد استنزفت قبيلة زناتة،الكثير من امكانيات الحماديين الصنهاجيين مما يعكس حدة الصراع بين القبيلتين للسيطرة على المغرب الاوسط .

علاقة الحماديين بالقبائل العربية

زحفت قبائل بني هلال[4] من مصر على افريقية بسبب الاجراء الذي اتخذه وزير الخليفة الفاطمي، كرد فعل على القطيعة التي اعلنها الامير الزيري المعز بن باديس مع الفاطميين في سنة 435 هـ/1043 -1044م[5]،حيث ارسل الخليفة الفاطمي المستنصر وزيره اليازوري، الى هؤلاء العرب سنة 441هـ/1051م واجزل العطاء لامرائهم ومنح لكل واحد من عامتهم بعيرا ودينارا وأباح لهم عبور النيل وقال لهم«قد أعطيتكم المغرب وملك المعز الصنهاجى العبد الآبق فلا تفتقرون وكتب الياروزى إلى المغرب اما بعد فقد أنفذنا اليكم خيولا فحولا وأرسلنا عليها رجالا كهولا ليقضى الله أمرا كان مفعولا»[6].

وصلت هذه القبائل الى افريقية سنة442 هـ/1050م[7]،واشتبكت مع قوات المعز في معركة حيدران سنة443 هـ/ 1051م[8]، وفي سنة 446هـ/1054م،«شرعت العرب

---

1) ابن خلدون،نفس المصدر،ج7،ص59.
2) ابن خلدون،نفس المصدر،ص233.
3) ابن خلدون،نفس المصدر،ج6،ص234.
4) انظرابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص17فمابعدها ؛ ادريس هادي ،المرجع السابق،ج1ص ص249-250.
5) ابن الاثير،المصدر السابق،ج7،ص39؛النويري،المصدر السابق،ج24،ص116؛ابن ابي دينار،المصدر السابق، ص 81؛ابن خلكان، المصدر السابق، ص ص229-230؛ ادريس هادي ،المرجع السابق،ج1،ص ص221-22؛
6) ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص20.
7) ابن الاثير،المصدر السابق،ج8،ص ص55-56؛النويري،المصدر السابق،ج24،ص117 هادي ادريس،المرجع السابق،ج1ص 248؛ عويس،المرجع السابق،ص177.
8) ابن عذاري،المصدر السابق،ص ص 289 -290؛ابن الاثير،المصدر السابق،ص ص 56؛ابن خلدون المصدر السابق،ج6، ص 211؛ النويري المصدرالسابق،ص ص119 120؛مارسي جورج ص222.

في هدم الحصون والقصور،وقطعوا الثمار،وخربوا الأنهار»[1]،واقتسموا البلاد فيما بينهم، حيث «استحوذوا على كثير من حواضر افريقية»[2]، فاضطر المعز في سنة 449 هـ /1057م، الى الفرار من القيروان واستقر به المقام بالمهدية[3].

ان الاثار السلبية التي تركها الزحف الهلالي على الدولة الزيرية،جعلت امراء الدولة الحمّادية يتوخون الحذر وينشدون المصلحة في اي تعامل مع قبائل بني هلال، التي شرعت في التوغل نحو المغرب الاوسط،منذ مطلع النصف الثاني من القرن الخامس هجري، حيث تجنب الامراء الحماديون في بداية الامر الاصطدام بهم،و سعوا الى الاستفادة من قدراتهم القتالية، وتوظيفهم ضد خصومهم، الزناتيين والزيريين والمرابطين،مقابل تقديم لهم بعض التنازلات، ففي سنة 450 هـ /1059م ، «خرج بلكين ومعه الأثبج وعدي لحرب زناته، فكسرها وقتل منها عددا كثيرا»[4]،وفي سياق الاطماع التوسعية التي اظهرها الناصر بن علناس ضد جيرانه الزيريين تحالف مع عرب الأثبج وعدي،غيران هذه الخطوة كلفته كثيرا،حيث وقع ضحية للمؤامرة التي نسجوا خيوطها مع اخوانهم ،بنو رياح المتحالفين مع الامير الزيري تميم، وافتعلوا الهزيمة في معركة سبيبة سنة**457**هـ/1064م[5]،وخرجوا من هذه المعركة اكبرالمستفيدين على حد تعبير ابن الاثير«وبهذه الوقعة تم للعرب ملك البلاد،فإنهم قدموها في ضيق وفقر وقلة دواب فاستغنوا،وكثرت دوابهم وسلاحهم،وقل المحامي عن البلاد»[6]،كما اعتمد المنصور بن الناصر في هجومه على المرابطين سنة496هـ/1103م، على عرب الأثبج

---

1) ابن الاثير،المصدر السابق،ص 56؛ النويري المصدرالسابق،ص 120.

2) ابن عذاري،المصدر السابق،ص315.

3) ابن الاثير،المصدر السابق،ص 56؛ النويري المصدرالسابق،ص 120؛ ادريس هادي ،المرجع السابق،ج1، ص270.

4) ابن عذارى،المصدر السابق،ج1،ص194؛النوير،المصدر السابق،ص121.

5) ابن عذارى،المصدر السابق،ج1،ص299؛ابن الأثير، المصدر السابق،ج8،ص101؛ابن خلدون،المصدر السابق230؛ النويري، المصدر السابق،ج24،ص 123؛ ؛بوروبة رشيد،المرجع السابق،ص63؛ ادريس روجي هادي،المرجع السابق،ج1،ص308.

6) الكامل في التاريخ، ج8،ص102.

وزغبه وربيعة[1]،الامر الذي اثار امتعاض الامير المرابطي يوسف بن تاشفين[2].
ولم يمنع هذا التقارب بين الحماديين وبين القبائل العربية ، من الاصطدام معهم لما عاثوا فسادا بالقلعة وضواحيها سنة512هـ/1118م،حيث ارسل اليهم العزيز بن المنصورجيشا بقيادة إبنه،يحيى، وقائده،على بن حمدون، تمكن بواسطته، إعادة الإستقرار للقلعة[3].

قد تكون المعاملة الحسنةالتي ابداها الحماديون تجاه القبائل العربية لاسيما الاثبج [4]، سببا في مقاوتهم الشرسة للزحف الموحدي في معركة سطيف[5] بعدما راح اخر امراء بني حماد يحي بن العزيز« يستنجد بعض أمراء العرب بتلك الولاية...وبعد: فإنه لما أراد الله أن يقع ما وقع، لقبح آثار من خان في دولتنا وضبع، استفز أهل موالاتنا الشنآن، وأغرى من اصطنعناه وأنعمنا عليه الكفران، فأتوا من حيث لا يحذرون، ورموا من حيث لا ينصرون، فكنّا في الاستعانة بهم والتعويل عليهم كمن يستشفي من داء بداء، ويفرّ من صلّ خبيث الى حيّة صماء، حتى بغت مكرهم، وأعجل عن التلاقي أمرهم، ويرد وبال أمرهم إليهم، فعند ذلك اعتزلنا محلة الفتنة، وملنا الى مظنة الأمنة، وبعثنا في أحياء هلال نستنجد منهم أهل النجدة، ونستنفر من كنّا نراه للمهم عدّة، وأنتم في هذا الأمر أول من يليهم الخاطر، وتُثنَى عليه الخناصر»[6]

---

1) ابن خلدون، المصدرالسابق،ج6،ص234؛ هادي روجي ادريس،المرجع السابق،ج1،ص 329؛عويس المرجع السابق،ص145؛ بورويبة رشيد،المرجع السابق،ص77

2) بن خاقان،المصدرالسابق،ص311؛ ابن بسام،المصدرالسابق،ج2،ص ص259-260.

3) ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص ص234-235؛هادي ادريس،المرجع السابق،ج1،ص382؛ عويس المرجع السابق،ص ص150-151؛ بورويبة رشيد،المرجع السابق،ص81.

4) ابن خلدون،نفس المصدر،ج6،ص27.

5) ابن الاثير،ج9،ص41؛ابن خلدون،المصدرالسابق،ج6،ص316؛النويري،ج24،ص168؛بورويبة رشيد، المرجع السابق،ص ص110-11.

6) الاصفهاني عماد الكاتب،خريدة القصر وجريدة العصر،قسم شعراء المغرب،تحقيق محمد المرزوقي- محمد العروسي المطوي-الجيلاني بن الحاج يحي،الدار التونوسية للنشر،1986،ج1،ص180.

الفصل الثالث:

العلاقات التجارية

-

العوامل المساعدة على التبادل التجاري:

تأثرت العلاقات التجارية للدولة الحمادية ،في المجال التجاري، بجملة من العوامل الجغرافية،والسياسية،والاقتصادية،فقد سهّل موقعها في المغرب الاوسط،الاتصال بالزيريين،والفاطميين في الشرق، وبالمرابطين في الغرب،وبأرض السودان موطن، الذهب والعبيد في الجنوب،كما سمحت لها واجهة البحرالابيض المتوسط، الإتصال بالأندلس،وجنوب أوروبا، وسواحل الشام، بل الى غاية اليمن، والهند والصين.

وقد ارتبطت الدولة الحمّادية بهذه المناطق، بعدد من المسالك والطرق ،فمن جهة الشرق تركّز النشاط التجاري عبر طريق برّي يمتد من طرابلس الى تلمسان، عبر صفاقس ، و القيروان، ومنها تتشعب ثلاث طرق، تلتقي كلها عند مدينة المسيلة: طريقان يمران من هضاب الاطلس التلي، وطريق ثالث يعبر الجريد والزاب، ومن المسيلة:يتفرع الى تنس عبر وادي الشلف،والى تلمسان مرورا بتاهرت[1]،كما ارتبطت القيروان قبل الهجرة الهلالية،بعاصمة الدولة الحمادية، القلعة،بطريقين يمتد الاول من وادي الرمال، الى غاية مقّرة مرورا بسبيبة فمجانة المطاحن ونهر ملاق ثم تبسّة و باغاية و بلزمة ونقاوس وطبنة [2]، ويمتد الثاني عبر مدينة أبّة فالأُربس و نهر ملاق و تامديت وتيفاش و قصرالإفريقي و وادي الدنانير و تيجس ودكمةوالغدير[3]،اما من جهة الغرب، فكانت مدينة تلمسان المنفذ الرئيسي للدولة الحمادية نحو فاس وسجلماسة [4]، في حين كانت تنفتح على بلاد السودان جنوبا عبر مدينة وارقلة التي كانت تبعد عنها باثنتي عشر مرحلة كبيرة [5]، اما من جهة الشمال شكلت سواحل الدولة الحمادية جزءا

---

1) انظرعزالدين احمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري،دارالشروق، بيروت،1983/1403ص306؛ اسماعيل العربي ،المرجع السابق،ص244، خضيري حسن احمد،المرجع السابق، ص95.

2) البكري المصدر السابق،ص 49فما بعدها.

3) البكري،نفس المصدر،ص ص53-54؛ فمابعدها من عدة صفحات؛وعن المسالك الرابطة بين القيروان والمسيلة والقلعة، وانظر بورويبة رشيد،المرجع السابق،ص ص142-143.

4) اورد الادريسي طريقان:يربط الاول فاس بتلمسان عبر قرى نهر سبو وتمالتة و كرانطة و باب زناتة وكرمطة ووادي مسون وصاع وجراوة وبرقانةوالعلويين فتلمسان،ويربط الثاني تلمسان بسجلماسة عبر فاس و صفروى وتادلة و اغمات و بني درعه (نزهة المشتاق في اختراق الافاق ،ص246فمابعدها من عدة صفحات).

5) الادريسي ،المصدرالسابق، ص296.

من الطريق البحري الرابط بين امارة ألمرية، بالاندلس،ومدينة الاسكندرية بمصر[1]،وكان لها اتصالات مع صقلية والمدن الايطالية[2].

وقد شكّل ميناء بجاية همزة وصل بين النشاط التجاري في الداخل والخارج فكانت له علاقات نشطة، مع عدة مراسي مجاورة منها مرسى تدلس(دلس) الذي شهد استقرار بني صمادح الوافدين من امارة المرية الاندلسية، ومرسى متوسة(على بعد12ميلا من بجاية)الذي كانت تستورد منه الجبس،ومرسى ازفون،ومرسى،المنصورية، ومستغانم[3]، وفي نفس الوقت كان ميناء بجاية يستقبل سفنا من اقصى بلاد الروم واليمن والهند، والصين والاسكندرية[4]، مما جعل من مدينته، قطبا اقتصاديا حيويا زمن الادريسي الذي وصفها ب«مدينة الغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد والسفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة والأمتعة إليها براً وبحراً مجلوبة والبضائع بها نافقة»[5].

واستفاد النشاط التجاري للدولة الحمادية من الظروف السياسية للمنطقة، حيث افضت التاثيرات السلبية لهجرة بني هلال على الدولة الزيرية،الى تعزيز المكانة التجارية للحماديين،فبعد الخراب الذي الحقه الهلاليون بمدينة القيروان والذي تسبب في تراجع مكانتها التجارية،اصبحت مدينة القلعة مركزا تجاريا هاما ، تستقبل القوافل من مصر وسورية والعراق وهجر إليها الكثير من التجار القيروانيون والصناع و العلماء والفنانون والأعيان، طلبا للأمن والإستقرار[6]،مما سمح للدولة ان تجمع ثروة هامة لاسيما من الذهب[7]،انعكست على عاصمتها التي «غدت من أكبر البلاد قطراً وأكثرها خلقاً وأغزرها خيراً وأوسعها أموالاً وأحسنها قصوراً ومساكن »[8]

---

1) **جواتياين د س،دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية،تعريب وتحقيق عطية القوصي،وكالة المطبوعات، الكويت،**1980 ، **ص**220.
2) **عمارة علاوة، المرجع السابق،ص**143 .
3) **نفس المرجع ،ص ص** 142-143 .
4) **مؤلف مجهول،الاستبصار في عجائب الامصار،ص130.**
5) **نزهة المشتاق في اختراق الافاق،ص** 260 .
6) **البكري،المصدر السابق،ص**49**؛موريس لمبارد،المرجع السابق، ص108؛ جورج مارسي، المرجع السابق ،ص ص 227-228.**
7) **اسماعيل العربي،المرجع السابق،ص245.**
8) **الادريسي،المصدر السابق،ص** 255.

كما استفادت التجارة الحمادية من القطيعة الزيرية الفاطمية: ففي الوقت الذي استحدث فيه الزيريون عملة خاصة بهم منذ سنة441 هــ /1049-1050م[1]،وحرّم الفاطميون تداولها[2]،أبقى الحماديون على اسم الخليفة الفاطمي منقوشا على عملتهم[3] الى غاية 543هــ/1147م[4]،الامرالذي سمح لهم بتداولها في المشرق[5]، و استعملوا ايضا العملة المرابطية[6]،التي كانت تحضى باحترام كبير في الشرق والغرب[7].

و حرص الامراء الحماديون، على تأمين الطرق، وتوفير الحماية للقوافل التجارية، ومن ذلك ان الناصر بن علناس ارسل حملة بقيادة ابنه المنصور، لاخضاع بني توجين،الذين تواطؤوا مع عرب بني عدي، على قطع الطريق،و نهب القوافل، اذ تمكن من إلقاء القبض على زعمائهم وأحضرهم إلى الناصر الذي وبخهم ثم قتلهم جميعا[8].

وساهمت الوضعية الاقتصادية المزدهرة للدولة الحمادية في حيوية النشاط التجاري الخارجي، حيث تميز الانتاج الزراعي، بالكثرة والتنوع[9] ، مما تطلب وجود اسواق محلية للتبادل التجاري البيني،واسواق خارجية لتصريف فائض الانتاج، اذ كانت تنتج القمح والشعير في كل من قلعة بني حماد والمسيلة وطبنة وجيجل و وبجاية، والجزائر،

---

1) ابن عذاري المصدر السابق،ج1،ص278؛ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص211؛ ادريس هادي ،المرجع السابق،ج1،ص231.

2) ارشيبالد لويس، المرجع السابق،ص385؛عويس عبدالحليم،المرجع السابق،ص230.

3) خضيري حسن،المرجع السابق،ص138.

4) ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص235.

5) ناصرخسرو،سفرنامه تر يحي الخشاب،تصدير عبدالوهاب عزام،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1993 ،ص92 فما بعدها من عدة صفحات.

6) بورويبة رشيد،المرجع السابق،ص145.

7) مؤنس حسين،عالم الاسلام،مطابع الزهراء للاعلام العربي,القاهرة،بدون تاريخ،ص278.

8) ابن خلدون،نفس السابق،ج6،ص231 ؛ ادريس هادي روجي ،المرجع السابق،ص324.

9) اورد القلقشندي في كتابه صبح الاعشى، المحاصيل الزراعية التي كانت تنتجها مملكة بجاية وهي « القمح، والشعير، والحمص، والفول، والعدس،والذرة،والدُّخن، والجلبان، والبسلا،والعنب والتين،كل منهما على أنواع مختلفة والرمان الحلو والمر والحامض، والسفرجل، والتفاح،والكمثرى،والعنّاب،والزعرور، والخوخ،والمشمش على أنواع،والتوت الأبيض، والفرصاد،وهو التوت الأسود، والقراصيا، والزيتون، والأترج والليمون، والليم، والنارنج ...و بها قصب السكر على قلة ولا يعتصر بها، وبها البطيخ الأصفر على أنواع، والبطيخ الأخضر مع قلة، واسمه عندهم الدلاع، وكذلك الخيار والقثاء، وبها اللوبياء، واللفت، والباذنجان، والقنبيط، والكرنب»(القلقشندي(احمدابوالعباس)،صبح الاعشى،(المطبعةالاميريةالقاهرة1333هــ/1915م)،ج5،ص ص 112 - 113).

ومتيجة ، وبرشك،وتنس[1]،فمدينة بونة«القمح بها والشعير في اكثر اوقاتها كما لا قدر له»[2]، وقسنطينة «لها مزارع الحنطة والشعير ممتدة في جميع جهاتها ... والحنطة تقيم بها في مطامرها مائة سنة لا تفسد»[3] وشرشال لها من«زراعة الحنطة والشعير ما يزيد على الحاجة»[4]،ومدينة تنس «بها الحنطة ممكنة جداً وسائر الحبوب موجودة وتخرج منها إلى كل الآفاق في المراكب»[5] وكانت تنتج الكروم بجيجل والقل[6] والخضراء(عين الدفلى)[7] وشرشال[8] وطولقة[9] وفي الغدير يباع فيها القنطار من العنب بدرهم[10] ، وكانت زراعة الزيتون منتشرة ببسكرة[11] وطولقة[12] والتين ببجاية وشرشال ومرسى الدجاج التي «يحمل منها شرائح طوباً ومنثوراً إلى سائر الأقطار وأقاصي المدائن والأمصار وهي بذلك مشهورة»[13] وكان السفرجل يزرع في شرشال[14]، و تيهارت«سفرجلها يفوق سفرجل الآفاق حسنا و طعما ومشمّا»[15] وتنس بها«من السفرجل الطيب المعنق ما يفوت الوصف في كبره وحسنه»[16]، والجوزبجيجل وسطيف التي«منها يحمل الجوز لكثرته بها إلى سائر الأقطار وهو بالغ الطيب حسن

---

1) بروييىة رشيد،المرجع السابق،ص129.
2) ابن حوقل،المصدر السابق،ص77.
3) الإدريسي،المصدر السابق،ص265.
4) الإدريسي،المصدر السابق،ص258 ؛ الحميري، المصدر السابق،ص340.
5) كتاب الاستبصار ،ص ص128 128.
6) الإدريسي،المصدر السابق،ص ص 252.
7) الادريسي، المصدر السابق،ص253؛ الحميري، المصدر السابق،ص223؛ بوروبة رشيد،المرجع السابق،ص 129.
8) الإدريسي،المصدر السابق،ص258 ؛ الحميري، المصدر السابق،ص340.
9) البكري المصدر السابق،ص72.
10) البكري المصدر السابق،ص60.
11) البكري، المصدر السابق،ص 52؛صاحب الاستبصار،المصدر السابق،ص173 .
12) البكري،نفس المصدر،ص72؛ الحميري،المصدر السابق،ص ص400 401.
13) الادريسي،المصدر السابق،ص259.
14) الإدريسي،المصدر السابق،ص 258؛؛ الحميري، المصدر السابق،ص340.
15) البكري،المصدر السابق،ص67؛صاحب الاستبصار،المصدر السابق،ص 167.
16) الإدريسي،المصدر السابق،ص ص 252.

ويباع بها رخيصاً»[1] و تبسة[2] ونقاوس«كثيرة شجر الجوز،منها يحمل الجوزإلى قلعة بني حماد والى بجاية والى اكثر تلك البلاد»[3]،واللوز بنقاوس[4] والتفاح بالقل وجيجل[5] والتمر بطولقة وتهودة[6]وطبنة[7]ووارجلان[8]–وارقلة–وبسكرة«فيها أجناس التمور، منها جنس يعرفونه بالكسبا و هو الصيحاني يضرب به المثل لفضله على غيره، وجنس يعرف بالليارى أبيض أملس كان عبيداللّه الشيعي يأمرعمّاله بالمنع من بيعه و التحظير عليه وبعث ما هنالك منه إليه،وأجناس كثيرة يطول ذكرها»[9]، وكانت زراعة قصب السكر بجزائر بني مزغنة[10]،

ووفرت الزراعة بعض المواد الاولية النباتية للصناعات النسيجية كالقطن بالمسيلة[11]وطبنة[12]والكتان ببونة[13]،ومقرة«أهلها يزرعون الكتان،وهوعندهم كثير»[14]،ومتيجة«وهي أكثر تلك النواحي كتّانا و منها يحمل»[15] واهل الغدير «عندهم النيلة المشهورة»[16]، التي تستعمل في تحضير الاصبغة.

<u>تربية الحيوانات</u>

اهتم الفلاحون والرعاة بتربية الحيوانات من ابقار واغنام وبغال وخيول وابل

1) الإدريسي،المصدر السابق،ص ص 269.
2) صاحب الاستبصار،المصدر السابق،ص163.
3) صاحب الاستبصار،المصدر السابق،ص172.
4) البكري،المصدر السابق،ص50.
5) كتاب الاستبصار،ص ص127–128 .
6) البكري ،المصدر السابق،ص72 .
7) كتاب الاستبصار ،ص172.
8) كتاب الاستبصار،ص224.
9) البكري ،المصدر السابق،ص52؛ كتاب الاستبصار، 173.
10) القلقشندي،المصدر السابق،ج5،ص176
11) ابن حوقل،المصدر السابق،ص85؛البكري ،المصدر السابق،ص59.
12) ابن حوقل،المصدر السابق،ص85؛الادريسي،المصدر السابق،ص263.
13) ابن حوقل، المصدر السابق،ص77؛الادريسي،المصدر السابق،ص291؛ارشيبالد لويس،المرجع السابق،ص329.
14) الادريسي ،المصدر السابق،ص263؛الحميري،المصدر السابف،ص556.
15) البكري،المصدر السابق،ص65.
16)صاحب الاستبصار،المصدر السابق،ص 167 .

وتربية النحل[1]،فبلاد المغرب الاوسط «كثيرة الغنم والماشية،طيبة المراعي»[2]،فاهل المسيلة تكثر «عندهم المواشي من الدواب والأنعام والبقر» وطبنة «وافرة البقر والغنم وسائر الكراع والنعم»[3] وشرشال «لأهلها مواش وأغنام كثيرة والنحل عندهم كثير والعسل بها ممكن» وأهل الجزائر «أكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم ويتخذون النحل كثيراً فلذلك العسل والسمن كثير في بلدهم وربما يتجهر بهما إلى سائر البلاد والأقطار المجاورة لهم والمتباعدة عنهم»[4]،وتدلس«بها الغنم والبقر موجودة كثيراً وتباع جملتها بالأثمان اليسيرة ويخرج من أرضها إلى كثير من الآفاق»[5]،وكانت بونة « تجارتها الغنم والصوف والماشية...واكثر سوائمهم البقر ولهم إقليم واسع وبادية وحوزة بها نتاج كثير وقلّ من تفوته الخيل السائمة للنتاج»[6] وتهارت«بأرضها مزارع وضياع جمة وبها من نتاج البراذين والخيل كل حسن وأما البقر والغنم بها فكثيرة جداً وكذلك العسل والسمن»[7].

و وفّر اشراف الدولة الحمادية على البحر الابيض المتوسط امكانية استغلال الثروة السمكية [8] في كل من بونة التي« فيها سمك جليل»[9] وذكر ابن حوقل ان مرسى الخرز-القالة- «فيه من صيود السمك ما لم اره ببلد مثله سمنا»[10] وجيجل « بها الحوت الكثير العدد المتناهي في الطيب والقدر»[11]وكان الصيد يتم كذلك في بعض الانهار مثل المسيلة التي تقع بمحاذاة « نهر فيه...سمك صغير فيه طرق حمر حسنة ولم ير في بلاد الأرض المعمورة سمك على صفته وأهل المسيلة يفتخرون به ويكون مقدار هذا السمك من شبر إلى ما دونه وربما اصطيد منه الشيء الكثير فاحتمل إلى

---

1) **بوروبية رشيد،المرجع السابق،ص ص134 135.**
2) **صاحب الاستبصار،المصدر السابق،ص** 179.
3) **ابن حوقل،المصدر السابق،ص**85.
4) **الادريسي،المصدر السابق،ص258.**
5) **الادريسي،المصدر السابق،ص258.**
6) **ابن حوقل،المصدر السابق،ص**77.
7) **الادريسي،المصدر السابق،ص256.**
8) **بوروبية رشيد،المرجع السابق،ص 135.**
9) **البكري،المصدر السابق،ص58.**
10) **صورة الارض،ص**77.
11) **الادريسي،المصدر السابق ص** 268 **؛الحميري نفس المصدر،ص**184.

قلعة بني حماد»[1]

كما توفرت سواحل الدولة الحمادية على ثروة المرجان بمدينة تنس[2]ومدينة مرسى الخرز التي يعد مرجانها من«أجّل جميع المرجان الموجود بسائرالأقطار...ويقصد التجار من سائر البلاد إلى هذه المدينة فيخرجون منه الكثير إلى جميع الجهات يباع بالأموال الطائلة»[3].

وشهدت الدولة الحمادية انتشار بعض الصناعات التي كانت تعتمد على بعض الموادالأوليةالمتوفرة محليا،مثل الكتان بمتيجة ومقرة، والجلود والصوف بالمناطق التي كانت تربى بها المواشي،والخشب ببجاية وبونة وجبل الرحمان قرب مدينة القل[4]، والحديد بمجانة وبونة وبجاية[5]،والرصاص بمجانة،والنحاس واللازورد بجيجل حيث ذكر البكري ان«ببلاد كتامة حجر اللازورد الجيّد و معادن النحاس و الحديد»[6]والجص بمتوسة [7]،وببسكرة«جبل ملح يقطع منه الملح كالصخر الجليل»[8].

واهم الصناعات التي قامت بالدولة الحمادية صناعة النسيج [9]التي تركز وجودها ببجايةوالقلعة[10]،التي كانت تشتهر بها«الأكسية القلعية الصفيقة النسج الحسنة المطرزة

---

1) **الادريسي، المصدر السابق،ص254 .**
2) **ابن حوقل،المصدر السابق،ص78.**
3) **الادريسي، المصدر السابق،ص290؛ وعن طريقة استخراجه اورد نفس المؤلف بانه « يصاد بآلات ذوات ذوائب كثيرة تصنع من القنب تدار هذه الآلة في أعلى المراكب فتلتف الخيوط على ما قاربها من نبات المرجان فيجذبه الرجال إلى أنفسهم ويستخرجون منه الشيء الكثير» (الادريسي، المصدر السابق،ص290 .)**
4) **عزالدين احمد موسى،المرجع السابق،ص245؛ بورويبة رشيد،المرجع السابق،ص134؛عويس،المرجع السابق،ص 224 .**
5) **ادريس روجي هادي،المرجع السابق،ج2،ص254؛؛ عزالدين احمد موسى،المرجع السابق،ص245؛بورويبة رشيد، المرجع السابق،ص136؛جودت عبدالكريم، الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الاوسط خلال القرنين الثالث والرابع هجريين(9-10م)،(ديوان المطبوعات الجامعية بدون تاريخ)،ص84.**
6) **المصدر السابق،ص33.**
7) **بورويبة رشيد،المرجع السابق،ص136؛ جودت عبدالكريم،المرجع السابق،ص84.**
8) **البكري،المصدر السابق،ص52.**
9) **عن الصناعات النسيجية في المغرب الاوسط انظر جودت عبدالكريم،المرجع السابق،ص92 فما بعدها من عدة صفحات.**
10) **هادي،ادريس،المرجع السابق،ج2،ص250؛بورويبة رشيد،المرجع السابق،ص137؛عويس ،المرجع السابق، ص225.**

بالذهب،ولصوفها من النعومة والبصيص بحيث ينزل مع الذهب بمنزلة الإبريسم»[1]، وصناعة الفخاروالخزف[2]، وصناعة المطاحن بمجانة[3]، التي كان بها«جبل شاهق ومنه تقطع أحجار المطاحن التي إليها الانتهاء في الجودة وحسن الطحين حتى أن الحجر منها ربما مر عليه عمر الإنسان فلا يحتاج إلى نقش ولا إلى صنعة لصلابته ودقة أجزائها»[4]، وصناعة الزجاج ببجاية والقلعة[5]،وصناعة الاواني النحاسية[6]،وصناعة السكر بجزائر بني مزغنة[7]،وصناعة بناء السفن في بجاية التي كان بها«داران لصناعة المراكب وانشاء السفن»[8]،ومدينة مرسى الخرز «صنع بها مرفأ للسفن...وفي هذه المدينة تنشأ السفن و المراكب الحربية»[9].

وقد ادت هذه الحيوية في النشاط الزراعي والصناعي الى وجود مراكز تجارية محلية في عدد من المدن الحمادية، مثل مدينة طبنة التي كانت توجد «بها أسواق كثيرة»[10] و« صنائع وتجارات وأموال لأهلها متصرفة في ضروب من التجارات»[11] والمسيلة التي كانت بها«أسواق»[12]،«عامرة بالناس والتجار»[13] ولقسنطينة «أسواق جامعة و متاجر رابحة»[14]،«وبها أسواق وتجار وأهلها مياسير ذوو أموال »[15] وميلة

---

1) الحموي ياقوت،المصدر السابق،ج4،ص390.
2) جورج مارسي،المرجع السابق،ص208؛ ادريس،هادي، المرجع السابق،ج2،ص252؛بورويبة رشيد،المرجع السابق،ص274 فما بعدها؛عويس ،المرجع السابق،ص225؛جودت عبدالكريم ،المرجع السابق،ص118.
3) البكري،المصدر السابق،ص49؛عزالدين احمد موسى،المرجع السابق،ص245.
4) الادريسي،المصدر السابق،293.
5) ارشيبالد لويس،المرجع السابق،ص330؛ مارسي جورج ،المرجع السابق،ص208؛بورويبة،المرجع السابق، ص139؛ عويس ،المرجع السابق،ص225.
6) ارشيبالد لويس،المرجع السابق،ص330؛جودت عبدالكريم،المرجع السابق،ص ص103-104.
7) عزالدين احمد موسى،المرجع السابق،ص240.
8) صاحب الاستبصار،ص130.
9) البكري،المصدرالسابق،ص55.
10) لبكري،نفس المصدر،ص51.
11) الادريسي،المصدر السابق،ص263.
12) البكري،المصدر السابق،ص59.
13) الادريسي، المصدر السابق،ص254 .
14) البكري،المصدر السابق،ص63.
15) الإدريسي،المصدر السابق،ص265.

«كثيرة الأسواق والمتاجر»[1]،و تعد سطيف«مدينة عامرة جامعة كثيرة الأسواق رخيصة الأسعار»[2]و«بمدينة الغدير جامع و أسواق عامرة و فواكه كثيرة،وهي رخيصة الطعام و اللحم و جميع الثمار، قنطار عنب فيها بدرهم»[3]، ولمدينة تيهارت «تجارات وبضائع وأسواق عامرة»[4]وكان لمدينة الجزائر «أسواق »[5]، و «تجاراتها مربحة وأسواقها قائمة وصناعاتها نافقة»[6]،وتحتل مدينة بجاية الريادة في هذا المجال حيث كانت بها« السفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة والأمتعة إليها براً وبحراً مجلوبة والبضائع بها نافقة وأهلها مياسير تجار وبها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد » [7].

وكان بعض التجار يخصصون على مدار ايام الاسبوع، يوما معلوما لبعض القرى والمدن لبيع بضائعهم[8]،مثل مدينة اشير التي التي ذكر الادريسي انه كان لها «سوق يوم معروف يجلب إليه كل لطيفة ويباع به كل طريفة»[9]،ومازونة «لسوقها يوم معلوم يجتمع إليه أصناف من البربر بضروب من الفواكه والألبان والسمن والعسل كثير بها، وهي من أحسن البلاد صفة وأكثرها فواكه وخصباً»[10]،وقد حملت بعض القرى والمدن اسم اليوم الذي يقام فيه السوق الاسبوعي،مثل سوق الاحد وسوق الاثنين،وسوق الخميس[11].

---

1) صاحب الاستبصار،ص166.
2) البكري المصدر السابق،ص.
3) البكري المصدر السابق،ص60.
4) الادريسي،المصدر السابق،ص256.
5) البكري،المصدر السابق،ص66.
6) الادريسي،المصدر السابق،ص258.
7) الادريسي،المصدر السابق،ص ص 260 .
8) جودت عبدالكريم،المرجع السابق،ص142.
9) الادريسي،المصدر السابق،ص254.
10) الادريسي،المصدر السابق،ص272.
11) بورويبة رشيد،المرجع السابق،ص150.

مناطق التبادل التجاري

ارتبطت الدولة الحمادية تجاريا بعدة مناطق، منها افريقية و المشرق والمغرب الاقصى والاندلس والسودان واوروبا، وحتى مع الصين والهند، فالبكري يخبرنا بان القلعة،كانت «مقصد التجّار و بها تحلّ الرحال من العراق و الحجاز ومصر و الشام و سائر بلاد المغرب»[5] ويظيف الادريسي ان اهل بجاية كانوا « يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق وبها تحل الشدود وتباع البضائع بالأموال المقنطرة»[6] اما صاحب كتاب الاستبصاران فيذكر ان مرسى بجاية كان يستقبل السفن «من اقصى بلاد الروم وسفن المسلمين من الاسكندرية بطرف مصر،وبلاد اليمن، والهند،والصين، وغيرها»[7].

ان تعدد مناطق التبادل التجاري للدولة الحمادية، وتباعدها ،يجرنا الى معرفة طبيعة السلع المتبادلة مع كل منطقةاستيرادا وتصديرا.

السلع المتبادلة مع افريقية:

ساهم الموقع الجغرافي للدولة الحمادية على حدودها الشرقية مع افريقية، في وجود عدة مسالك وطرق، عززت روابطهما التجارية،لاسيما تلك الواصلة بين كل من القيروان والقلعة، والقيراون والمسيلة، والقيروان وتنس[1]،فضلا عن الطرق البحرية عبر موانىء المنطقتين، التي كانت تشكل جزءا هاما من االطريق البحري الرئيسي الرابط بين الاسكندرية في مصر والمرية بالاندلس[2].

وتمثلت صادرات المغرب الاوسط نحو افريقية في السمن والتين والعسل من جزائر

---

1) جودت عبدالكريم،المرجع السابق،ص142.
2) الادريسي،المصدر السابق،ص254.
3) الادريسي،المصدر السابق،ص272.
4) بورويبة رشيد،المرجع السابق،ص150.
5) المصدر السابق،ص49؛
6) الادريسي،المصدر السابق،ص ص 260 .
7) مؤلف مجهول،الاستبصار في عجائب الامصار،ص130.
1) بورويبة رشيد،المرجع السابق،ص ص142-143.
(8 De mas latrie ,Relations et commerce de l'Afrique septentrional p123 ;
جواتاين،المرجع السابق،ص220؛

بني مزغنة[1] التي كان «يقصدها أصحاب السفن من إفريقية»[2]،و النحاس «من جبال كتامة»[3]،والاخشاب من منطقة القبائل الصغرى[4] ومن جبال الرحمان قرب القل التي «منها يحمل عمود الخرط إلى إفريقية ومن والاها»[5]،كما كانت تشتري من تنس مواد غذائية مختلفة[6]منها السفرجل المعنّق[7]،وكانت تستورد حجارة المطاحن من مجانة[8].

وكان المغرب الاوسط من جهته يستورد من افريقية المنسوجات القطنية والكتانيةوالصوفية الغالية الثمن[9]،و الفستق من قفصة [10]، والموز الذي كانت تنفرد بزراعته بكثرة مدينة قابس[11]،والزيت من صفاقس[12]، والزرنيخ من بنزرت[13].

<u>السلع المستوردة من المغرب الاقصى</u>

شكلت مدينة تلمسان المنفذ الرئيسي للتبادل التجاري بين المغربين الأوسط والاقصى حيث ذكرالادريسي انها « قفل بلاد المغرب وهي على رصيف، للداخل والخارج منها، لا بد منها ،الاجتياز بها على كل حالة»[14]،وظل الطريق الرابط بين تلمسان وفاس عبر تازا،طريقا تجاريا هاما ، وفي عهد المرابطين ظهر طريق ساحلي

---

1) ابن حوقل،المصدر السابق،ص78؛ الادريسي،المصدر السابق،ص258؛ ادريس هادي ،المرجع السابق ،ج2 ، ص 114؛جودت عبدالكريم، المرحع السابق،ص215.
2) الحميري،المصدر السابق،ص163.
3) البكري،المصدر السابق،ص83.
4) موريس لمبار،المرجع السابق،ص101.
5) البكري،المصدر السابق،ص83.
6) مؤلف مجهول،الاستبصار في عجائب الامصار،ص133.
7) ابن حوقل،المصدر السابق،ص85.
8) ابن حوقل المصدر السابق،ص84.
9) عزالدين موسى،المرجع السابق،ص324.
10) كان الفستق يحمل من قفصة « إلى بلاد إفريقية وبلاد المغرب»مؤلف مجهول،الاستبصار في عجائب الامصار،ص153.
11) البكري،المصدر السابق ،ص17؛ مؤلف مجهول،الاستبصار في عجائب الامصار،ص113؛جودت عبالكريم، المرجع السابق ، ص221.
12) البكري،المصدرالسابق،ص20؛ارشيبالد لويس،المرجع السابق،ص330؛لمبارد موريس،المرجع السابق، ص243
13) الزهري(محمد ابن ابي بكر)، كتاب الجغرافيا ،تحقيق محمد حاج صادق،مكتبة الثقافة الدينية،بورسعيد،ص108.
14) الادريس ،المصدر السابق،ص250.

يربط بين مدينة نول على المحيط للاطلسي ومدينة تنس على البحر الابيض المتوسط[1]، وقد يكون المغرب الاوسط استورد، من بلاد السوس السكر،والنحاس الاصفر من مدينة فاس، وجلود الفنك من مدينة نول لمطة،اذ اورد صاحب الاستبصار ان من بلاد السوس كان« يجلب السكر الى جميع بلاد المغرب»[2]،ومن مدينة فاس « يحمل النحاس الأصفر إلى جميع الآفاق»[3]،وفي مدينة نول لمطة «الفنك كثير، ومن عندهم تحمل جلودها إلى جميع البلاد »[4] وذكر الادريسي ان في سجلماسة «غلات القطن والكمون والكراويا والحناء، ويتجهز منها إلى سائر بلاد المغرب»[5].

<u>السلع المتبادلة مع مصر والمشرق</u>

كانت عاصمة الحماديين الاولى،القلعة،«مقصد التجّار و بها تحلّ الرحال من العراق والحجازومصروالشام»[6]،في حين كانت العاصمةالثانية بجاية،تستقبل سفنا،«من الاسكندرية بطرف مصر،وبلاد اليمن»[7]، و قد تميز التبادل التجاري مع مع المشرق عموما،ومصر الفاطمية خصوصا،بالحيوية[8] بفعل،عدة عوامل منها، جسور الاتصال التي اقامهاالحماديون مع الفاطميين في الميدان السياسي[9] و تداول الدينار المغربي في هذه المناطق[10]،حيث اورد ناصر خسرو، في كتابه سفرنامه،ان الدينار المغربي كان عملة مرجعية رائجة في التعاملات المالية في مصر[11]،كما كان

---

1) عزالدين موسى،المرجع السابق،ص ص 312-313.
2) الاستبصار في عجائب الامصار،ص212.
3) نفس المصدر،ص181.
4) نفس المصدر،ص213.
5) نزهة المشتاق في اختراق الافاق،ص226.
6) البكري،المغرب في ذكر افريقية والمغرب،ص49.
7) مؤلف مجهول،الاستبصار في عجائب الامصار،ص130.
8) خضيري حسن،المرجع السابق،ص98.
9) كان اول اتصال رسميي بين الحماديين والفاطميين في عهد القائد بن حماد الذي أعلن ولاءه لحكام القاهرة،ونال منهم لقب شرف الدولة، (ابن خلدون المصدرالسابق،ج6،ص229؛بونار رابح،المرجع السابق،ص208).
10) ادريس هادي ،المرجع السابق،ج2،ص262.
11) سفرنامه،تر يحي الخشاب،تصدير عبدالوهاب عزام،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1993،ص92فمابعدها من عدة صفحات.

اهل دمشق يتعاملون بهذا الدينار[1].

ومما يدل على تلك الروابط التجارية ، تواجد تجار مغاربة في مصر عرفوا باسماء المناطق التي جاؤوا منها مثل التهارتي والفاسي والطرابلسي[2]، وحرص هؤلاء، على تلبية بعض مطالب المغاربة الذين اختاروا الاسقرار في مصر،وكانوا يمثلون شريحة معتبرة في العصر الفاطمي[3]،لاسيما الكتاميين منهم،اذ كان بمدينة الفسطاط والاسكندرية اسواق تحمل اسماءهم، مثل سوق المغاربة وسوق البربر[4]،كما ساهم اليهود المغاربة بقسط وافر في عملية نقل البضائع من المغرب المشرق الاسلاميين[5]،ومن جهتهم سعى الفاطميون الى توطيد هذه الروابط ،خاصة بعد قطيعة الزيريين لهم، مثل المركب الذي انطلق من الاسكندرية سنة 536هـ/1044م محملا «ببضائع عظيمة لها شأن وأثمان للتجار وهدية إلى صاحب بجاية»[6].

وتمثلت واردات الدولة الحمادية من بلاد المشرق في عدة سلع منها المنسوجات، خاصة المذهبة المنقوشة والتي كانت ترد من مصر والعراق وخراسان واليمن والشام[7]،و نسيج «البوقلمون الذي لا ينسج في مكان آخر من جميع العالم وهو قماش ذهبي يتغير لونه بتغير ساعات النهار وتحمل أثوابه من تنيس(المصرية) إلى المشرق والمغرب»[8]،وكانت بجاية تستورد من المشرق (عن طريق جنوة وبيزة) القطن والكتان والحرير[9]،والتوابل والبخور والعطور، التي كانت تجلب من بلدان الشرق الاقصى نحو الاسكندرية عبر ميناء عيذاب بالبحر الاحمر ومدينة الفسطاط[10]،واستوردت بعض

---

1) النجوم الزاهرة في ملوك مصروالقاهرة،تقديم وتعليق محمد حسين شمس الدين،دار الكتب العلمية بيروت،1413/1992،ج5، ص103.
2) جواتاين ،المرجع السابق،ص229
3) حسن خضيري،المرجع السابق،ص115.
4) حسن خضيري،نفس المرجع،ص252.
5) منتوجومري وات،فضل الاسلام على الحضارة الغربية،تر حسين احمد امينن،1403/1983مكتبة مدبولي،ص30.
6) ابن عذاري،المصدر السابق،ج1،ص312.
7) عزالدين موسى،المرجع السابق،ص328.
8) خسرو ناصر،المصدر السابق،ص92.
9) عزالدين موسى،المرجع السابق،ص329.
10) خضيري حسن،المرجع السابق،ص117.

المعادن النفيسة[1]،مثل الزمرد من صحراء قوص –شرق النيل[2]–التي كان بها نوعا يعرف «بالمغربى لأن ملوك المغرب والأفرنج والأندلس والجلاقة يتنافسون فيه»[3]، وكانت المصنوعات الخزفية المصرية تحضى برواج كبير في بلاد المغرب[4]،ومن المواد الغذائية الواردة من مصر السكر ومربى الورد[5]، ومن بلاد فارس كان يجلب ماء الورد «الى سائرالأرض حتّى المغرب»[6]،كما صدّرت مصرالورق المستخرج من نبات البردي الذي كان ينمو نموا طبيعيا في مستنقعات الدلتا والفيوم[7].

واشارت وثائق الجنيزة الى خط بحري ربط بين الاسكندرية وبجاية مرورا بطرابلس، وقابس، وصفاقس والمهدية ،وتونس ،ومراسي المغرب الاوسط، وكان هذا الطريق موصولا،بالخط الرئيسي الاسكندرية –المرية،ودلّت نفس الوثائق،على ان التجار اليهود احتكروا قسطا هاما من هذه التجارة وكانوا من النازحين الذين استقروا في مصر بعد استحواذ القبائل الهلالية على القيروان[8].

وكان يرد الى المغرب الاوسط من الهند بعض البضائع مثل القرنفل والزنجبيل والقرفة وجوز الطيب والبخور والروائح العطرية والرواند عبر ثلاث طرق مختلفة كان اولها ، الموانىءالاوروبية التي كانت توجد بها مستودعات للعقاقير الهندية،وثانيها الاسكندرية اما الطريق الثالث فكان يمتد من القيروان الى القلعة وتلمسان وغيرها من المدن الداخلية[9]،ويمكن ايعاز هذا التواصل التجاري مع الهند الى العلاقات التجارية

---

1) خضيري حسن،المرجع السابق،ص120.

2) قال عنها الحميري انها «مدينة كبيرة في البلاد المصرية في الجهة الشرقية من النيل وهي كبيرة بها منبر وأسواق جامعة وتجارات ودخل وخرج، والمسافر إليها كثير، والبضاعات نافقة والمكاسب رائجة والبركات ظاهرة، وشرب أهلها من ماء النيل، وبها بقول طيبة وضروب من الفواكه ولحوم»(الحميري،المصدر السابق،ص ص484–485).

3) خضيري حسن،المرجع السابق،ص ص121–122.

4) مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار،ص86.

5) جواتاين ،المرجع السابق،ص242.

6) ابن حوقل،المصدر السابق،ص260،جودت عبدالكيم المرجع السابق،ص233.

7) خضيري حسن،المرجع السابق،ص121.

8) **Shelomo.D.Goitein Lettres of Medieval Jewish Traders ,Princeton University Press,1973,p 334** نقلا عن عمارة علاوة،المرجع السابق،ص143.

1) اسماعيل العربي ،المرجع السابق،ص246.

التي اقامها تجار المغرب(شمال افريقيا) مع الهند[1].

اما صادرات المغرب الاوسط نحو مصر وبلاد المشرق فكانت تتمثل في الملابس الصوفية والحريرية ومعدن الرصاص ،والمواشي من الخيول والجمال والاغنام والابقار[2]،و وجلودالنمور التي قال عنها الجاحظ «وخير النمور البربري الموشح الشديد بياضه المشبع سواده... ونمور البربر صغار، ومقدار الجلد منها ما يغشي سرجاً مفرداً، ومنتهى ثمن الجلد منها خمسون ديناراً»[3] ،وكانت بلاد المشرق تستورد المرجان من مرسى الخرز[4] التي كان«منها يحمل إلى بلاد الدنيا ...وهو أنفق شىء بالهند والصين»[5]، و يعود سبب اقبال بلدان المحيط الهندي على استيراد هذا المرجان بكميات كبيرة، الى كون هذه المناطق لايوجد بها الاّ المرجان الابيض فقط،اما المرجان الاحمر فلم يكن معروفا لديها وكانت تعتبره رمزا لجلب الحظ السعيد[6]، وكانت بلاد المغرب تصدر الى مصر الاسماك بكميات كبيرة[7]،وقد يكون ذلك من مناطق الصيد الهامة،مثل بونة ومرسى الخرز الذي قال عنه ابن حوقل ان«فيه من صيود السمك ما لم اره ببلد مثله سمنا»[8] ،وجيجل التي قال عنها الادريسي ان«بها الحوت الكثير العدد المتناهي في الطيب والقدر»[9]،واستوردت مصرمن بونة الحديد والزعفران[10]، و البلور الذي قال عنه ناصر خسرو« رأيت كذلك معلمين مهرة ينحتون بلوراً غاية في الجمال وهم يحضرونه من المغرب»[11]،وكان المغرب الاوسط اجيالا متعاقبة مركزا لتجارة عبور العبيد نحو مصر وغيرها من المشرق، حيث كانت اوروبا الوسطى والشرقية

---

1) جواتاين،المرجع السابق،ص270.
2) ابن حوقل،المصدر السابق،ص ص94-95
3) الجاحظ،التبصرة بالتجارة،ص3.
4) الادريسي، المصدر السابق،ص290.
5) مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار،ص126.
6) موريس لمبارد،المرجع السابق،ص101.
7) جواتاين،المرجع السابق،ص240؛خضيري حسن،المرجع السابق،ص110.
8) صورة الارض،ص77.
9) نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ص 268 .
10) خضيري حسن،المرجع السابق،ص113.
11) سفرنامه،ص118.

وارض الصقالبة تدفع بالجواري والغلمان نحو اسبانيا ومنها يسوق النخاسون بضاعتهم البشرية الى المغرب ،حيث يوزعون قسما ويحملون قسما اخر نحو مصر وبقية المشرق،كما كانت قصور مصر تستقبل العبيد الاتي من السودان عبر المغرب الاوسط[1]،وفي هذا السياق ذكر المقريزي ان أم الخليفة الفاطمي المستنصر،استكثرت منهم حيث «كانت عدّتهم خمسين ألف عبد»[2] وكان« السبب في كثرة السودان بالقصر أن أم المستنصر كانت جارية سوداء »[3]،ومن جهة اخرى كان يصدر الى مصر وسائر المشرق الذهب المجلوب من بلاد السودان نحو المغرب عن طريق وارقلة ثم القيروان[4]،او عن طريق عدد من المدن الصغيرة الواقعة على طرف الصحراء [5].

السلع المتبادلة مع السودان

سعت الدولة الحمادية الى اقامة قنوات اتصال مع بلاد السودان، وذلك على غرار بقية الدول التي قامت ببلاد المغرب والتي حرصت على السيطرة على المحطات التي تقصدها القوافل لجلب معدن الذهب[6]،ومثلت مدينة وارجلان–وارقلة–التي خضعت للدولة الحمادية منذ عهد الناصر بن علناس[7]، وارتبطت بها عن طريق المسيلة التي تبعد عنها باثنى عشر مرحلة كبيرة[8]، احد المنافذ الهامة نحو بلاد السودان،الى جانب سجلماسة والجريد[9]،حيث ذكر الادريسي ان وراقلان«مدينة فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة وبلاد ونقارة فيخرجون منها التبر»[10]، و قد ساهم تحسن العلاقات الحمادية المرابطية في جعل بجاية مراكز هاما يستقبل

---

1) العربي اسماعيل،المرجع السابق،ص247.
2) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار،ص272.
3) المقريزي،اتعاظ الحنفاء باخبار الائمة الفاطميين الخلفاء،ج2،ص226–227.
4) اوليفيا ريمي كونستبل،التجارة والتجار في الاندلس،ص301.
5) موريس لمبارد،المرجع السابق،ص174.
6) موريس لمبارد،المرجع السابق،ص174.
7) ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص231.
8) الادريسي ،المصدر السابق،ص296.
9) موريس لمبارد،المرجع السابق،ص164؛هادي ادريس،المرجع السابق،ص291.
10) نزهة المشتاق في اختراق الافاق ،ي، ،ص296.

السلع الواردة من السودان[1] ،وقد كانت حركة السلع بين المنطقتين نشطة،فالوردات شملت بضائع مختلفة،ياتي على راسها الذهب الذي كان يرد الى المنطقة بكميات كبيرة ، يدل على ذلك قيمة الدينار المغربي الذائع الصيت في مصر[2]، وما حمله معه المعز لدين الله الفاطمي الى مصر لما غادر المغرب سنة سنة361هـ/ 972م،حيث ذكر ابن الاثير ان المعز اخذ «جميع ما كان له في قصره من أموال وأمتعة وغير ذلك، حتى إن الدنانير سبكت وجعلت كهيئة الطواحين وحمل كل طاحونتين على جمل»[3]،اما المقريزي فذكر انه «كان معه مائة جمل عليها الطواحين من الذهب،وقال غيره:كانت خمسمائة جمل على كل جمل: ثلاثة أرحية ذهبا»[4]، و بعد رحيل الفاطميين،استمر تدفق ذهب السودان على المنطقة،مما اسهم في ازدهار الحالة الاقتصادية كان من مظاهرها،التفنن في المنشآت العمرانية،والانتشارالواسع لصناعة الحلي،وصك النقود الذهبية[5]،اما السلعة الثانية،الواردة من السودان فكانت العبيد،فقد ذكر ابن سعيد ان مدينة وارقلة «وهي بلاد نخل وعبيد ومنها تدخل العبيد إلى المغرب الأوسط وإفريقية، والسفر منها في الصحراء إلى بلاد السودان كثير»[6]،وكانت السودان الغربي(السينيغال، مالي، بوركينافاسو،نيجيريا غانا) المورد الرئيسي للرقيق واهم فئاته التكرور السينغاليون، والصنكي الغانيون، والصونغاي، والصاو،من الكانم قرب تشاد[7]،ولم يقتصر استيراد العبيدلاسخدامهم محليا في الاعمال الزراعية والصناعية والعسكرية[8]،بل تجاوزه الى التصدير نحو افريقية ومصر والاندلس[9].

وكان يجلب من السودان بعض الحيوانات مثل الفيلة والزرافات والاسود النمور[10]،

---

1) **عزالدين موسى،المرجع السابق،ص265.**
2) **ناصر خسرو،المرجع السابق،ص182.**
3) **لكامل في التاريخ،ج8،ص45.**
4) **المواعظ والاعتبار بخطط الاثار،ج2،ص215.**
5) **جودت عبدالكريم،المرجع السابق،ص225.**
6) **كتاب الجغرافيا،ص**27.
7) **موريس لمبار،المرجع السابق،ص**299.
8) **عزالدين موسى،المرجع السابق،ص ص119 -120.**
9) **جودت عبد الكريم،المرجع السابق،ص** 227.
10) **جودت عبد الكريم،نفس المرجع،ص** 230.

وكان يجلب من بلاد السودان بعض الادوية[1]، التي اوردها ابن البيطار[2] في كتابه الجامع لمفردات الادوية والاغذية،مثل البشمة التي قال عنها «يؤتى بها إلينا من بلاد السودان ... وكثيراً ما يستعملونها في أمّراض العين ضماداً وذروراً وغير ذلك من أمراضها فيستعملونها للجلاء وإخراج القذى من العين والنفع من الغشاوة وغير ذلك من أمراضها»[3]، وجوز الشرك الذي« يخرجه تجار بلاد السودان وهو جوز يكون على قدر الجوز الكبير مستدير له قشرة من خارج ... إذا شرب منه مثقال بماء أحدث الطمث وأسقط الأجنة ونفع من وجع المثانة وإن صنع منه دهن نفع من أوجاع الوركين والركبتين والظهر، وزعم بعض أطباء المغرب أنه متى شرب ماء طبيخه فتت الحصاة»[4]، وفلفل السودان «يسمى بالبربرية حرفي وهو حب يشبه الجلبان وأوعيته وهو أسود اللون حريف الطعم مثل الفلفل يجلب من بلاد السودان وينفع من وجع الأسنان وتحركها»[5].

اما عن صادرات المغرب الاوسط نحو هذه المنطقة فقد اورد الادريسي بعض السلع التي كانت تحملها القوافل « الى بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطير الأموال من النحاس الأحمر والملون والأكسية وثياب الصوف والعمائم والمآزر وصنوف النظم من الزجاج والأصداف والأحجار وضروب من الأفاويه والعطر وآلات الحديد المصنوع»[6]، واشار الحموي ان التجار كانوا يدخلون الى«غانة وجهازهم الملح وعقد خشب الصنوبر ...وخرز الزجاج الأزرق وأسورة نحاس أحمر وحلق وخواتم نحاس»[7] ،وكان الملح مادة هامة للتصدير[8] وكان بمثابة النقود على حد قول البكري «و تجارة أهل بلد كوكو بالملح و هو نقدهم، و الملح يحمل من بلاد البربر»[9]،وتزداد اهمية الملح

1) جودت عبد الكريم،نفس المرجع،ص 230.
2) ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي المعروف بابن البيطار.
3) الجامع لمفردات الادوية والاغذية،دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - **1422 هـ–2001** م،ج1،ص95.
4) ابن البيطار، نفس المصدر،ج1،ص177.
5) نفس المصدر،ج3،ص167.
6) الادريسي، المصدر السابق،ص232.
7) الحموي ياقوت،المصدر السابق،ج2،ص12.
8) جودت عبدالكريم،المرجع السابق،ص220.
9) المغرب في ذكر افريقية والمغرب،ص183.

بالنسبة لتجار المغرب الاسلامي في كونه السلعة الوحيدة التي يمكن ان تسدد الذهب المجلوب من بلاد السودان،على ما اورده ابن حوقل «فإنّه لا قوام لهم إلاّ به وربّما بلغ الحمل الملح في دواخل بلد السودان وأقاصيه ما بين مائتين الى ثلثمائة دينار»[1] ،وكان تجار المغرب الاوسط ينقلون هذه المادة من نواحي بسكرة[2]،حيث كان بها«جبل ملح يقطع منه الملح كالصخرالجليل»[3]، او من الصحراء التي اشار اليها صاحب كتاب الاستبصار «ومن عجائب هذه الصحراء أن بها معدن الملح تحفر عنه الأرض كما تحفر عن سائر المعادن، ويوجد هذا الملح تحت قامتين أو دونهما من وجه الأرض فيقطع كما تقطع الحجارة ... وبهذا الملح يتجهز إلى بلاد السودان، غانة وغيرها، وله غلة عظيمة»[4] وقد كانت مدينة وارقلة ممونا هاما لبلاد السودان بالفواكه والتمور حيث ذكر الادريسي و«ليس في بلاد السودان شيء من الفواكه الرطبة إلا ما يجلب إليها من التمر من بلاد سجلماسة أو بلاد الزاب يجلبه إليهم أهل وارقلان»[5]و اورد ابن خلدون ان «فواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل توات وتكدرارين ووركلان»[6].

السلع المتبادلة مع الأندلس:

عرفت الواجهة البحرية للمغرب الاوسط بداية من القرن الرابع هجري/التاسع ميلادي نشاطا تجاريا لافتا مع الاندلس، ويعود الفضل في ذلك الى جهود البحارة الاندلسيين الذين فضلوا الاستقرار في عدة مدن ساحلية[7] مثل مدينة بونة التي كان«أكثر تجّارها أندلسيّون»[8] وكانت بجاية «عامرة بأهل الأندلس»[9]، ومرسى الدجاج

1) صورة الارض،ص98.
2) جودت عبدالكريم،المرجع السابق،ص219.
3) البكري،المصدر السابق،ص52.
4) الاستبصار في عجائب الامصار،ص214.
5) الادريسي،المصدر السابق،ص20.
6) المقدمة،ج1،ص360.
7) عزالدين موسى،المرجع السابق،ص 318؛اوليفيا ريمي كونستبل،المرجع السابق،ص 77؛علاوة عمارة،المرجع السابق،ص140.
8) البكري،المصدر السابق،ص55.
9) البكري،نفس المصدر،ص82.

كان «يسكنها الأندلسيون»[1]وتنس « بناها البحريون من أهل الأندلس...ويسكنها فريقان من أهل الأندلس من أهل ألبيرة و أهل تدمير»[2] و«بنى مدينة وهران محمّد بن أبي عون و محمّد بن عبدون و جماعة من الأندلسيّين البحريّين»[3]، واشار ابن حوقل(ت 367-هـ/977م)الى هذا النشاط التجاري فذكر ان تنس كانت من«اكبر المدن التى يتعدّى اليها الاندلسيّون بمراكبهم ويقصدونها بمتاجرهم وينهضون منها الى ما سواها»[4]، وكانت وهران «فرضة الاندلس اليها ترد السلع ومنها يحملون الغلال»[5]،وامتد هذا النشاط الى عدة مراسي منها مرسى الخرز، بونة، جيجل، بجاية،مرسى بني جناد، الجزائر، تمدفوس، شرشال ، برشك، مرسى عطا[6].

اما ابو عبيد البكري(ت487هـ/1094م) فقد اشار الى الطرق البحرية التي كانت تربط مراسي المغرب الاوسط بالاندلس منها:

-مرسى وهران ويقابله من برّ الأندلس مرسى أشكوبرش(ESCOMBRERA)

- مرسى عين فرّوج يقابله من برّ الأندلس مرسى آقلة(ACLA)

- مرسى قصر الفلوس، و يوازيه من برّ الأندلس مرسى قرطاجنة (CARTHAGéNE).

- مرسى مدينة تنس ويقابله من برّالأندلس مرسى شنتبول(CAP DE SANTE POLA).

- مرسى جزيرة وقور(العطور) و يقابله مرسى لقنت(ALICANTE)

- مرسى شرشال ويقابله مرسى مريرة(CAP MORAIRA).

- مرسى البطّال يقابله جبل قرون .(CAP SAINT-MARTIN)

- مرسى جنابية و يقابله مرسى دانية.(DENIA)

- مرسى جزائر بني مزغنة و يقابله مرسى بنشكلة .(PENISCOLA)

- مرسى الدجّاج و يقابل من جزائر الأندلس جزيرة ميورقة(MAJORQUE) [7].

---

1) البكري، نفس المصدر ،ص65.
2) البكري، نفس المصدر ،ص61.
3) البكري، نفس المصدر ،ص70.
4) ابن حوقل المصدر السابق،ص78.
5) ابن حوقل ، نفس المصدر ،ص79.
6) ابن حوقل،نفس المصدر،ص ص78-79.
7) البكري،المصدرالسابق،ص ص81-82؛ اسماعيل العربي ،المرجع السابق،ص ص259-261؛عمارةعلاوة، المرجع السابق ،ص141.

وتدّل هذه الخطوط البحرية بين مراسي الدولة الحمادية ومراسي الاندلس على تبادل نشط للسلع بين المنطقتين، فمن المغرب الاوسط كانت «تجلب الأغنام إلى بلاد المغرب وبلاد الأندلس لرخصها وطيب لحومها»[1] وكانت تنس تصدر« الطعام إلى الأندلس وإلى بلاد إفريقية وإلى بلاد المغرب لكثرة الزرع عندهم»[2]، و من جزائر بني مزغنة التي كان يقصدها «أصحاب السفن من إفريقية و الأندلس و غيرهما»[3] و السمن والتين والعسل[4]،ومن مرسى الخرز المرجان،ومن مدينة بونة الحديد،ومن مرسى الدجاج الكروم،ومن بجاية الخزف[5]،واستوردت الاندلس كذلك الصوف الخام[6]، والحبوب التي كانت تكاليف نقلها من سواحل المغرب نحو المناطق الساحلية للاندلس اقل من جلبها من المناطق الداخلية للاندلس[7]،كما كانت سواحل المغرب معبرا هاما للذهب المجلوب من السودان الغربي(السينيغال،مالي،بوركينافاسو،نيجيريا)نحو الاندلس[8]،وفي مقابل ذلك كان المغرب الاوسط يستورد من الاندلس«الخدم المجلوبون من أرض الصقالبة على الاندلس»[9]، وادى الميورقيون دور الوسيط في تجارة الرقيق الابيض حيث كانت لهم رحلتان الى بلاد الروم، يجلبون فيها العبيد ويبيعونهم في بجاية[10]،ومما يدل على تدفق هذه البضاعة البشرية على بجاية هو انخفاض اسعار الجواري البيض حيث اصبحت تباع« بيضاوان من الروم بسوداء»[11]،ومن كثرة ما الفه اهل بجاية عن الميورقيين في جلب الرقيق البيض، انهم فتحوا في سنة 581هـ /1185م ابواب مدينتهم لاسحاق ابن غانية الذي جاء غازيا لهم، ظنا منهم ان مراكب

---

1) مؤلف مجهول الاستبصار في عجائب الامصار،ص179.
2) مؤلف مجهول الاستبصار في عجائب الامصار،ص133.
3) البكري،المصدر السابق،ص66.
4) ابن حوقل،المصدر السابق،ص78؛ الادريسي،المصدر السابق،ص**258**؛هادي ادريس،المرجع السابق،ج**2**، ص **114**؛ جودت عبدالكريم، المرحع السابق،ص**215**؛عمارة علاوة،المرجع السابق،ص**142**.
5) عمارة علاوة،المرجع السابق،ص**142**.
6) اوليفيا ريمي كونستبل،المرجع السابق،ص 243.
7) اوليفيا ريمي كونستبل،نفس المرجع،ص249.
8) موريس لومبار،المرجع السابق،ص ص 174-175؛ اوليفيا ريمي كونستبل،نفس المرجع،ص253.
9) ابن حوقل،المصدر السابق،ص95.
10) عزالدين موسى،المرجع السابق،ص 118.
11) الغبريني ،المصدر السابق،ص 45.

العسكر هي الرقيق المجلوب مثل العادة[1]، ومن البضائع المستوردةمن الاندلس كذلك، المصنوعات الجلدية، والفخارية، والزجاجية، والاواني الخشبية، وادوات الموسيقى، والمصنوعات المعدنية،خاصة المذهبة منها، والبسط، والورق، والزيت، وبعض المواد الخام، مثل الكتان، والحرير، ومواد الصباغ، مثل الزعفران، والقرمز،والزئبق،والكبريت، الاحمر[2].

السلع المتبادلة مع أوروبا

اقامت الدولة الحمادية علاقات تجارية مع اوروبا حيث كان مرسى بجاية «تحط فيه سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم»[3]،ويبدو ان التجار الجنويين كانوا من الاوائل الذين قصدوا بجاية لهذا الغرض في سنة537هـ/1143م[4]،وابرموا مع الدولة الحمّادية معاهدة سمحت بتواجد جنويين في بجاية في سنة 546هـ/1152م[5]،ومن المرجح ان تكون المعهادات التجارية التي ابرمت بين الاوربيين وحكام المغرب في القرون التالية استمرارا للعلاقات التجارية التي كانت قائمة قبل ذلك[6]، وتحمّل التجار الاوروبيين مسؤولية الربط بين ظفتي المتوسط،نظرا لانشغال تجار المغرب بتجارة الشرق وتجارة ماوراء الصحراء[7]،وفي ما يخص السلع المتبادلة، كان المغرب الاوسط يستورد الخشب المستعمل في البناء، وصناعةالسفن، وتاثيث المنازل، وادوات الطبخ، والنسيج، اذ كانت البندقية تمد المغرب بالخشب الخام، والالواح، والخشب المعالج، وكان حكام المغرب يعتمدون في تسليح جزء من جيوشهم على ما كان يرد اليهم من المانيا، ومن لومبارديا في شمال ايطاليا، من سيوف ودروع وخوذات[8]،علما ان تجارة الاسلحة بين الشرق والغرب في العصور الوسطى كانت

---

1) عزالدين موسى،المرجع السابق،ص 118.
2) عزالدين موسى،المرجع السابق،ص 318؛ عمارة علاوة،المرجع السابق،ص**142**.
3) مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار،ص 130.
4) عمارة علاوة،المرجع السابق،ص 144.
5) هادي ادريس،المرجع السابق،ج2،ص ص296-297.
6) العربي اسماعيل،المرجع السابق،ص248،جودت عبدالكريم ،المرجع السابق،ص235.
7) ارشيبالد لويس،المرجع السابق،ص274.
8) **De mas latrie ,Relations et commerce de l'afrique septentrional p365 ;** اسماعيل،المرجع السابق،ص**245**؛عزالدين موسى،المرجع السابق،ص**328**جودت عبد الكريم،المرجع السابق، ص **235** .

تخضع للمضاربات لأن ما كان يصل منها الى البلاد الاسلامية كان يمر عن طريق التهريب والتحدي لقرار الكنيسة التي كانت تحرم تصدير المواد الاستراتجية الى هذه البلاد من بينها المغرب[1]،واستوردت بجاية من اوروبا الذهب،المستغل في ضرب السكة وصناعة الحلي،و كانت ايطاليا تزود المغرب بالاواني المصنوعة من مختلف المعادن،فضلا عن الاسلاك الحديدية والابواق النحاسية،كما كانت الطبقة الثرية تستورد من اوروبا الاحجار الكريمة، والياقوت، ومختلف انواع المجوهرات[2]،وكانت توابل الهند مثل القرنفل والقرفة والزنجبيل تصل الى المغرب عن طريق الموانئ الاوروبية التي كانت توجد بها مستودعات لهذه التوابل[3]،وكانت جنوة وبيزة تصدران لبجاية بعض المواد الوارد اليهما من المشرق مثل القطن والكتان والحرير[4]،وشكل العبيد الصقالبة احدى السلع التي استوردها المغرب الاوسط،سواء عن طريق الاندلس او عن طريق بلاد الروم مباشرة،حيث كانت المدن الايطالية تتلقى الرقيق الصقلبي الاتي من اعالي الدانوب عن طريق ممرات جبال الالب الشرقية،والمانيا،وبعد ذلك يقوم التجار بنقلهم الى البلاد الاسلامية[5].

لم تعرف صناعة الجلود المتنوعة الا في القرن الرابع عشرالميلادي، وكانت صناعة الجلود في بجاية وفاس وتلمسان وتونس ،تشمل جلود عدد من الحيوانات،مثل البقر والغنم،والمعز،والخيل،والجمال،مما يدل على وفرة هذه الحيوانات في المغرب[6]، وفي مقابل هذه السلع كان المغرب الاوسط يصدر الى اوروبا عدة مواد منها الخيول العربية والبربرية، والاسماك المقددة،والجلود المدبوغة والمصبوغة،والمواد التي تستخدم للدباغة،مثل القشورالمعروفة بالقشورالبجائية،حيث كان الجلد المغربي

---

1) العربي اسماعيل،المرجع السابق،ص ص245–246.

2) العربي اسماعيل، المرجع السابق،ص246 ; De mas latrie ,op cit p366

3) عزالدين موسى،المرجع السابق،ص329.عمارة علاوة،المرجع السابق،ص145.

4) موريس لمبار،المرجع السابق،ص294؛ جودت عبدالكريم ،المرجع السابق،ص235.

5) De mas latrie ,Relations et commere de l'afrique septentrional pp374-375 ; العربي اسماعيل،المرجع السابق،ص247 .

6) De mas latrie ,Relations et commere de l'afrique septentrional p 376; العربي اسماعيل،المرجع السابق،ص248؛جودت عبدالكريم،المرجع السابق،ص221.

المصبوغ،يحظى بشهرة مميزة في اوروبا،حيث ان بعض المناطق مثل باريس في فرنسا وكانت مدينة بونة(عنابة) و مدينة بجاية من اهم المدن التي كانت تزود اوروبا بمادة الشمع،ولا ادل على ذلك من ان مدينة بجاية منحت اسمها لهذه المادة في اللغة الفرنسية (BOUGIE)[6]،ومما كان يصدر الى اوروبا كذلك التمر والتين المجفف،واللوز،والزبيب الجيد الذي كان يحمل من بجاية وبونة،و مازال اسمه العربي منتشرا في اللغة الايطالية[7]،الى اليوم،كما كانت بجاية تصدر الى اوروبا كميات كبيرة من الصوف الى فرنسا وايطاليا مما يدل على اهمية تربية المواشي بالدولة الحمادية، و كان البندقيون يستوردون من بلاد البربر لاسيما من ميناء وهران،كميات كبيرة من القطن الذي كانت تشتهر بزراعته المسيلة وطبنة وبسكرة ومستغانم[8].

(1 De mas latrie ,Relations et commere de l'afrique septentrional p 379;
العربي اسماعيل،المرجع السابق،ص248؛جودت عبدالكريم،المرجع السابق،ص221.

(9 De mas latrie ,Relations et commere de l'afrique septentrional p 380;
العربي اسماعيل،المرجع السابق، ص ص248-249

الفصل الرابع:

العلاقات الثقافية

على الرغم من التفكك السياسي،الذي شهده العالم الاسلامي ،في القرن الخامس هجري (11م)،الاّ انه ظل يمثل وحدة حضارية أُختزلت فيها الحدود الجغرافية للكيانات السياسية المتعددة[1]، و فضاءا حرا صال وجال فيه العلماء ،على اختلاف مذاهبهم ،ودياناتهم،ومجالا لتتلاقح الافكار،وضمن هذا السياق استقبلت الدولة الحمّادية بحكم موقعها الجغرافي، عددا من العلماء،الوافدين من شرق العالم الاسلامي وغربه،وفي نفس الوقت مثلت محطة انطلاق، لعدد من علمائها نحو الاندلس والمشرق والمغرب الاقصى وافريقية، الذين تركوا بصماتهم الفكرية واضحة في المناطق التي انتقلوا اليها،مستفدين من النشاط الثقافي الذي ميز حواضرها، لاسيما في عاصمتيها،القلعة، وبجاية.

عوامل ازدهار الحياة الثقافية

انتعشت الحياة الثقافية بالدّولة الحمّادية بفضل تظافر جملة من العوامل، منها تشجيع الامراء الحماديين، للنشاط الفكري،من منطلق منافسة عواصم الدول المعاصرة لهم مثل القيروان والمهدية وفاس والقاهرة،حيث كانوا يقدمون العلماء على سائر الطبقات، و يؤثرونهم بمناصب الدولة ويجودون عليهم جودا حاتميا[2]، وجعلوا من قصورهم ساحات فكرية،يتنافس فيها العلماء في مختلف أنواع العلوم النظرية والتجريبية, فمؤسس الدولة حمّاد،الذي كان ملما بالفقه ومطلعاعلى كتب الجدل[3]، حرص على الاستكثار من المساجد والفنادق بعاصمته القلعة ،التي غدت مقصد طلاب العلوم وأرباب الصنائع[4]، وكان الناصر بن علناس يقرّب اليه الادباء والشعراء مثل ابن الفكاه القيرواني،القائل :

قالت سعاد وقد زمّت ركائبنا مهلا عليك فانت الرائح الغاد

فقلت تالله لاانفك ذا سفر تجري بي الفلك او يحدو بي الحادي

حتى اقبل ترب العز منتصرا بالناصر بن علناس بن حمّاد[5]

---

1) عويس عبد الحليم،المرجع السابق،248.
2) بونار رابح،المرجع السابق،ص282؛ عويس عبد الحليم، نفس المرجع ،ص249.
3) ابن الخطيب،المصدر السابق،ج3،ص85.
4) ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص227.
5) ابن الخطيب،نفس المصدر،ص96.

وكان المنصور بن الناصر«يكتب ويشعر»[1]،ويستقبل في بلاطه الشعراء منهم الشاعر ذائع الصيت عبدالجبار بن حمديس [2]،في حين كان العزيز بن المنصور شغوفا بحضور مجالس المناظرة بين العلماء،اما يحي بن العزيز فقد اسند منصب الوزارة الى الفقيه ميمون بن حمدون[3] واتخذ من الادباء كتّابا لديوانه مثل ابوجعفر بن فلفول وابوعبدالله بن دفرير وابو القاسم القالمي[4].

وقد وفرت الاوضاع الاقتصادية المزدهرة التي تمتعت بها الدولة الحمّادية حافزا لتوافد العلماء والمفكرين ،ومثلت المنشآت العمرانية التي اجتهد الامراء الحماديون في تشييدها،في عدد من المدن لاسيما القلعة وبجاية، فضاءا، تحوَل فيه المجتمع البدوي الى مجتمع حضري، ادى الى بروز مراكز الاشعاع الثقافي[5].

ومما ساهم في ازدهار الحياة الثقافية كذلك هو الانفتاح الفكري والاجتماعي الذي تميزت به الدولة الحمّادية، حيث تعايش فيها اتباع المذهب المالكي والاباضي، والشيعي جنبا الى جنب[6]، وتنعمت بها الجاليات المسيحية واليهودية بالحرية والتسامح وحسن المعاملة ، اذ انشأ المسيحيون، في عهد العزيز بن المنصور كنيسة في القلعة حملت اسم مريم العذراء [7]،مما شجع الرعايا المسيحيين على التوافد باعدادا كبيرة على الامارة الحمّادية،لشعورهم بالامن بها،وللاستفادة منهم في بعض الاعمال لاسيما العمرانية[8]، وكان بالقلعة جالية يهودية ضمت عددا من التجار والاطباء والصيارفة[9]، كما كانت مسقط راس اسحاق بن يعقوب الفاسي الذي اصبح مشرفا على الدراسات

---

1) ابن الخطيب ،المصدر السابق، ص97.
2) بورويبة رشيد،المرجع السابق،ص176.
3) عويس عبدالحليم ،المرجع السابق،ص ص263-264؛الخالدي عبدالحميد،رسالة دكتوراة (العلاقات الثقافية بين المغرب والمشرق من قيام الدولة العبيدية الى نهاية الدولة الحمادية)ص191،
4) حاجيات عبد الحميد،تطور الحياة الفكرية بالجزائر في عهد بني حماد،مجلة التاريخ ،العدد1987،24،ص30.
5) بورويبة رشيد،المرجع السابق،ص166.
6) DE mas latrie, Relations et commere de l'afrique septentrional ou maghreb avec les chretiennes au moyen age,pp124-125;de beylie,la kalaa debeni-hammad, p20 ;
7) ابن خلدون،المصدر السابق،ص ص217- 218.
8) الغنيمي مقلّد عبدالفتاح،المرجع السابق،ص 379.
9) بورويبة رشيد،المرجع السابق،ص166.

اليهودية بالمغرب،من تاليفه «الهلخوت» وهومختصر جزء من التلمود،وعنه اخذ عدد كبير من الطلبة اليهود[1].

وكانت القلعة ملاذا، للعلماء والتجار القيروانيين، النازحين، بسبب الزحف الهلالي، ولعدد من المهاجرين الاندلسيين، المتوجسين، من حكم المرابطين بعد زوال حكم ملوك الطوائف، فالناصر بن علناس استقبل ، امير دانية، علي بن مجاهد ،واكرمه، ولم يكتفي ابنه المنصور بن الناصر، من فتح امارته لأمير المرية، معز الدولة، المعتصم بن صمادح سنة 484هـ/1090م،بل اقطعه مدينة دلس ليستقر فيها مع اسرته والوافدين معه،وبذلك اصبحت ابواب بقية المدن الساحلية مثل بونة وبجاية والجزائر مفتوحة امام الاندلسيين ، الذين راوا في استقبال هذه البلاد لامرائهم حافزا لهم للقدوم اليها والاستقرار بها،ناقلين معهم علومهم وخبرتهم وعاداتهم الاجتماعية، في المأكل والملبس والعمران[2]،كما استقبلت الدولة الحمادية مسلمي صقلية بعد سقوطها في يد النورمان.

<u>الحواضر العلمية</u>

تعددت الحواضر العلمية في الدولة الحمادية،بين المستحدثة في عهد الدولة وتلك التي كانت موجودة قبلها ،مثل مدينة طبنة التي كانت من ابرز المراكز الفكرية في المغرب الاوسط بعد الفتح الاسلامي ،لا سيما في عهد الاغالبة (184-296هـ/800-909م)، الذين شجعوا الحركة الفكرية ، واليها ينسب مجموعة من العلماء منهم الطبني زيادة الله المتوفي سنة 426هـ/1075م،والطبني محمد بن يحي المتوفي سنة 429هـ/1038م ،والطبني عبدالعزيز المتوفي سنة 436هـ/1044م ،والطبني عبدالمالك 457هـ/1056م [3] وتعد مدينة تهارت من المراكز التي ساعدت الحماديين على تعميق وتطوير الحياة الثقافية، بفضل ما ورثته من رصيد الرستميين ، الذين بذلوا جهدا معتبرا في نشر العلم والمعرفة،وبرز في عهدهم عدد من العلماء منهم ابو الفضل احمد بن

---

1) بورويبة رشيد،المرجع السابق،ص198.
2) مقلّد عبدالفتاح،المرجع السابق،ص 379.
3) عمار،العلماء الجزائريونفي البلدان العربية الاسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين(3/14هـ)،ديوان المطبوعات الجامعيةنالجزائر1995،ص17.

القاسم البزاز، ويهود بن قريش،والشيخ ابو سهل، وابو عبيدة بن الاعرج[1]،كما اشتهرت تهارت بمكتبتها المعصومة التي احرقها الفاطميون والتي ضمت كتبا في مختلف العلوم،واليها ينسب علي بن ابي الرجال المتوفي سنة 432هـ/1040م الذي عاش مدة في بلاط الامير الزيري المعز بن باديس،وابن الربيب المتوفي سنة 430هـ[2] و مدينة المسيلة التي شيدها ابوالقاسم محمد بن عبيدالله سنة313 هـ /925م[3]،و أسندت إدارتها إلى بني حمدون الذين شيدوا بها قصورا ضخمة خلد ذكرها مادحهم ابن هانىء في عدة قصائد[4]، ومنها تخرج عدد من العلماء والادباء منهم الاديب الفذ ابن رشيق[5]، و مدينة أشير التي اسسها زيري بن مناد، سنة324هـ /936م،وينسب اليها عدد من العلماء منهم أبو محمد عبد الله بن محمد الأشيري.

كما انشات الدولة الحمادية مدن جديدة تحولت في وقت وجيز الى مراكز علمية مؤثرة ،حيث تحولت عاصمة الحماديين الاولى القلعة ، قطبا ثقافيا يقصده العلماء والطلاب، في حين اصبحت بجاية مركز إشعاع ثقافي بفضل كثرة العلماء وتزاحم الطلاب، وتعدد المؤسسات التعلمية،مثل جامعة "سيدي التواتي" التي بلغ عدد طلبتها ثلاثة آلاف طالب وتدرس بها عدة مواد بما فيها العلوم الفلكية،وكان مرخصا بها للفتيات ليس التعلم فقط بل تقديم محاضرات، فخلال مؤتمر علمي القت طالبة من هذه الجامعة محاضرة دامت ثلاث ايام حول بروج الشمس امام مجموعة من العلماء الاجانب،وفي عهد العزيز بن المنصور كان يحاضر بهذه الجامعة علماء من الاندلس والمشرق[6]،ومما يؤكد أهمية بجاية والمكانة العلمية التي بلغتها هو ،توجه غير المسلمين إليها وطلبهم العلم في

---

1) بونار رابح،المرجع السابق،ص ص85 فمابعدها.
2) عويس عبد الحليم،المرجع السابق،ص265.
3) البكري،المصدر السابق،ص59؛مؤلف مجهول،الاستبصارفي عجائب الامصار ،ص112؛الحميري.
4) ابن خلدون،المصدر السابق، ج4،ص ص 107-108.
5) هو أبو علي الحسن بن رشيق ولد بالمسيلة سنة 390هـ ،أبوه مملوك رومي من موالي الأزد تعلم عن صناعة الصياغة، ، وقرأ الأدب بالمحمدية، وقال الشعر، وتاقت نفسه إلى التزيد منه وملاقاة أهل الأدب، فرحل إلى القيروان واشتهر بها ومدح اميرها المعز بن باديس، ولم يزل بها إلى أن هاجم العرب القيروان وقتلوا أهلها وأخربوها، فانتقل إلى جزيرة صقلية، وأقام بمازر إلى أن مات،له عدة مؤلفات منها: كتاب العمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه، وكتاب الأنموذج.
6) عويس عبد الحليم، المرجع السابق،ص254

معاهدها, فقد تعلم أهل بيزا الإيطاليون صنع الشمع من مصانعها , ونقلوه الى معاهدها, فقد تعلم أهل بيزا الإيطاليون صنع الشمع من مصانعها , ونقلوه الى أوروبا،ولا يزال يسمى الشمع عندهم (بوجي) مأخوذاً عن اسم بجاية كما أن العالم الرياضي الإيطالي الشهير(ليوناردوبيزة) تتلمذعلى أيدي علمائها.

كما برزت مراكز علمية اخرى مثل وارجلان التي كانت معقل المذهب الاباضي،وبعض المدن الساحلية مثل بونة والجزائر .

جدول يوضح:اهم المراكز العلمية[1]

المراكز العلمية	عدد العلماء
بجاية	74
قلعة بني حماد	50
وارجلان	18
الجزائر	13
المسيلة	8
قسنطينة	7
بونة	6
مدن اخرى(تهارت بسكرة مليانة...من1 الى 4)	58

العلوم والفنون

تعددت العلوم التي كانت منتشرة في الدولة الحمّادية منها ، الفقه واصوله، علوم القرآن من تفسير وقراءات،علوم الحديث،علوم اللغة،التاريخ والتراجم، الكلام والعقيدة ، التصوف والزهد،الطب، علوم الطبيعة وعلوم الرياضيات،وعلم الفلك،و فن العمارة والزخرفة والموسيقى.

الفقه واصوله :

نبغ في هذا اللون عدد من العلماء، قد يعود ذلك الى الصراع المذهبي الذي عرفته المنطقة منذ بداية القرن الثاني هجري،وادى الى نشاة العديد من المذاهب من صفرية واباضية وزيدية ومالكية وغير ذلك،وكذلك الى حاجة الدولة الى موظفين من قضاة

1) عمارةعلاوة،المرجع السابق،ص106.

ومفتين[1]، ومن اشهر من برز في هذا العلم ،الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن داود بن عطية بن سعيد العكي القلعي: الذي قال عنه القاضي عياض « صحبته كثيراً ودرست عليه أصول الفقه، وكان جليلاً فاضلاً فقيهاً ذكياً »[2]،والفقيه ابو القاسم بن مالك[3]، والفقيه المالكي عبد الله بن يوسف بن طلحة بن عمرون الوهراني توفي سنة 429**هـ /**1038**م**[4]**،والفقيه علي بن معصوم بن أبي ذر القلعي(**489-551**هـ/**1069-1156**م) الذي يعد من كبار فقهاء الشافعية ولد بقلعة بني حمّاد ورحل الى العراق**[5]**، ومن ابرز فقهاء الاباضية يوسف بن ابراهيم بن مياد السدراتي الورجلاني(500-570هـ /1106-1175م)**[6]

علم القراءات:

نبغ في هذا العلم أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي البسكري(403-465**هـ/**1012-1073**م) صاحب كتاب (الكامل في القراءات)**[7]**،وعتيق بن محمد ابوبكر الردائي** 500**هـ/.**1104**م)** [8]**،وابو عبدالله محمد بن عبدالله المعافري** [9]**،و عَبْد اللَّه بْن مُحَمَّد بْن يَحيى العبدري** [10]**.**

---

1) **حاجيات عبدالحميد، المرجع السابق،ص31**
2) **القاضي عياض،الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض476-544هـ/1083-1149م،تحقيق ماهر زهير جرار،دار الغرب الاسلامي،بيروت لبنان،الطبعة الاولى،1402هـ/1982م،ص64.**
3) **عياض القاضي،ترتيب المدار وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، ج**2**،ص**332.
4) **ابن بشكوال(ابو القاسم خلف،494-578هـ/1101-1183م)،الصلة،تحقيق ابراهيم الابياري،دار الكتاب المصري القاهرة/دارالكتاب اللبناني بيروت،الطبعة الاولى 1410هـ/1989م،ج1،ص238؛الجيلالي عبدالرحمان،ج2، ص360؛نويهض،المرجع السابق،ص المرجع السابق،ص300؛هلال عمار،المرجع السابق،ص 19 .**
5) **ابن عماد (الحنبلي عبد الحي أبو الفلاح المتوفى: 1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب،تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعةالأولى، 1406 هـ - 1986،ج6،ص263؛؛نويهض عادل،معجم اعلام الجزائر من صدر الاسلام الى العصر الحاضر،مؤسسة نويهض الثقافية للتاليف والترجمة والنشر،بيروت لبنان،الطبعة الثانية ، 1400هـ/1980م،ص 267.**
6) **نويهض عادل ،ص المرجع السابق،ص ص34-342؛ هلال عمار،المرجع السابق،ص ص22-23.**
7) **ابن بشكوال،المصدر السابق،ج3،ص975؛الحموي ياقوت،معجم البلدان،ج1،ص422؛**
8) **نويهض، المرجع السابق،ص147.**
9) **الغبريني،المصدر السابق،ص133؛الحفناوي ابو القاسم،تعريف السلف برجال الخلف،مطبعة بييرفونتانة الشرقية،الجزائر،1324 هـ/1906م،ج2، ص74**
10) **الخالدي، المرجع السابق،ص341.**

علوم الحديث:

اهتم علماء المغرب الاوسط بالحديث لكونه المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم وحرصوا على استنباط الاحكام الشرعية منه،ومن كتب الحديث الي حضيت باهتمام المغاربة الموطا للامام مالك ت179هـ، وجامع البخاري ت252هـ،وصحيح مسلم ت261 [1]، واكد ابن خلدون ذلك«أما صحيح مسلم فكثرت عناية علماء المغرب به، وأكبوا عليه»[2]،واشتهر بعلم الحديث عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي الأنصاري،أبو محمد الاشيري(ت561هـ/1165م)،موسى بن حجاج بن ابي بكر الاشيري(ت589هـ/ 1193م)[3]،مروان بن محمد الأسدي أبو عبد الملك البوني (ت429 هـ/1047م)وعلي ابو الحسن الترشكي البوني(حيا536 هـ/1141م)[4]

النحو واللغة:

ارتبط الاهتمام باللغة العربية وقواعدها بعملية التعريب الطويلة المدى،واتساعها التدريجي عبر مختلف المناطق،فضلا عن المكانة التي كان يحضى بها الاديب وكاتب الدواوين والشاعر في بلاط الامراء[5]،ومن الذين برزوا في النحو الحسن بن علي بن طريف التاهرتي (ت501هـ/1107م)،قال عنه القاضي عياض «درس عمره النَّحْو ببلدنا، وَأخذ عَنهُ جمَاعَة أَصْحَابنَا وَجَمَاعَة من شُيُوخنَا»[6] وأبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي البسكري،والى جانب اللغة اهتم علماء المغرب الاوسط، بصنوف الادب من شعر ونثر ونقد ادبي،فمن الشعراء برز ابو الفضل بن النحوي بقصيدته ذائعة الصيت "المنفرجة" التي مطلعها:

---

1) الخالدي،المرجع السابق،ص342
2) المقدمة،ص.795.
3) نويهض عادل،المرجع السابق،ص ص16-17.
4) نفس المرجع،ص ص 51-52.
5) حاجيات عبدالحميد،المرجع السابق،ص31
6) القاضي عياض ،الغنية فهرس شيوخ القاضي عياض (476-544هـ/1083-1149م)،تحقيق ماهر زهير جرار،دارالغرب الاسلامي،بيروت لبنان،الطبعة الاولى،1402هـ/1982م ،ص141؛السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة،تحقيق ،محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار الفكر – لبنان ،ط1399،2/1979،ج1،ص513.

إشتدّي أزمةُ تنفرجي *** قد آذَنَ لَيلُكِ بالبَلَجِ

و ظلام الليل له سُرُجٌ *** حتى يغشاه أبو السُّرُجِ

و سحاب الخير له مطرٌ *** فإذا جاء الإبَّانُ تَجِي [1]

والشاعر ابن حمديس الصقلي، الذي خلّد في قصائده، المنجزات العمرانية للحماديين لاسيما في عهد المنصور بن الناصر منها هذا المطلع عن وصف دارشيدها الامير الحمادي المنصور:

اعمر بقصر الملك ناديك الذي ... أضحى بمجدك بيته معمورا

قصرٌ لو أنّك قد كحلت بنوره ... أعمى لعاد إلى المقام بصيرا

واشتقّ من معنى الحياة نسيمه ... فيكاد يحدث للعظام نشورا[2]

وبرز في النثر الفني مجموعة من كتاب الدولة الحمادية منهم الفقيه أبو حفص عمر بن فلفول كان كاتب الامير يحيى بن العزيز الحمادي وصاحب سرّه، وأبو عبد الله محمد الكاتب المعروف بابن دفرير، وابو القاسم عبد الرحمان الكاتب المعروف بابن القالمي ، وعلي بن الزيتوني الشاعر[3]

الطب والعلوم الطبيعية

اشتهر في عهد الدولة الحمادية عدد من الاطباء منهم ابن ابي المليح الطبيب،وابن النباش البجائي،الذي كان مجتهدا في علاج المرضى،ملما بالعلوم الطبيعية والفلسفية، وعمر بن البيدوخ القلعي الذي كان خبيرا في الادوية المركبة والمفردة، ومن الكتب التي الفها(حواش على كتاب القانون)لابن سينا،وشرح الفضول لابي قراط،ومحمد بن ابي بكر المنصور القلعي الذي نبغ في الطب والحساب والرياضيات،كما اشتهر في علم الفلك علي بن ابي الرجال التاهرتي المتوفى سنة432هـ،من مؤلفاته العلمية كتاب(البارع في

---

1) الغبريني،المصدر السابق،ص ص326-327؛العبدري(ابو عبدالله محمد بن محمد المتوفى بعد700هـ1300م)، رحلة العبدري،تحقيق علي ابراهيم كردي،دار سعدالدين للطباعة والنشر،دمشق،الطبعة الثانية1426هـ/2005، ص ص 139-140.

2) المقري (أحمد بن محمدالتلمساني) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،تحقيق إحسان عباس، دار صادر- بيروت – لبنان،1408هـ/1988،الجزء الاول،ص492.

3) الاصفهاني عماد ،المصدر السابق،ج1،ص ص 179-180؛بورويبة رشيد،المرجع السابق،ص ص190-191؛عويس عبدالحليم،المرجع السابق،ص ص263-264.

احكام النجوم) الذي نقل الى اللاتينية والاسبانية،وكتاب (ارجوزة في الاحكام الفلكية)[1]

جدول2: تخصصات النخب العلمية[2]

التخصص العلمي	عدد العلماء
علوم القرآن	13
علوم الحديث	13
العقيدة والكلام	8
الفقه	154
اصول الفقه	13
الشعر والنثر	54
علوم اللغة	11
تاريخ	9
رياضيات وهندسة	3
طب وعلوم الطبيعة	4
تصوف	1

الفنون والعمارة

من الفنون التي عني الحماديون فن الخط،والرسم والنقش على الخشب،والنحت والزخرفة،والموسيقى والغناء[3]،كما اشتهر الحماديون بالهندسة المعمارية حيث حرصوا في تخطيط مدنهم على ضرورة توفر المرافق الضرورية للحياة اليومية مثل المياه،والاسواق،والمساجد، ،والحدائق،والفنادق،والبساتين المحيطة بالقصور،ومن المنشآت العمرانية التي اشتهرت بها القلعة،المسجد العظيم، قصر المنار، قصر السلام ، قصر الكوكب،قصر الأمراء ،وقصر البحر أو دار البحر الذي اصبح تخطيطه مثالا يحتذى به في اماكن اخرى مثل صقلية وغرناطة،اذ كان يضم بداخله بركة كبرى طولها ستون مترا وعرضها خمسة عشر متر[4] ،قال عنه صاحب الاستبصار:«فى وسطه صهريج

---

1) عويس عبدالحليم،نفس المرجع،ص ص270-271.
2) عمارة علاوة،المرجع السابق،ص110.
3) عويس عبدالحليم،نفس المرجع،ص273
4) نفس المرجع،ص276-277

عظيم تلعب فيه الزوارق، يدخله ماء كثير من ماء مجلوب على بعد، وهذا القصر مشرف على نهر كبير وفيه من الرخام والسوارى ما يقصر عنه الوصف وفيه قصور غير هذا ومبان عجيبة »[1] ، ،اما بجاية فقد اشتهرت بعدة مباني منها قصر قصر اللؤلؤ و الكوكب و أميمون[2]،التي قال عنها صاحب الاستبصار،«لم ير الراؤون أحسن منها بناء،ولا انزه منها موضعا،فيها طاقات مشرفة على البحر عليها شبابيك الحديد والابواب المخرمة المحنية ، والمجالس المقرّصة المبنية حيطانها بالرخام الأبيض من أعلاها إلى أسفلها ،وقد نقشت أحسن نقش وأنزلت بالذهب واللازورد،وقد كتبت فيها الكتابات المحسنة،وصورت فيها الصور الحسنة،فجاءت من احسن القصوروااتمها منتزها وجمالا »[3]

حركة العلماء

شكّل المغرب الاوسط بحكم موقعه الجغرافي حلقة وصل ثقافية،بين المشرق والاندلس، حيث كان بمنزلة جسر يعبره العلماء المتنقلين من المشرق الى المغرب او العكس،مما جعله يستفيد من اسهاماتهم الفكرية المتنوعة[4]،و مثلت الدولة الحمادية فضاءا رحبا لحركة العلماء و الادباء،سواءا الوافدين من المشرق وافريقية والاندلس، او المنتقلين نحو هذه المناطق،وقد اشارت كتب الأعلام والتراجم الى هذه الحركة النشطة، بذكر الاماكن التي ينتسب اليها هؤلاء العلماء،مثل البغدادي،والقيرواني، و الصقلي ،و التوزري ،والاشبيلي، والداني، والميورقي، والطبني، والباغائي، والاشيري، والمسيلي،والتاهرتي،والقلعي،والقسنطيني،والبسكري،والورجلاني، والبجائي، والبوني .

---

1) مؤلف مجهول ،الاستبصار في عجائب الامصار،ص168.

2) ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص232؛برنشفيك روبار،تاريخ افريقية في العهد الحفصي ،ج1،ص312؛ هادي روجي إدريس،المرجع السابق،ج2،ص ص 108-109.

3) مؤلف مجهول ،الاستبصار في عجائب الامصار،ص168.

4) الخالدي عبد الحميد،المرجع السابق،ص298.

<u>العلماءالمتنقلون الى الاندلس</u>

رحل الى الاندلس عدد من علماء المغرب الاوسط، من اجل الاستزادة في طلب العلم من جهة،ومعايشة الحياة الفكرية التي اشتهرت بها، من جهة اخرى،وحضي بعض المتنقلين اليهان بمكانة متميزة،في التعليم والافتاء، وغيرهما ،ومن هؤلاء:

<u>أحمد بن علي بن أحمد الربعي الباغائي(325-401هـ/956-1011م)</u>

يكنى أبا العباس ،ولد بباغاية سنة345هـ /956م، دخل الأندلس سنة(376 هـ)، تولى الاقراء بالمسجد الجامع بقُرطبة، طلب منه المنصور محمد بن أبي عامر تعليم إبنه عبد الرحمن، ثم أقصاه،وفي عهد المؤيد بالله هشام بن الحكم تولى خطة الشورى بقرطبة، وكان على مذهب مالك،اشتهر بغزارة العلم والفهم والذكاء، تخصص في علوم القرآن والفقه[1]، قال عنه القاضي عياض «لم يخلف بعده أحد يقربه في علوم القرآن. وهي كانت الغالبة عليه. وكان بحراً من بحار العلم، وله تأليف في أحكام القرآن»[2] ،وقال عنه ابن بشكوال «كان: من أهل الحفظ والعلم والذكاء والفهم، وكان في حفظه آيةً من آيات الله تعالى، وكان بحراً من بحور العلم، وكان لا نظير له في علم القرآن قراءاته وإعرابه، وأحكامه، وناسخه ومنسوخه»[3]،توفي سنة 401هـ /1011م

<u>الطبني زيادة الله بن علي بن الحسين بن محمد التميمي(336-415/947-1024)</u>

شاعر واديب،ولد بطبنة، سنة336 هـ /947م ،نشأ وتعلم بها، ثم رحل الى

---

1) الحموي ياقوت، معجم البلدان ج1 ص325؛عياض القاضي،ترتيب المدارك،المصدر السابق،ج2،ص265؛ البغدادي(إسماعيل بن محمد أمين المتوفى: 1399هـ)، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول 1951أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان،ج1،ص ص70-71؛ نويهض عادل،معجم اعلام الجزائر من صدر الاسلام الى العصر الحاضر،مؤسسة نويهض الثقافية للتاليف والترجمة والنشر،بيروت لبنان،الطبعة الثانية ، 1400هـ/1980م،ص ص 361-362؛هلال عمار،العلماء الجزائريون في البلدان العربية الاسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين(3/14هـ)،ديوان المطبوعات الجامعيةنالجزائر1995،ص15.

2) القاضي عياض،المصدر السابق، ج2،ص265.

3) الصلة،تحقيق ابراهيم الابياري،دار الكتاب المصري القاهرة/دار الكتاب اللبناني بيروت ،الطبعة الاولى 1410هـ /1989م، ج1،ص87.

الاندلس،واستقر بقرطبة، كان ذا شان كبير بين معاصريه[1]،و «هو أول من بنى بيت شرفهم، ورفع بالأندلس صوته بنباهة سلفهم ، وكان أبو مضر نديم محمد بن أبي عامر، أمتع الناس حديثاً ومشاهدة، وأنصعهم ظرفاً ...رفيع الطبقة في صنعة الشعر، كثير الإصابة في البديهة والروية»[2]،توفي سنة 415هـ/1014م.

<u>عبد الله بن يوسف بن طلحة بن عمرون الوهراني حيا(429هـ/1073م):</u>

ولد ونشأ وتعلم بوهران، جمع بين العلم والتجارة، فقيه مالكي ،عالم بالحديث ، اهتم بعلم الحساب والطب[3]،قال عنه ابن يشكوال «قدم الأندلس تاجراً سنة تسع وعشرين وأربع مئة، وسكن إشبيلية وقت السيل الكبير، في ذلك العام، وكان من الثقات له روايةٌ واسعة عن شيوخ إفريقية أبي محمد ابن أبي زيد ونظرائه،وكان له علم بالحساب والطب، وكان نافذاً فيها»[4].

<u>حسين بن محمد بن سلمون المسيلي، يكنى أبا علي ت (431هـ/1040م):</u>

فقيه مالكي اهتم بعلوم عصره،ولد ونشا وتعلم بالمسيلة،ثم رحل الى الاندلس، تولى شؤون الشورى بقرطبة،في عهد سليمان بن حكم[5]،قال عنه ابن بشكوال«كان حسن التفقه،وقد نوظرعليه في المسائل،وكان لا يحسن سواها،وكان عفيفاً متواضعاً »[6]، توفي بقرطبة سنة431هـ/1040م.

---

1) الحميدي (ابو عبدالله محمد بن ابي نصر المتوفي 488هـ)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس،الدار المصرية للتاليف والترجمة ،1966،ص221؛ ابن بسام ،المصدر السابق،ج1،ص 536؛ ابن بشكوال(ابو القاسم خلف بن عبدالملك بن مسعود،494-578هـ/1101-1183م)، الصلة، ج2،ص190؛ الضّبي (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر المتوفي599 هـ/1203م)،بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس ،تحقيق ابراهيم الابياري،دار الكتاب المصري القاهرة/دار الكتاب اللبناني بيروت ،الطبعة الاولى 1410هـ/1989م ،ج1،ص376؛ نويهض عادل،المرجع السابق،ص المرجع السابق،ص201؛هلال عمار،المرجع السابق،ص ص 17-18 .
2) ابن بسام ،المصدر السابق،ج1،ص 536.
3) ابن بشكوال ،المصدر السابق،ج2،ص 287؛الجيلالي عبد الرحمان،المرجع السابق،ج2،ص360؛ نويهض عادل،المرجع السابق،ص 349؛هلال عمار،المرجع السابق،ص 18 .
4) الصلة،ج2،ص 287.
5) ابن بشكوال،المصدر السابق،ج1،ص145؛ الجيلالي عبدالرحمان،ج2،ص360؛نويهض عادل،المرجع السابق،ص المرجع السابق،ص300؛هلال عمار،المرجع السابق،ص 19 .
6) الصلة،ج1،ص145.

عبد الله بن حمو المسيلي ت (473هـ/1080م):

يكنى أبا محمد، وهو فقيه وكاتب وقاض ،ولد ونشا وتعلم بالمسيلة، ثم رحل الى المغرب،حيث ولي قضاء سبتة،ومنها رحل الى الاندلس،كانت له معرفة بالأصول والفروع،استقر بمدينة المرية،و بها درّس علم القراءات،توفي سنة473هـ/1080م [1].

يوسف بن ابراهيم بن مياد السدراتي الورجلاني(500-570هـ/1106-1175م)

مؤرخ ومفسر،يعدّ من اكابر فقهاء الاباضية، ولد بوارقلة،وبها نشا وتعلم،رحل في شبابه الى الاندلس، طلبا للعلم، حيث سكن قرطبة،ذاع صيته بين الاندلسيين،الذين شبهوه بالجاحظ،ثم عاد الى بلده،ومنها انتقل الى المشرق،وزار اشهر حواضره العلمية، والتقى ياكابر علمائه،ومن المشرق،رحل الى افريقيا السوداء وتنقل في غربها ووسطها، ثم عاد ليستقر نهائيا في مسقط راسه،منقطعا لخدمة العلم[2]« اذ لم يكن يرى فيها الا ناسخا،وللاقلام باريا، وللدراسة فاعلا،او للحبر طابخا،او للدواوين مقابلا او للكتب مفسرا»[3]،وظل على هذه الحال الى ان وافاه اجله بمسقط راسه سنة570هـ /1175م.من مؤلفاته (العدل والانصاف)في اصول الفقه من ثلاثة اجزاء،و (الدليل لاهل العقول) في عقائد الاباضية في ثلاثة اجزاء كذلك،و(مرج البحرين) في المنطق والحساب والهندسة،و (القصيدة الحجازية)و(المغرب في تاريخ المغرب) و(تقسير القرآن الكريم) في سبعين جزءا[4].

موسى بن حجاج بن ابي بكر الاشيري ت(589هـ/1193م):

حافظ للحديث،اصله من مدينة اشير،سكن دلس، ثم رحل الى الاتدلس طلبا للعلم،اقام بها لمدة خمس سنوات،من سنة535هـ الى سنة540هـ حيث سمع باشبيلية من ابي بكر بن العربي،وابن شريح، وبقرطبة من ابي عبدالله بن اصبغ وابن مسرة، وبالمرية

1) ابن بشكوال،المصدر السابق،ج2،ص287؛نويهض،المرجع السابق،ص300؛هلال عمار،المرجع السابق،ص 19 .

2) بنويهض عادل،المرجع السابق،ص ص341-342؛ كحالة عمر رضا،معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)،مؤسسة الرسالة،بيروت،الطبعة الاولى،1414هـ/1993م ،ج4،ص140؛هلال عمار،المرجع السابق،ص ص22-23.

3) نويهض عادل،نفس المرجع ،ص ص341-342.

4) نفسه.

من عبدالحق بن عطية،وبن وضاح وغيرهما، ثم عادالى مدينة الجزائر وامّ بها صلاة الفريضة،وحدّث واخذعنه،ثم استقر بدلس حيث قضى اواخر ايامه[1].

مروان بن محمد الأسدي أبو عبد الملك البوني ت(439هـ/1047م)

فقيه عالم بالاصول والفروع،مفسر،حافظ للحديث،ينحدر من اسرة اندلسية،استقرت ببونة التي ينسب اليها حيث بها ولد ونشا وتعلم،دخل الاندلس،و أقام مدة بقرطبة،حيث اخذ واعطى،ثم رحل الى القيروان ومنها الى المشرق طلبا للعلم، ثم عاد الى عنابة فعكف على التدريس والتاليف الى ان وفاه اجله بها،سنة 440هـ،من مؤلفاته (تفسير الموطا)[2].

أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن حَامِد البجائي المعروف بِابْن النباش

طبيب من مدينة بجاية رحل الى الاندلس،وسكن مرسية [3]قال عنه ابن ابي صبيعة كان«معتن بصناعة الطِّبّ مواظب لعلاج المرضى ذُو معرفَة جَيِّدَة بِالْعلمِ الطبيعي وَله أَيْضا نظر ومشاركة فِي سَائِر الْعُلُوم الْحكميَّة وَكَانَ مُقيما بِجِهَة مرسية»[4].

ابو الحسن علي الترشكي البوني(حيا536هـ/1141م)

محدث،من مدينة بونة،رحل الى الاندلس،سكن بلدة النكب من اعمال البيرة[5]،قال عنه ابن الاباردَخَلَ الْمنْكب تَاجِرًا فَلَقِيَهُ بهَا أَبُو الْقَاسِم بن سمجون وَتَنَاول من يَده أَكْثَر شرح التَّلْقِين للمازري وأنشده أشعارا من نظمه وَأَجَازَ لَهُ جَمِيع مَا رَوَاهُ»[6].

---

1) **الجيلالي عبد الرحمان،المرجع السابق،ج2،ص330؛ نويهض عادل،المرجع السابق،ص المرجع السابق،ص 17؛ هلال عمار،المرجع السابق،ص ص 23-24.**
2) **الحميدي،المصدر السابق،ج2، ص546 ؛ ؛ابن بشكوال،المصدر السابق،ج2،ص ص282-283؛ الضبّي،المصدر السابق،ص461؛ ابن فرحون (القاضي ابراهيم بن نورالدين المتوفي 799هـ)،الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب،تحقيق مأمون بن محي الدين الجنّان ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان،الطبعة الاولى 1417هـ/1996، ص 423؛ الجيلالي عبدالرحمان ، المرجع السابق،ج2،ص427؛نويهض عادل،المرجع السابق،ص52؛كحالة عمر رضا،المرجع السابق،ج3،ص840؛هلال عمار،المرجع السابق،ص ص223-224.**
3) **نويهض عادل،المرجع السابق، ص328 .**
4) **عيون الأنباء في طبقات الأطباء،تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت،ص497.**
5) **نويهض عادل،المرجع السابق،ص51.**
6) **التكملة،ج3،ص245.**

العلماء المتنقلون الى المشرق

مثّل المشرق في الفترة محل الدراسة، مقصدا لعدد من العلماء[1]،بهدف تأدية مناسك الحج،او طلب العلم والاستزادة منه،حيث صال علماء المغرب الاوسط وجالوا في حواضره العلمية مثل المدينة المنورة،ودمشق،وبغداد،وبيت المقدس،والتحقوا بمؤسساته العلمية للتعمق في مختلف العلوم،لاسيما علم التفسير والحديث،والعلوم اللغوية،والنحوية ولم يقتصر حضورهم على التلقي والاخذ فقط ،بل كانوا يتراسون المجالس والحلقات العلمية،لتبليغ ماعندهم من علوم ومعارف،وتركوا بصماتهم الفكرية واضحة استحسنها اهل المشرق[2].

أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبد الله الاشيري(ت561هـ/1165م):

فقيه،ومحدث،واديب،من مدينة اشير،رحل الى المغرب والاندلس حيث سمع من ابي جعفر بن غزلون وابي بكر بن العربي وغيرهما،ثم رحل الى المشرق للحج ، وزار مصر والشام وحلب، حظي باحترام عامة الناس، وتفاخر الامراء والوزراء بمجالسته والاسترشاد بارائه[3]، قال عنه ياقوت الحموي« إمام أهل الحديث والفقه والأدب بحَلَبَ خاصة وبالشام عامةً، استدعاه الوزير عون الدين أبو المظفر يحيى بن محمد بن هُبيرة، وزير المقتفي والمستنجد، وطلبه من الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي فسيره إليه وقرأ كتاب ابن هبيرة الذي صنفه وسماه الإيضاح في شرح معاني الصحاح

---

1) احصى الدكتورعمارهلال خمسةعشرعالما توجهواالى المشرق،نحو كل من مصروالشام والعراق (العلماء الجزائريون في البلدان العربيةالاسلاميةفيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين(3/14هـ)، ص227).

2) الخالدي عبدالحميد،المرجع السابق،ص287.

3) الذهبي(شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ،ت 748هـ-1347م)،العبر في خبر من غبر،دار التب العلمية بيروت لبنان،الطبعة الاولى 1405هـ /1985م، الجزء الثالث،ص ص 35-36؛ الصّفدي (صلاح الدين خليل بن ايبك ت764هـ)،الوافي بالوفيات،تحقيق احمد الارنأووط/تركي مصطفى،دار احياء التراث العربي بيروت لبنان، 1420هـ/2000،الجزءالسابع عشر،ص289؛؛ ابن العماد (الحنبلي عبد الحي أبو الفلاح المتوفى: 1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب،تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعةالأولى، 1406 هـ - 1986،ج6،ص 330؛ الجيلالي عبد الرحمان،المرجع السابق،ج2،ص399؛ نويهض عادل، المرجع السابق،ص المرجع السابق،ص17؛ هلال عمار،المرجع السابق،ص ص 232-233؛الخالدي عبدالحميد،المرجع السابق،ص ص349-350.

بحضوره وجَرَتْ له مع الوزير منافرة في شيءٍ اختلفا فيه أغضبَ كل واحد منهما صاحبه ورَدِفَ ذلك اعتذار من الوزير، وبَره براً وافراً ثم سار من بغداد إلى مكة، ثم عاد إلى الشام »[1].

<u>أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي البسكري(403-465هـ/1012-1073م)</u>

يكنى أبا الحجاج ،ينسب إلى بسكرة ، نبغ في علم القراءات وفاق فيه معاصيريه،وكان عالما باللغةالعربية، رحل الى المشرق واخذ عن علمائه[2]،حيث «قدم بغداد فقرأ بها على القاضي أبي العلاء محمد بن علي بن يعقوب الواسطي وغيره، وورد نيسابور فحضر دروس أبي القاسم القشيري في النحو، وسمع باصبهان من الحافظ أبي نعيم_أحمد بن عبد الله الاصبهاني، وبنيسابور من أبي بكر أحمد بن منصور بن خلف، وقرره نظام الملك في مدرسته بنيسابور مقرئا سنة ثمان وخمسين وأربعمائة فاستمر بها إلى ان توفي،ومن تصانيفه الكامل في القراءات وغيره» [3]،قال عنه ابن بشكوال«له كتاب حفل في القراءات سماه بكتاب الكامل وذكر فيه أنه لقي من الشيوخ ثلاث مائة وخمسة وستين شيخاً منأخر ديار الغرب إلى باب فرغانة»[4]،وعن كتابه الكامل اورد حاجي خليفة بانه«جمع فيه خمسين قراءة عن الأئمة من ألف وأربعمائة وتسعة وخمسين رواية وطريقا »[5].

<u>محمد بن محرز ركن الدّين الوهراني (ت575هـ/1179م):</u>

المقرئ الأديب، الكاتب، صاحب المزاح والدعابة ،نشأ بوهران،رحل الى المشرق ، مارا بصقلية،دخل دمشق في عهد نورالدين محمود بن زكي، زار بغداد، اشتهربالمقامات

---

1) معجم البلدان،ج1،ص203.
2) ابن بشكوال،المصدر السابق،ج3،ص975؛الحموي ياقوت،معجم البلدان،ج1،ص422؛ الذهبي748هـ-1347م،الذهبي،المصدر السابق ، الجزء الثاني ،ص320؛ ابن العماد ،المصدر السابق،ج5،ص 282؛ البغدادي، هدية العارفين،ج2،ص551؛ الجيلالي عبد الرحمان،المرجع السابق،ج2، ص 39؛ نويهض عادل،المرجع السابق، ص ص43-44؛ كحالة عمر رضا،المرجع السابق،ج4،ص172؛.
3) الحموي ياقوت،معجم الادباء ارشاد الاريب في معرفة الاديب،تحقيق احسان عباس،دار الغرب الاسلامي،الطبعة الاولى،1973،ج6،ص2849.
4) الصلة، ج3،ص975.
5) حاجي خليفة(مصطفى بن عبدالله)،كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون،تصحيح محمد شرف الدين يالتقايا ورفعت بيلك الكليسي،دار احياء التراث العربي،بيروت لبنان،بدون تاريخ،ج2،ص1381 .

والرسائل الهزلية التي كتب منها الكثير،ابتدع فن المنامات الادبية،منها منامه الكبيرالذي سلك فيه مسلك ابي العلاء المعري في رسالة الغفران ،وجمع فيه انواعا من المزاح والادب، [1]،حيث «تخيل انه راى في المنام كان القيامة قامت ومناديا ينادي هلموا الى العرض على الله،فخرج من قبره حتى بلغ ارض المحشر،فلقي هناك كثيرين ممن عاصره وعرفه اومات قبل،فسخر منهم جميعا،وذكر ما حوسبواعليه»[2]،قال عنه ابن خلكان «أحد الفضلاء الظرفاء، قدم من بلاده إلى الديار المصرية في أيام السلطان صلاح الدين،...وعمل المنامات والرسائل المشهورة به والمنسوبة إليه، وهي كثيرة الوجود بأيدي الناس، وفيها دلالة على خفة روحه، ورقة حاشيته، وكمال ظرفه، ...تنقل في البلاد وأقام بدمشق زمانا، وتولى الخطابة بداريا،وهي قرية على باب دمشق»[3]، اما الصفدي فذكر انه«ما كاد يسلم من شر لسانه أحد ممن عاصره،ومن طالع ترسله وقف على العجائب والغرائب»[4]

<u>علي بن محمد التميمي ابو الحسن القسنطيني(ت519هـ/1125م):</u>

متكلم ،اشعري،محدث،من الفقهاء،من اهل قسنطينة،رحل الى المشرق،زار دمشق وسمع بها صحيح البخاري من الفقيه نصر بن إبراهيم المقدسي،شيخ الشافعية في عصره بالشام، ثم رحل إلى العراق وقرأ على يد أبي عبد الله محمد بن عتيق القيرواني، ولقي الأئمة، ثم عاد إلى دمشق، وأكرمه رئيسها أبو داود المضرج بن الصوفي ، و يُذكر عنه أنه كان يعمل كيمياءَ الفضة ،من مؤلفاته (كتاب تنزيه الإِله وكشف فضائح المشبهة الحشوية)[5]

---

1) الصّفدي،المصدر السابق،ج4،ص 273فما بعدها.
2) ابن خلكان،المصدر السابق،ج4،ص ص 385-386؛الذهبي ،المصدر السابق ،الجزء الثالث،ص ص 69-70؛ ابن العماد ،المصدر السابق،ج6،ص ص417-418.
3) كحالة عمر رضا،معجم المؤلفين،ج3،ص616.
4) الوافي بالوافيات،ج4،ص275.
5) الحموي ياقوت،معجم البلدان،ج4،ص349؛البغدادي اسماعيل،هدية العارفين،ج1،ص695؛كحالة عمر رضا،ج2، ص498؛نويهض عادل،المرجع السابق،ص263؛عمار هلال،المرجع السابق،ص231.

علي بن اسماعيل القلعي،المعروف بالطميش(بعد526هـ/1131م):

شاعر واديب،من مدينة قلعة بني حماد،دخل القاهرة في عهد الخليفة الفاطمي الحافظ (524-544هـ)،ومدحه بقصيدة،بمناسبة تمكنه من استعادة زمام الامور في دولته بقتل وزيره ،الافضل الجمالي، اورد صاحب«الخريدة»ابياتا منها[1]

ولا بدّ من عزْمٍ يخيِّلُ أنّني ... قدحْت على الظلماء من ندْزِه فجرا

يجوبُ ظلاماً كالظّليم إذا سرى ... إذا جنّ جوْن كان بيضته البدرا

عتيق بن محمد ابوبكر الردائي (حيا بعد500هـ/1104م)

يعد احد شيوخ الاقراء بقلعة بني حماد رحل الى دمشق،قرأ على الاهوازي(362-446 هـ)،وقرا بمصر على علي بن نفيس(ت453هـ)،عمّر كثيرا[2].

عطية بن علي بن عطية بن علي بن الحسن الطبني ت(532هـ/1137م)

شاعر من مدينة طبنة انتقل الى بغداد [3]،قال عنه الاصفهاني «هو ظريف كيّس، له نظم سلس، حسن الشعر رقيقه، غامض المعنى دقيقه...انتقل من مكة الى بغداد وسكنها الى أن توفي بها سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة»[4].

ابْن البذوخ أَبُو جَعْفَر عمر بن عَلَيّ القلعي(ت575هـ/1179م)

ولد بالقلعة،وتعلم بها، العلوم الدينية والطب ،ثم انتقل الى بجاية ،من اساتذته عبدالله الغديري وابو فضل النحوي،عاصر الاميرين الحماديين العزيز بن المنصور ويحي بن

---

1) الاصفهاني،المصدر السابق،ج1،341ص؛نويهض عادل،المرجع السابق،ص204؛عمار هلال،المرجع السابق، ص 231.

2) الأوسي المراكشي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري المتوفى: 703هـ)، كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الخامس ؛ تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة،بيروت الطبعة،1965 ، ص 151؛ الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان المتوفى: 748هـ/1348م)،معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار،تحقيق طيار التي قولاج،استانبول1416هـ/1995م،ص867؛ابن الجزري (شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف المتوفى833هـ)غاية النهاية في طبقات القراء،دارالكتب العلمية،بيروت، 2006 ، ج1، ص445؛نويهض عادل،المرجع السابق،ص147؛عمار هلال،المرجع السابق،ص 227.

3) ابن ماكولا (سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر المتوفى: 475هـ/1085م)الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب،تصحيح وتعليقعبدالرحمان بن يحي المعلمي اليماني،دار الكتاب الاسلامي،القاهرة،1993،ج5،هامش ص264؛ نويهض عادل،المرجع السابق،ص ص 202-203؛عمار هلال،المرجع السابق،ص232.

4) الاصفهاني،المصدر السابق،ج1،ص319.

العزيز،رحل الى دمشق،واقام بها فترة طويلة[1]، ذاع صيته كطبيب ،اذ كان يَعالج المرضى في دكان كان يبيع فيه العطر ، كَانَ خَبِيرا بِمَعْرِفَة الادوية المفردة والمركبة ولَه اطِّلاع على انواع الامراض وكيفية علاجها ،اشتهر بكفاءته في تحضير الادوية المركبة، في شكل اقراص ومعاجين يقتنيها الناس منه وينتفعون بها ،وكَانَ مهتما بالبحث في العلوم الطبية حيث كان يطلع على مَا ذكره المتقدمون في كتبهم عن انواع الامراض وطرق علاجها،َالف كتاب (حواش على كتاب القانون لابْنِ سينا)[2]،وكتاب (لطائف الانوار)في الطب[3] ،وكَانَ لَهُ ايضا اهتمام بِعلم الحَدِيث والشعر،عمّر طَويلا «حَتَّى انه كَانَ لم يَأْتِ الى دكانه إِلا مَحْمُولا فِي محفة وَعمي فِي آخر عمره بِمَاء نزل فِي عينه لانه كَانَ كثيرا يغتذي بِاللَّبنِ ويقصد بذلك ترطيب بدنه وَتُوفِّي بِدِمَشْق فِي سنة خمس أَو سِتّ وَسبعين وَخَمْسمِائَة»[4]

وَمن شعر ابْن البذوخ فِي ذكر الْمَوْت والمعاد

يَا رب سهل لي الْخيرَات افعلها ***مَعَ الانام بموجودي وامكاني

فالقبر بَاب الى دَار الْبَقَاء وَمن *** للخير يغْرس أثمار المنى جاني

وَخير انس الْفَتى تقوى بِصَاحِبِهِ *** وَالْخَيْر يَفْعَله مَعَ كل انسان

يَا ذَا الْجَلالَة والاكرام يَا املي *** اختم بِخَير وتوحيد وايمان[5]

<u>علي بن معصوم بن أبي ذر المغربي الشافعي(489-551هــ/1096-1156م).</u>

عالم بالحساب من كبار فقهاء الشافعية ولد بقلعة بني حمّاد بها نشا وتعلم، انتقل الى المشرق،استوطن العراق، واخذ عن كبار الفقهاء ثم انتقل إلى خراسان،[6].

---

1) عمارهلال،المرجع السابق،ص 234؛الخالدي عبدالحميد، المرجع السابق،ص376.
2) ابن أبي أصيبعة(أحمد بن القاسم بن خليفة أبو العباس الخزرجي المتوفى: 668هــ)،عيون الأنباء في طبقات الأطباء،تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت،ص628؛ الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك المتوفى: 764هــ)،نكث الهميان في نكت العميان،المطبعة الجمالية ،مصر،1329هــ/1911م،ص220؛ ؛البغدادي اسماعيل،هدية العارفين،ج1،ص784؛نويهض عادل،المرجع السابق،ص362؛عمارهلال،المرجع السابق،ص 234. الخالدي عبدالحميد، المرجع السابق،ص376.
3) حاجي خليفة،المصدر السابق،ج2،ص1552.
4) ابن أبي أصيبعة،المصدر السابق،ص628؛الصفدي،المصدر السابق، ص220.
5) ابن أبي أصيبعة،نفس المصدر ،ص628.
6) نويهض عادل،المرجع السابق،ص267.

العلماء المتنقلون الى المغرب الاقصى

رحل عدد من علماء المغرب الاوسط ،الى المغرب الاقصى،ساهموا في اثراء الحياة الفكرية به،منهم من حاول اختراق الطوق الفكري الذي فرضه المرابطون بتفضيلهم اقوال وتفريعات المذهب المالكي واهمالهم النظر في الاصول النصية لاستنباط الاحكام المناسبة للنوازل المستجدة مثل العالم ابو الفضل النحوي[1]،ومنهم من ساهم في تكوين طلبة تحولوا الى علماء بارزين في منزلة القاضي عياض اليحصبي السبتي[2]، مثل العام الحسن بن علي بن طريف التاهرتي ومنهم من تولى مناصب حساسة كالقضاء.

أبو الفضل يوسف بن محمد المعروف بابن النحوي(433–513هـ/1041–1119م):

من مواليد مدينة تورز بالجنوب التونسي، استوطن مدينة القلعة فنسب إليها، تعلم في مسقط رأسه على يد أبي زكرياء الشقراطيسي[3]،ثم رحل إلى القيروان فتتلمذ على يد أبي الحسن علي بن محمد الربعي المعروف باللخمي[4](ت 478هـ)،ثم انتقل إلى قلعة بني حماد بلدته الثانية التي آثرها على بقية مدن المغرب واستقر بها، وفيها تتلمذ على يد أستاذين بارزين، هما أبو القاسم عبد الجليل الربعي المعروف بالديباجي، وأبو عبد الله بن الفرج المازري المعروف بالذكي،[5]حتى صار من العلماء البارزين المشهود لهم بالباع الطويل في علوم عصره، قال عنه ابن الأبار: «إنه كان عارفاً بأصول الدين والفقه يميل إلى النظر والاجتهاد ولا يرى التقليد»[6]،ساهم في اثراء الحياة الثقافية في القلعة بتعليمه لعدد من الطلبة ذاع صيتهم فيما بعد مثل ابن البذوخ الطبيب القلعي،

1) النجار عبد الحميد،تجربة الاصلاح في حركةالمهدي بن تومت ،المعهد العالمي للفكر الاسلامي،هيرندن–فرجينيا 1415هـ/1995م،ص ص50–51.

2) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض بن محمّد إبن عبد الله بن موسى اليحصبي السبتي من مؤلفاته(ترتيب المدارك وتنويرالمسالك لمعرفةأعلام مذهب مالك)،(إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم)،(الشفا بتعريف حقوق المصطفى)،(مشارق الأنوارعلىصحاح الآثار)،(الإعلام بحدود قواعد الإسلام)،

3) الشقراطيسي نسبة إلى قلعة شقراطس القريبة من قفصة (ت 466 هـ).

4) القاضي عياض،المصدر السابق،ص ص 340–341؛ ابن مريم التلمساني (ابو عبدالله محمد بن محمد بن احمد)،البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان،اعتنى بمراجعة اصله، محمد بن ابي شنب،المكتبة الثعالبية،الجزائر،1326هـ/1908م ،ص300.

5) التكملة لكتاب الصلة،ج4،ص226.

وابن الرمامة، وغيرهما، وفي سن الستين، –في حدود سنة 493 هـ– توجه إلى

سجلماسة بالمغرب الأقصى،وبها درّس أصول الدين وأصول الفقه باحد مساجدها، فمرّ عليه أحد رؤساء المدينة وهو عبد الله بن بسام، فسأل باستخفاف عما يقرئه أبو الفضل، فقيل له: أصول الدين وأصول الفقه. فقال: أرى هذا يريد أن يدخل علينا علوماً لا نعرفها، وأمر بإخراجه من المسجد. وقام أبو الفضل من مكانه ثم قال له:أمتَّ العلم أماتكَ الله ههنا[1] ويندرج موقف اهل سجلماسة بالسياسة العامة التي فرضها الفقهاء الرسميون في دولة المرابطين،والذين مارسوا رقابة تحدد ما هو جائز فينشر، وما هو ممنوع فيهجن ويبعد [2]،فاضطر ابن النحوي إلى ترك سجلماسة ، فلجأ بعد ذلك إلى مدينة فاس التي حل بها سنة 494 هــ[3]. وقد استقر بها مدة ارتبط خلالها بالوسط الصوفي، وزاول التدريس فلزمه الطلبة وأخذوا عنه وأعجبوا به، وعلى الرغم من ذلك فان اقامة ابن النحوي بفاس لم تخل من المتاعب على غرار ما تعرض لــه في سجلماسة، فقد اوقعه دفاعه عن الإمام الغزالي ، وإظهاره لميوله الصوفية، وتدريسه للعلوم التي حظرها الفقهاء المرابطون وهي الأصول وعلم الكلام والدعوة إلى الاجتهاد، الى الاصطدام مع فقهاءالمدينة،الذين ضاقوابه ذرعاً، فاستبدلوا أسلوب الحوار الفكري بالتهديد والوعيد حيث أغار عليه أحدهم وهو ابن دبوس قاضي المدينة «فجرى له مع أهل فاس مثلما جرى له مع أهل سجلماسة ولقي من ابن دبوس مثلما لقي من ابن بسام»[4]، وحين أحس ابن النحوي بان حياته أصبحت محفوفة بالمخاطر، قرر الرجوع الى القلعة الحمادية،ولم تمر اقامة ابن النحوي في المغرب الاقصى دون أن تترك بصمات واضحة،فقد عقد العديد من المجالس العلمية وأخذ عنه الكثير من الطلبة والشيوخ، وقدر له أن يخوض معركة الدفاع عن الإمام الغزالي والانتصار لقضيته في

---

1) ابن الزيات(ابو يعقوب يوسف بن يحي التادلي620هــ/1220م)،التشوف الى رجال التصوف واخبار ابي العباس السبتي،تحقيق احمد التوفيق،منشورات كلية الاداب الرباط،الطبعة الثانية،1997،ص97.

2) النجار عبد الحميد،المرجع السابق،ص ص50-51.

3) التنبكتي (احمدبابا936-/1556-16271030)،نيل الابتهاج بتطريز الديباج،منمشورات كلية الدعوة الاسلامية طرابلس،ليبيا،1398/1989،ص624.

4) ابن الزيات،المصدر السابق،ص99.

مدينة فاس،[1]ولم يعدم وجود المعجبين به هناك في الأوساط الصوفية والثقافية، رغم الحملة الشنيعة التي شنها ضده الفقهاء الرسميون وحين عاد إلى القلعة باشر مهمة التدريس بكل حرية ، مما يدل على الحرية الثقافية التي كانت تنعم بها مدن المغرب الأوسط في ظل بني حماد،توفي بالقلعة513هـ/1119م[2]،واشتهر ابن النحوي كثيرا بقصيدته المنفرجة[3].

<u>الحسن بن علي بن طريف التاهرتي (ت501هـ/1107م)</u>

عالم بالنحو،اديب تعلم بتاهرت،وبالاندلس استقر بسبتة ودرّس النحو بها ذكره القَاضِي عِيَاض فِي الغنية فِي أَسمَاء شُيُوخه[4]، فَقَالَ: « شيخ بلدنا في النحو مشهورٌ بالصلاح وله سماعٌ من الفقيه حجاج بن المأموني والفقيه ابن سعدون والفقيه مرواه بن عبد الملك والقاضي ابن سهل وأبي محمد ابن أبي قحافة وأخذ عن أبي تمام القطيني وغيره بالأندلس، وسمع أخيراً من شيخنا القاضي أبي علي والقاضي أبي عبد الله ابن عيسى وغيرهما، ودرس عمره النحو ببلدنا وأخذ عنه جماعة من شيوخنا وجماعة من أصحابنا. ..درست عليه كثيراً من كتب الأدب والنحو وقرأت عليه كتاب علوم الحديث للحاكم أبي عبد الله، حدثني به عن الفقيه ابن سعدون عن أبي بكر المطوعي عن الحاكم وقد ذكرته قبل،وحدثني أيضاً بكتاب مشكل الحديث للإمام أبي بكر بن فورك ...وقرأت عليه كثيراً من كتب النحو والأدب: الجمل لأبي القاسم إسحاق الزجاجي، والواضح للزبيدي، والكافي لأبي جعفر النحاس، وكثيراً من كتاب المقتضب للمبرد، وكتاب أدب الكتاب لابن قتيبة، والإيضاح للفارسي، وكتاب فصيح الكلام لثعلب وقرأت عليه أكثر

---

1) ابن القاضي (احمد المكناسي960-1025هـ)جذوة الاقتباس في ذكر من حا من الاعلام مدينةفاس،دار المنصور للطباعة والوراقة،الرباط،1973م،ص552.

2) البغدادي اسماعيل،هدية العارفين،ج551،2.

3) الغبريني،المصدر السابق،ص ص326-327؛العبدري،المصدر السابق، ص ص 139-140؛حاجي خليفة،المصدر السابق،ج2،ص1346.

4) ابن الابار،معجم اصحاب القاضي الصدفي594هـ/1120م،تحقيق ابراهيم الابياري،دار الكتاب المصري القاهرة –دار الكتاب اللبناني بيروت ،19891410هـ/1989م،ص81؛السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة،تحقيق ،محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار الفكر – لبنان ،ط1399،2/1979،ج1،ص513؛ نويهض، المرجع السابق،ص59.

كتاب الأمالي لأبي علي، وسمعت عليه كثيراً من الكامل للمبرد وغير ذلك»[1]

مُحَمَّد بن عَليّ بن جَعْفَر الْقَيْسِي المعروف بِابْن الرمامة(478-567هـ/1085-1171م)

ولد بقلعة بني حماد،تعلم بها على يد مجموعة من شيوخها ابرزهم ابوالفضل ابن النحوي، الذي اثر فيه وجعله محبا لابي حامد الغزالي،واخذ معارف متعددة على يد أبي إسْحَاق إبْرَاهِيم بن حَمَّاد وخاله أبي الْحسن عَليّ بن طَاهِر بن محشوة بالجزائر وَأَبا حَفْص التوزري وَأبي مُحَمَّد الْمقري ببجاية وَغَيرهم[2]، وَدخل الأندلس تَاجِرًا وطالبا للْعلم قال عنه ابن الابار«لَقي بقرطبة أَبَا مُحَمَّد بْن عتاب وَأَبا الْوَلِيد بْن رشد وَأَبا بَحر الأسَدِيُ وَأَبا الْوَلِيد بْن طريف فَحمل عَنْهُم وَسمع مِنْهُم وَنزل بِمَدِينَة فاس وَولي قضاءها وَحدّث بهَا ودرّس وَأخذ النَّاس عَنهُ وكَانَ فَقِيها نظارا مائلا لمَذْهَب الشَّافِعِي عاكفا على كتاب أبي حَامِد الْغَزالِيّ الْمُسَمّى بالبسيط محصلا لنكته ولَه تواليف مِنْهَا تسهيل الْمطلب فِي تَحْصِيل الْمَذْهَب وَكتاب التفصي عَن فَوَائِد التَّقَصِّي وَكتاب التَّبْيِين فِي شرح التَّلْقِين وَغير ذَلِك»[3] وَتُوفِّي بفاس سنة 567 هـ/1177م.

أبو عبد الله محمد بن داود بن عطية بن سعيد العكي القلعي ت(525هـ/1135م):

كان ملمّا بالفقه وأصوله، قال عنه القاضي عياض «تفقه بأبي عبد الله الذكي وغيره من شيوخ بلده، ودرس الأصول على عبد الجليل الديباجي وغيره، وسمع بالأندلس من الجياني وأكثر عنه. ولي قضاء تلمسان ثم نقل لقضاء إشبيلية ثم نقل لقضاء فاس وبها توفي يوم الاثنين عاشر ذي القعدة سنة خمس وعشرين وخمسمائة»[4].

ومن العلماء الجزائريين بافريقية:

الْحسن بن مُحَمَّد التَّمِيمِي التاهرتي المعروف بِابْن الرّبِيب(340-420هـ/951-1021م)

شاعر واديب ونحوي ونسابة،«أصله من مدينة تاهرت، وطلب الأدب بالقيروان»[5]، قال عنه ياقوت الحموي في معجم الادباء «كَانَ خَبِيرا باللغة، شَاعِرًا مقدما، قوي

---

1) القاضي عياض الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض،تحقيق ماهر زهير جرار، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 1402 هـ - 1982،ص ص 141-142.

2) الجيلالي عبدالرحمان،المرجع السابق،ص400؛نويهض عادل،المرجع السابق،ص ص152-153.

3) ابن الابار،التكملة لكتاب الصلة،ج2،ص158.

4) القاضي عياض،الغنية،ص64؛الخالدي المرجع السابق،ص354.

5) ابن القفطي(جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف المتوفى: 646هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة،تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم،دارالفكر العربي،القاهرة-دارالكتب الثقافيةبيروت،1406هـ/1986م،ج1،ص353

الْكَلام، يتَكَلَّف بعض التَّكَلُّف، وكَانَ عبد الْكَرِيم بن إِبْرَاهِيم النَّهْشَلِي يروي لَهُ مَا لا يرْوى لأحد من الشُّعَرَاء؛ سُئِلَ عَن أشعر أهل بَلَده؟ فَقَالَ: أَنا، ثمَّ ابْن الرَّبِيب»[1]توفي بالقيروان سنة 420هـ/1030م[2].

علي بن ابي الرجال الشيباني المكنى ابا الحسن(ت425هـ/1026م)

هومن اشراف مدينة تهارت، عاش بالقيروان ،كان كافلا للامير الزيري المعز بن باديس ثم اصبح وزيره،وكانت منزلته لديه سامية،ونفوذه في البلاط الاميري كبيرا ، فتقرب منه اليه العلماء والادباء،اهدى اليه ابن رشيق كتابه (العمدة)،واهدى اليه ابن شرف كتابه(رسائل الانتقاد)،كان عالما بالرياضيات والفلك،من كتبه (البارع في احكام النجوم)نقله الى الاسبانية يهوذا بن موسى سنة1226م[3]، ذكر فيه« البروج وطبائعها والكواكب وأحوالها ثم المسائل ثم المواليد ثم تحويل سني المواليد مع الاختبارات ثم تحويل سني العالم»[4] ، كما كان ابن ابي الرجال شاعرا،حيث اورد ابن رشيق في عمدته بعض اشعاره،من ذلك قوله بتاهرت سنة 405هـ يتشوق إلى أهله:

ولي كبد مكلومة من فراقكم ... أطامنها صبراً على ما أجنت
تمنتكم شوقاً إليكم وصبوةً ... عسى الله أن يدني لها ما تمنت
وعين جفاها النوم واعتارها البكى ... إذا عن ذكر القيروان استهلت[5]

و قوله في الفخر بقومه بني شيبان:

يا آل شيبان لا غارت نجومكم ... ولا خبت ناركم من بعد توقيد
لأنتم دعائم هذا الملك مذ ركضت ... قبل الخيول لإبرام وتوكيد
المنعمون إذا ما أزمة أزمت ... والواهبون عتيقات المزاويد[6]

---

1) معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب،ج1،ص998.
2) السيوطي،بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج1، ص525.
3) كحالة عمر رضا،معجم المؤلفين،ج2،ص441؛بونار رابح،المغرب العربي تاريخه وثقافته،ص ص 298-299.
4) حاجي خليفة ،كشف الظنون،ج1،ص217،
5) ابن رشيق (أبو على الحسن القيرواني الأزدي المتوفى: 463 هـ) ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل،بيروت،لبنان، الطبعة الخامسة،1401 هـ -1981 م، ج1، ص134.
6) ابن رشيق،المصدر السابق،ج2،ص146

العلماء الوافدون:

ومثلما كانت الدولة الحمادية نقطة انطلاق لمجموعة من العلماء ساهموا في اثراء الحياة الثقافية والعلمية ،في المناطق التي هاجروا اليها ،فانها كانت مقصدا لعدد من العلماء تركوا بصماتهم في الحياة الفكرية والثقافية،جاءوا من صقلية ومن الاندلس والمشرق .

أبو عبد الله محمد بن أبي الفرج المازري

المعروف بالذكي. صقلي الأصل،سكن قلعة بني حماد،من اشهر تلامذته بها أبو الفضل ابن النحوي، والقاضي أبو عبد الله بن داود، رحل الى المشرق، فدخل العراق، ثم انتقل الى أصبهان التي قضى بها اخر ايامه، قال عنه القاضي عياض«كان فقيهاً حافظاً، متقناً لعلوم القرآن، وسائر المعارف، أخذ عن شيوخ بلده، وأخذ بالقيروان عن السيوري، والخرقي وغيرهما. وحكي أن السيوري كان يقول: ابن أبي الفرج، أحفظ من رأيت،وحمل عنه أدب كثير، وعلم جمّ، وألّف في علوم القرآن كتاباً كبيراً سماه الاستئلاء. وله تعليق كبير في المذهب، مستحسن، وخرج على أنه ألف سؤال»[1].

عبد الجبار بن أبي بكر بن حمديس الأزدي الصقلي (447-527هـ/1053- 1133 م)

ولد بمدينة (سرقوسة) بجزيرة صقلية وفيها تعلم. غادرها إلى تونس لما استولى النورمان سنة 471هـ /1088على معظم الجزيرة ، مكث فيها مدة ثم انتقل إلى الأندلس وحل في إشبيلية عاصمة المعتمد بن عباد وأقام فيها فترة[2], وبعد أسر المعتمد على يد المرابطين سنة 484هـ/1094م، انتقل ابن حمديس إلى المغرب وأخذ يتردد على (أغمات) يزور المعتمد السجين فيها، فلما توفي المعتمد سنة 488هـ اتصل ابن حمديس ببني حماد واستقر في بجاية وتحول الى شاعرهم الاول،يصف منجزاتهم العمرانية،ويمدح امرائهم ، خاصة الامير المنصور بن الناصر،الذي ارتبط معه بعلاقة وثيقة تجلت في القصائد التي خصه بها منها هذه الابيات :

تبدو من المنصورفيه شمائل*تلك السجايا من سجايا الناصر**

ان الفروع على الاصول شواهد*تقضي بطيب مناقب وعناصر[3]**

---

1) **ترتيب المدارك،ج2،ص ص340-341.**

2) **بورويبة رشيد،المرجع السابق،ص176.**

3) **ابن حمديس الصقلي،ديوان ابن حمديس،تصحيح جاليستينو سكيابا ريللي،رومية الكبرى1897م،ص180.**

وقال ايضا

اعليت بين المجد والدّبران* قصرا بناه من السعادة بان**

اوجبت للمنصورسابقة العلى*وعدلت عن كسرى انوشران**

لا يرتقي الراقي الى شرفاته*الا بمعراج من اللحظان[1]**

وقال ايضا

يا مالك الأرض الذي أضحى له* ملك السماء على العداة نصيرا**

كم من قصورٍ للملوك تقدّمت * واستوجبت بقصورك التأخيرا**

فعمرتها وملكت كلّ رياسةٍ * منها ودمّرت العدا تدميرا[2]**

أحمد بن خصيب بن أحمد الأنصاري:(ت 450هـ/1166م)

نشأ بقرطبة بها ، ثم رحل الى القيروان، وأخذ عن شيوخها.وكان له قدرة على تفسير الاحلام، ثم عاد الى الاندلس وسكن دانية، وفي اخر ايامه استقر بقلعة حماد وبها توفي، في حدود سنة خمسين وأربع مائة وهو ابن اثنتين وستين سنةً تقريبا[3].

عمر بن عبيد الله بن زاهر الأندلسي ت(440هـ/1126م)

يكنى أبا حفص استوطن بونة اخذ العلم عن الفقيه أبو عمران الفاسي ، وأبو عبد الملك مروان بن علي الأسدي البوني، وأبو القاسم إسماعيل بن يربوع السبتي وغيرهم. ذكره أبو مروان عبد الملك ابن زيادة الله الطبني في شيوخه الذين لقيهم بالمشرق وأثنى عليه[4].

أَحْمَد بْن عَبْد الصَّمد بْن أبي عُبَيْدة الخزرجي (519-582هـ/1129-1192)

يكنى أَبَا جَعْفَر، ولد بقرطبة سنة519هـ ، سكن غرناطة، انتقل الى بجاية ومكث بها مدة من الزمن تعلم على يد مجموعة من شيوخها، اهتم بعلم الْحَدِيثِ وَرِوَايَته ،فقد بَصَره فِي آخر عمره ،من مؤلفاته (آفَاق الشموس وإعلاق النُّفُوس) ،و(مَقَامِع الصلبان ومراتع رياض أَهْلَ الايمَان) تُوُفيّ بِمَدِينَة فاس سنة اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَخَمْسمِائة[5] .

---

1) ابن حمديس،المصدر السابق،ص440.
2) ابن حمديس،نفس المصدر،ص486.
3) ابن بشكوال ،الصلة،ج1،ص62.
4) ابن بشكوال ،الصلة،ج1،ص377.
5) ابن الابار،التكملة،ج1،ص79.

عَبْد اللَّه بْن مُحَمَّد بْن يَحيى بْن فرج الزهيري الْعَبدَرِي ت(540هــ/1150م)

يكنى أَبَا مُحَمَّد، اخذ عن المقرىء أَبِو دَاوُد بجامع دانية القديم سنة 492هــ، وَسمع من أبي عَلِيّ الصَّدَفِي رياضة المعلمين لأبي نعيم سنة 495 هــ،وَلَقي ابْنُ الطراوة فَأخذ عَنْهُ علوم اللغة ،انتقل الى قلعة بني حَمَّاد و بها دّرس علم القراءات ،لفترة ناهزت العشْرين عَاما، ثُمَّ انْتقل إِلَى بجاية وأقرأ بهَا نفس الفترة تقريبا ،َواستفاد من علمه عدد كبير من الطلبة، تُوفِّي بِمَدِينَة بجاية سنة 540[1] .

أبو عبد الله محمد بن داود بن عطية بن سعيد العكي القلعي (ت525هــ:

كان عالما بالفقه واصوله ،شغوفا بطلب العلم [2]قال عنه القاضي عياض «تفقه بأبي عبد الله الذكي وغيره من شيوخ بلده، ودرس الأصول على عبد الجليل الديباجي وغيره، وسمع بالأندلس من الجياني وأكثر عنه،ولي قضاء تلمسان ثم نقل لقضاء إشبيلية ثم نقل لقضاء فاس وبها توفي ... صحبته كثيراً ودرست عليه أصول الفقه، وكان جليلاً فاضلاً فقيهاً ذكياً»[3].

علي بن محمد بن محمد بن شعيب أبو الحسن الأشوني الاندلسي ت537هــ

كان نحوياً لغوياً أديباً حافظاً ملما بالتاريخ، انتقل الى الجزائر بني مزغنة، روى عنه أبو محمد عبد ابن حبيب اللخمي الجزائري واستملى منه " أماليه الأدبية " المنسوبة إليه فأملاها ، وهي أمال مفيدة أودعها جملة وافرة من منشآته نثراً ونظماً، منها قوله في الحض على طلب العلم والاجتهاد فيه:

تعلم خليلي حين الشباب* تفق بالعلوم الرجال الكبارا**

فمن واظب العلم صاح صغيرا * نفى عنه السؤال الصغار**

وفي التنبيه على طلب الأدب واقتناء الكتب:

عليك بصحبة الأدباء يا من * يحاول أن يسود على الصحاب**

فما في الناس ارفع من أديب * ولا في الأرض ارفع من كتاب[4]**

---

1) ابن الابار،المصدر السابق،ج2،ص258.

2) الخالديعبدالحميد، المرجع السابق،ص354.

3) الغنية،ص64.

4) الأنصاري الأوسي المراكشي،الذيل والتكملة،السفر الخامس،ص ص388-389.

أبو بكر محمد بن الحسين، الشهير بالميورقي (حيا537هــ/1147م):

أصله من ميورقة، سكن غرناطة، وروى عن أبي علي الصّدفي، ولما رحل حاجّاً سنة 517هــ/1127م،سمع بمكّة من أبي الفتح عبد الله بن محمد البيضاوي، وأبي نصر عبد الملك بن أبي مسلم النهاوندي، كما اخذ بالإسكندريّة من أبي عبد الله الرازي وأبي الحسن ابن مشرّف وأبي بكر الطّرطوشي وغيرهم، عاد إلى الأندلس فحدّث بها، وكان فقيهاً ظاهريّاً،عارفاً بالحديث وأسماء الرجال،متقناً لما رواه، يغلب عليه الزهد والصلاح، رحل الى بجاية هارباً من علي بن يوسف بن تاشفين،وهناك تفرغ للتدريس[1].

أَحْمَد بْن عَبْد الْجَلِيل بْن عَبْد اللَّه ت(555هــ/1165م)

يكنى أَبَا الْعَبَّاس نَشأ بالمرية ،تتلمذ على يد مجموعة من الشيوخ ،ابرزهم ،أبو عَلِيّ الصَّدَفِي ، كَانَ عَالما بِالْعَرَبِيَّةِ واللغات والآداب، وَيقرض الشّعْر، انتقل الى بجاية واقام بها مدة وكانت له علاقة وطيدة مع مُحَمد بْن عَلِيّ بْن حمدون وزير الامير الحمادي يحي بن العزيز،حيث الف له كتابا سَمَّاهُ (نظم القرطين وَضم إِشْعَار الساقطين) جمع فِيهِ أشعار الْكَامِل للمبرد والنوادر لأبي عَلِيّ البغداديّ،وكانت له عدة مؤلفات منها كتاب (التوطئة فِي الْعَرَبيَّة) وَله أَيْضا فِي (شرح أَبْيَات الْجمل للزجاجي) ،وكتاب مُفِيد كَبِير الحجم كثير الإمتاع سَمَّاهُ (شِفَاء الصُّدُور) وَآخر اخْتَصَرَهُ مِنْهُ سَمَّاهُ (المختزل) ، و كتاب (الْفَوَائِد والفرائد).[2]

مُحَمَّد بْن عِيسَى بْن مُحَمَّد اللَّخْمِيّ يكنى أَبَا بَكْر وَيعرف بابْن اللبانةت (507هــ/1117م)

من أَهْل دانية كان احد شعراء المعتمد بن عباد[3] قال عنه ابن الابار «كَانَ من جلة الأدباء وفحول الشُّعَرَاء مَعِين الطَّبْع وَاسع الذرع غزير الادب قوي الْعَارِضَة متصرفًا فِي البلاغة»[3]،من مؤلفاته كتاب (مناقل الْفِتْنَة) وَكتاب (نظم السلوك فِي وعظ الْمُلُوك) وَكتاب (سقيط الدُّرَر ولقيط الزهر) ولما خلع المعتمد على الله على يد المرابطين اضطر

---

1) ابن الابار،التكملة،ج1،ص359؛المقري،نفح الطيب،ج2،ص155.
2) ابن الابار،المصدر السابق،ج1،ص60؛الخالدي عبدالحميد،المرجع السابق،ص303.
3) عبدالواحد المراكشي،المعجب في تلخيص اخبار المغرب،ص212.
4) التكملة،ج1،ص ص233-234.

حيث التقى بعز الدولة بن المعتصم بن صمادح امير دانية، و قال عن هذا اللقاء « ما علمت حقيقة جور الدهر حتى اجتمعت ببجاية مع عز الدولة بن المعتصم بن صمادح فإني رأيت منه خير من يجتمع به، كأنه لم يخلقه الله تعالى إلا للملك والرياسة وإحياء الفضائل»(1) وَتُوفِّي بميورقة سنة سبع وَخَمْسمِائة هجرية.

عبد الحق بن عبد الرحمن الازدي الإشبيلي(510-582هـ/ 1186 م)

يعرف بابن الخراط ولد ونشا باشبيلية ،درس على يد كبار علمائها، التحق ببجاية في السنوات الاخيرة للحماديين(2)،تعرف على بابرز علمائها مثل ابي مدين شعيب ، وابي علي المسيلي(3)، تلقى عدة اجازات من حافظ دمشق الايوبية ابن عساكر (ت571هـ/1185م) ،اصبح في مقدمة المحدثين في بلاد المغرب ،الف في عدة علوم ،منها «الأحكام الكبرى» و « الاحكام الصغرى» و«الجمع بين الصحيحين» وكتاب « تلقين الوليد في الحديث» وكتاب «الجمع بين الكتب الستة» و«المعتل من الحديث» في علم الحديث وكتاب «الواعي في اللغة في خمسة وعشرون سفر» في اللغة وكتاب «الرقائق» و كتاب «الصلاة والتهجد»،وكتاب «العاقبة في التذكير»في الزهد والتذكير(4).

ابومدين شعيب ت594هـ

اندلسي من نواحي اشبيلية،زار عدة مدن منها طنجة وسبتة،ومراكش،وفاس ورحل الى المشرق،فاخذ تعاليم التصوف عن الشيخ عبدالقادر الجيلاني(471-561هـ)،استقر به المقام ببجاية التي فضلها عن بقية الحواضر،تاثر بالغزالي،واعجب بكتابه الاحياء، اصبح قطبا في التصوف السني،في كل المغرب والاندلس،توفي بتلمسان و بها دفن(5)

---

1) المقري،المصدر السابق،ج3،ص368.

2) عمارة علاوة،المرجع السابق،ص112؛الخادي عبدالحميد،المرجع السابق،ص329.

3) الغبيرني عنوان الدراية،ص ص42-43.

4) ابن الابار،المصدر السابق،ج3، ص ص 120-121؛ابن عماد الحنبلي،شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ،ج6،ص444؛الذهبي،العبر في اخبر من غبر،ج3،ص81؛ابن فرحون ،المصدر السابق،276.

5) ابن الابار،المصدر السابق،ج4،ص137؛ ابن الزيات،المصدر السابق،ص319فما بعدها ؛ التنبكتي احمدبابا، المصدر السابق،ص193فما بعدها ؛الغبريني،المصدر السابق،ص22فما بعدها؛ابن عماد الحنبلي،المصدر السابق، ج6،ص495؛ابن مريم التلمساني،المصدر السابق،ص108فمابعدها،ابن القاضي،المصدرالسابق، ص530 فمابعدها، مخلوف محمد بن محمد،شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،المطبعة السلفية،القاهرة1349هـ، ج1،ص164؛ سيدي موسى محمد الشريف،مدينة بجاية الناصرية، دار كرم الله للنشر والتوزيع،الجزائر،2001،ص252.

لقد دلّت حركة العلماء المتواصلة، على المكانة الثقافية التي تمتعت بها الدولة الحمّادية: فالعلماء المنتقلون منها نحو الاندلس والمشرق والمغرب الاقصى وافريقية، تركوا بصماتهم الفكرية واضحة،مما يعكس المكانة العلمية العالية التي بلغتها حواضرها المختلفة لاسيما القلعة وبجاية، في حين ساهم العلماء الوافدون اليها في اثراء النشاط العلمي من جهة،وعكس الحرية الفكرية التي كانت تتمتع بها الدّولة الحمّادية لما مثّلته من فضاء لتلاقح الافكار من جهة اخرى.

الخاتمة

تمكنت من رسم الملامح المستقبلية للمنطقة المغرب الاوسط،فقد امتدت جغرافيا الى معظم جهات الجزائر الحالية،وارست اجتماعيا اسس وحدة الشعب الجزائري بعد ان حققت التجانس والتعايش لمختلف اطيافه،فعلى الرغم من اعتماد قيامها على قبيلة صنهاجة الا انها استطاعت احتواء قبيلة زناتة،بعد صراع مرير معها،و تمكنت من تجاوز الاصدام مع الهلاليين ،حيث عرفت كيف تستميل جموعهم ليتحولوا الى عنصر فاعل في المجتمع الحمّادي،كما كانت السباقة في تكريس الوحدة المذهبية لكل بلاد المغرب،بعد ان نبذ مؤسسها حمّاد بن بلكين، المذهب الشيعي، وتبنيه للمذهب المالكي.

وعلى الصعيد الخارجي نجحت في فرض وجودها على جيرانها المتربصين بها،بعدما تخلصت من الوصاية الزيرية شرقا،ووضعت حدا للاطماع التوسعية للمرابطين غربا ، و انفتحت على اوروبا المسيحية شمالا،باقامة علاقات دبلوماسية على اعلى مستوىمع المركز البابوي في روما.

وفي المجال الاقتصادي عرفت الدّولة الحمّادية،توسعا زراعيا وانتاعاشا صناعيا ورخاءا مالياوتنوعا تجاريا، حيث كانت تتبادل السلع مع مناطق مختلفة، وكان لها شركاء تجاريين مع السودان ودول حوض المتوسط ومصر والمشرق العربي وحتى مع الهند والصين.

امّا حضاريا فقد شهدت الدّولة الحمّادية تميزا عمرانيا،اثّر على صقلية والاندلس،وكان لها روابط ثقافية مع عدة مناطق، ولا ادّل على ذلك من حركة العلماء الوافدين اليها و المنتقلين منها،وتحولت حواضرها الى منارات علمية، يقصدها الطلبة من مختلف الانحاء،فمن بجاية اخذ الاوروبيون مبادء الحساب والرياضيات ومازال اسمها يطلق على مادة الشمع في اوروبا الى يومنا هذا.

واهم ما استوقفني في هذه الدراسة هو تحامل بعض المؤرخين المعاصرين على مواقف الدولة الحمّادية حيال الصراع بين الشرق الاسلامي والغرب المسيحي في الحوض الغربي لبحر الابيض المتوسط، ونعتهم لهذه المواقف بالساذجة رغم وجود نصوص لمؤرخين وجغرافيين معاصرين للدّولة الحمادية،تفند هذه المزاعم،فابا عبيد البكري ذكر ان الموانئ الحمادية مثل بونة(عنابة) وبجاية كانت تنطلق منها الاساطيل لغزو سواحل جنوب اوروبا،وهو ما يفتح النقاش حول هذه القضية بالمزيد من البحث.

الملاحق

الملحق الاول:

الرسالة ارسلها الامير المرابطي يوسف بن تاشفين الى الاميرالحمادي المنصور بن الناصر:

«ورد كتابك الذي أنقذته من وادي منى منصرفك من الوجهة التي استظهرت عليها بأضدادك، وأجحفت فيها بطارفك وتلادك، وأخفقت من مطلبك ومرادك، فوقفنا على معانيه، وعرفنا المصرح به والمشار إليه فيه، ووجدناك تتجني وتثرب على من لم يستوجب التثريب وتجعل شيئك حسناً، ومنكرك معروفاً، وخطأك صواباً بيناً، وتقضي لنفسك بفلج الخصام، وتوليها الحجة البالغة في جميع الأحكام، ولم تنأول أن وراء كل حجةٍ أدليتها ما يدحضها، وإزاء كل دعوى أبرمتها ما ينقضها، وتلقاء كل شكوى صححتها ما يمرضها، ولولا استنكاف الجدال، واجتناب تردد القيل والقال، لنصصنا فصول كتابك أولاً فأولا، وتقريناها تفاصيل وجملاً، وأضفنا إلى كل فصل ما يبطله، ويخجل من ينتحله ، حتى لا يدفع لصحته دافع، ولا ينبو عن قبول أدلته راءٍ ولا سامع، ولا يختلف اعترافاً به دانٍ ولا شاسع.

وفي فصل منها: وننشدك الله الذي ما تقوم السماء والأرض إلا بأمره، ألم نكن عندما نزغ الشيطان بينك وبين أبي عبد الله محمد بن يوسف، رحمه الله، وفاقم الشنآن، قد توفرنا على ما كان بالحال من إقلاق، وتأخرنا عما كانت النصبة تستقدم إليه من بدارٍ أو سباق، ولم نمد الجهة حق إمدادها ، ولا كثرنا فوق ما كان يلزم من جماهير أعدادها، ولا عدلنا عن جهاد المشركين، ولا أقبلنا إلا على ما يحوط حريم المسلمين، رجاء أن يثوب استبصار، أو يقع إقصار، وأنت خلال ذلك تحتفل وتحشد، وتقوم بحميةٍ وتقعد، وتبرق غضباً وترعد، وتستدعي ذؤبان العرب وصعاليكهم من مبتعد ومقترب، فتعطيهم ما في خزائنك جزافاً، وتنفق عليهم ما كنزه أوائلك إسرافاً، وتمنح أهل العشرات مئين وأهل المئين آلافاً، كل ذلك تعتضد بهم، وتعتمد على تعصبهم لك وتألبهم، وتعتقد أنهم جنتك من المحاذير،وحماك دون المقادير،وتذهل عما في الغيب من أحكام العزيز القدير .

ونحن أثناء ما فعلت، وخلال ما عقدت وحللت، نؤم العدو – قصمه الله – فنجبهه ونكافحه، فنقدعه ونناطحه، ونتحفه من أقطاره، ونغزوه بدءاً وتعقيباً في عقر داره، إلى أن استجمعت أخيراً واستجشت، وترجعت إلى عرفانك وأجهشت، ولولا ماؤك الذي ثمدوه، وشارفوا إلى أن يستنفدوه، ما أووا لشكواك، ولزادوك ضغثاً على إبالة بلواك، وإنك لمتداوٍ منهم بسمٍ، ومستريح إلى غم، فبلغت معهم ما بلغت، وأرغت بهم ما أرغت،

واستقبلتنا بما أثبت عن العدو ولقد أخذناه بمخنقه، وأضفنا أنشوطة وهق الخزي على عنقه، وأشفى على انقطاع ذمائه ورمقه، ففرجت عنه كربة لم يظنها تنفرج، ونهجت له منها وجه مخلص لم يحسبه ينتهج، وأخليت وجهه لأذى المسلمين يبدئه ويعيده، وبسطت فيهم يده وكانت في جامعة تقصره عما يريده، ولو أن صاحب رومة المشتمل معه بعباءة الكفر والشرك، المنتحل ما ينتحله من كلمة الزور والإفك، يكون مكانك من جوارنا، ويصاقب كما صاقبت قاصية دارنا، ما أتى من نصره فوق ما أتيت، ولا تولى من انتشاله، والسعي ف استقلاله، إلا بعض ما توليت، ولا أنحى على المسلمين من مضاره إلا بدون ما أنحيت، ولا بغاهم خبالاً بأكثر مما بغيت.

وما في تلك الجزيرة – عصمها الله – من صالحٍ ولا طالح إلا ما يعرضك على الله تعالى، ويرفع إليه فيك عقيرته بالشكوى، وكل ما سفك من دم، وانتهك من محرمٍ، واستهلك من ذمم، فإليك منسوب، وعليك محسوب، وفي صحيفتك مكتوب، وموعد الجزاء غداً وإنه لقريب، فانظر ما أنجح أثرك، وأربح متجرك، وأصلح موردك ومصدرك.»(1)

ابن خاقان،المصدر السابق،ص311؛ ابن بسام،المصدر السابق،ج2،ص ص258–259.

<u>الملحق الثاني:</u>

قصيدة المنفرجة لابي الفضل بن النحوي:

إشتدّي أزمةُ تنفرجي * قد آذَنَ لَيلُكِ بالبلَجِ**
و ظلام الليل له سُرُجٌ * حتى يغشاه أبو السُّرُجِ**
و سحاب الخير له مطرٌ * فإذا جاء الإبَّانُ تَجِي**
و فوائد مولانا جُمَلٌ * لسُروج الأنفسِ و المُهَجِ**
و لها أَرَجٌ مُحْيٍ أبدا * فَاقْصِد مَحْيَا ذَاكَ الأرَجِ**
فَلَرُبَّتَمَا فَاضَ المَحْيَا * ببُحورِ المَوْجِ من اللُّجَجِ**
والخلق جميعا في يده * فَذَوُ سَعَةٍ و ذَوُ حَرَجِ**
و نُزولُهُمُ و طُلوعُهُمُ * فإلى دَرَكٍ و على دَرَجِ**
و معايشُهُم و عَواقِبُهُم * ليست في المَشْيِ على عِوَجِ**
حِكَمٌ نُسِجَتْ بِيَدٍ حكَمَتْ * ثم انتسجَت بالمُنْتَسِجِ**
فإذا اقْتَصدَت ثم انْعَرَجَت * فبمُقْتَصِدٍ و بمُنْعَرِجِ**
شَهِدَت بعجائبها حُجَجٌ * قامت بالأمر على الحُجَجِ**
و رِضًا بقضاء الله حِجًا * فعلى مَرْكوزَتِها فَعُجِ**
فإذا انفتحت أبوابُ هُدَى * فاعجل بخزائنها و لِجِ**
وإذا حاوَلْتَ نِهايتَها * فاحذَرْ إذْ ذَاك من العَرَجِ**
لتكون من السُّبّاق إذا * ما جِئْتَ إلى تلك الفُرُجِ**
فهناك العَيْشُ و بَهجَتُهُ * فَبِمُبتهجٍ و بمُنْتَهِجِ**
فَهِجِ الأعمال إذا ركَدَتْ * و إذا ما هِجْتَ إذَن تَهِجِ**
و معاصي الله سَمَاجَتُهَا * تَزدانُ لذي الخُلقِ السَّمِجِ**
و لِطاعَتِه و صَبَاحَتِها * أنوارُ صباحٍ مُنْبَلِجِ**
من يخْطو بحُورَ الخُلْدِ بها * يَحظَى بالحُور و بالغَنَجِ**
فكُنِ المَرْضِيَ لهَا بتُقاً * تَرْضَاهُ غَداً و تَكونَ نَجِي**
و اتْلُ القرآن بقَلْبٍ ذِي * حُزنٍ و بصَوتٍ فيه شَجِ**

و صلاة الليل مسافَتُها *** فاذهَبْ فيها بالفَهْمِ و جِي
و تأمَّلَها و معانِيها *** تَأتِي الفِردوسَ و تَبْتَهِجِ
و اشرب تَسنِيمَ مُفَجِّرِها *** لا مُمْتَزِجًا و بمُمْتَزِجِ
مُدِحَ العَقلُ الآتِيهِ هُدًى *** و هَوَى المُتَولِّ عنه هُجِي
و كتاب الله رِيَاضَتُهُ *** لِعُقُولِ النَّاسِ بِمُنْدَرِجِ
و خِيارُ الخَلْقِ هُدَاتُهُمُ *** و سِوَاهُمْ من هَمَجِ الهَمَجِ
فإذا كنت المِقْدَامَ فَلا *** تَجْزَعْ في الحَربِ من الرَّهَجِ
و إذا أبْصَرْتَ مَنَارَ هُدَى *** فاظْهَر فَرْدًا فَوْقَ الثَّبَجِ
و إذا اشْتَاقَت نفسٌ وَجَدت *** ألَمًا بالشَّوق المُعْتَلِجِ
و ثَنَايَا الحَسْنا ضَاحِكةً *** و تَمَامُ الضَّحْكِ على الفَلَجِ
و غِيابُ الأسْرارِ اجْتَمَعَتْ *** بأمانتِها تحت السُّرُجِ
و الرِّفْقُ يدوم لصاحِبهِ *** و الخِرْقُ يَصِير إلى الهَرَجِ
صَلَواتُ اللهِ على المَهْدِي *** الهادي الناس إلى النَّهْجِ
و أبي بكرٍ في سيرَتِه *** و لِسانِ مقالتِه اللَّهِجِ
و أبي حَفْصٍ و كرامتِهِ *** في قِصَّةِ سَارِيَةَ الخَلَجِ
و أبي عَمْرٍ ذي النُّورَيْنِ *** المُسْتَهْدِ المُسْتَحْيِ البَهِجِ
و أبي حَسَنٍ في العِلْمِ إذَا *** وَافَى بسَحائِبِه الخَلَجِ
و على السِّبْطَيْنِ و أمِّهِما *** و جميعِ الآلِ بمُنْدَرِجِ
و صَحَابَتِهِم و قَرَابَتِهِمْ *** و قُفَاتُ الأثْرِ بلا عِوَجِ
و على تُبّاعِهِمُ العُلَمَا *** بعَوارِفِ دينِهِم البَهِجِ
يا رَبِّ بهِم و بآلِهِم *** عجِّل بالنَّصْرِ و بالفَرَجِ
و ارحَم يا أكْرَمَ مَنْ رحِمَا *** عَبْدًا عن بابِكَ لَمْ يَعُجِ
و اخْتِمْ عمَلِي بخَواتِمِها *** لِأكون غدًا في الحَشْرِ نَجِي
لَكِنِّي بجُودِكَ مُعْتَرِفٌ *** فاقْبَلْ بمَعَاذِرِي حِجَجِي
و إذَا بك ضَاقَ الأمْرُ فَقُلْ *** إشْتَدِّي أزْمَةُ تَنْفَرِجِي

الملحق الثالث:

قصيدةلابن حمديس يصف فيها احد قصور الامير الحمّادي المنصور بن الناصر

اعمر بقصر الملك ناديك الذي ... أضحى بمجدك بيته معمورا

قصرٌ لو أنّك قد كحلت بنوره ... أعمى لعاد إلى المقام بصيرا

واشتقّ من معنى الحياة نسيمه ... فيكاد يحدث للعظام نشورا

نسي الصبيح مع المليح بذكره ... وسما ففاق خورنقاً وسديرا

ولو أنّ بالإيوان قوبل حسنه ... ما كان شيئاً عنده مذكورا

أعيت مصانعه على الفرس الألى ... رفعوا البناء وأحكموا التّدبيرا

ومضت على الروم الدهور وما بنوا ... لملوكهم شبهاً له ونظيرا

أذكرتنا الفردوس حين أريتنا ... غرفاً رفعت بناءها وقصورا

فالمحسنون تزيّدوا أعمالهم ... ورجوا بذلك جنّةً وحريرا

والمذنبون هدوا الصّراط وكفّرت ... حسناتهم لذنوبهم تكفيرا

فلكٌ من الأفلاك إلا أنّه ... حقر البدور فأطلع المنصورا

أبصرته فرأيت أبدع منظرٍ ... ثمّ انثنيت بناظري مسحورا

وظننت أنّي حالمٌ في جنّةٍ ... لمّا رأيت الملك فيه كبيرا

وإذا الولائد فتّحت أبوابه ... جعلت ترحّب بالعفاة صريرا

عضّت على حلقاتهنّ ضراغمٌ ... فغرت بها أفواهها تكشيرا

فكأنهّا لبدت لتصهر عندها ... من لم يكن بدخوله مأمورا

تجري الخواطر مطلقات أعنّةٍ ... فيه فتكبو عن مداه قصورا

بمرخّم الساحات تحسب أنّه ... فرش المها وتوشّح الكافورا

ومحصّب بالدّرّ تحسب تربه ... مسكاً تضوّع نشره وعبيرا

تستخلف الأبصار منه إذا أتى ... صبحاً على غسق الظلام منيرا[1]

---

1)المقري (أحمد بن محمدالتلمساني) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،تحقيق إحسان عباس، دار صادر- بيروت – لبنان،1408هـ/1988،الجزء الاول،ص492.

الخرائط

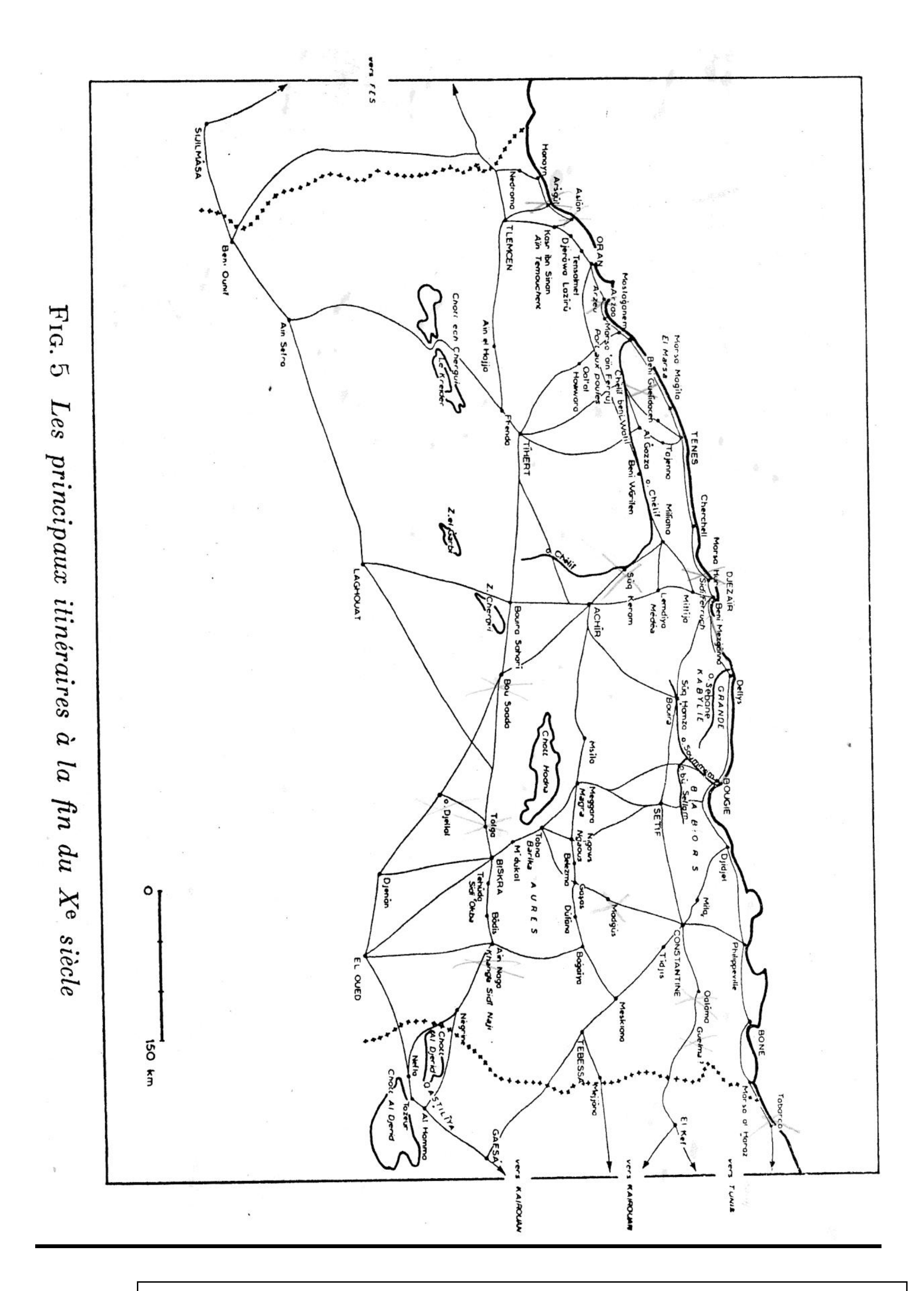
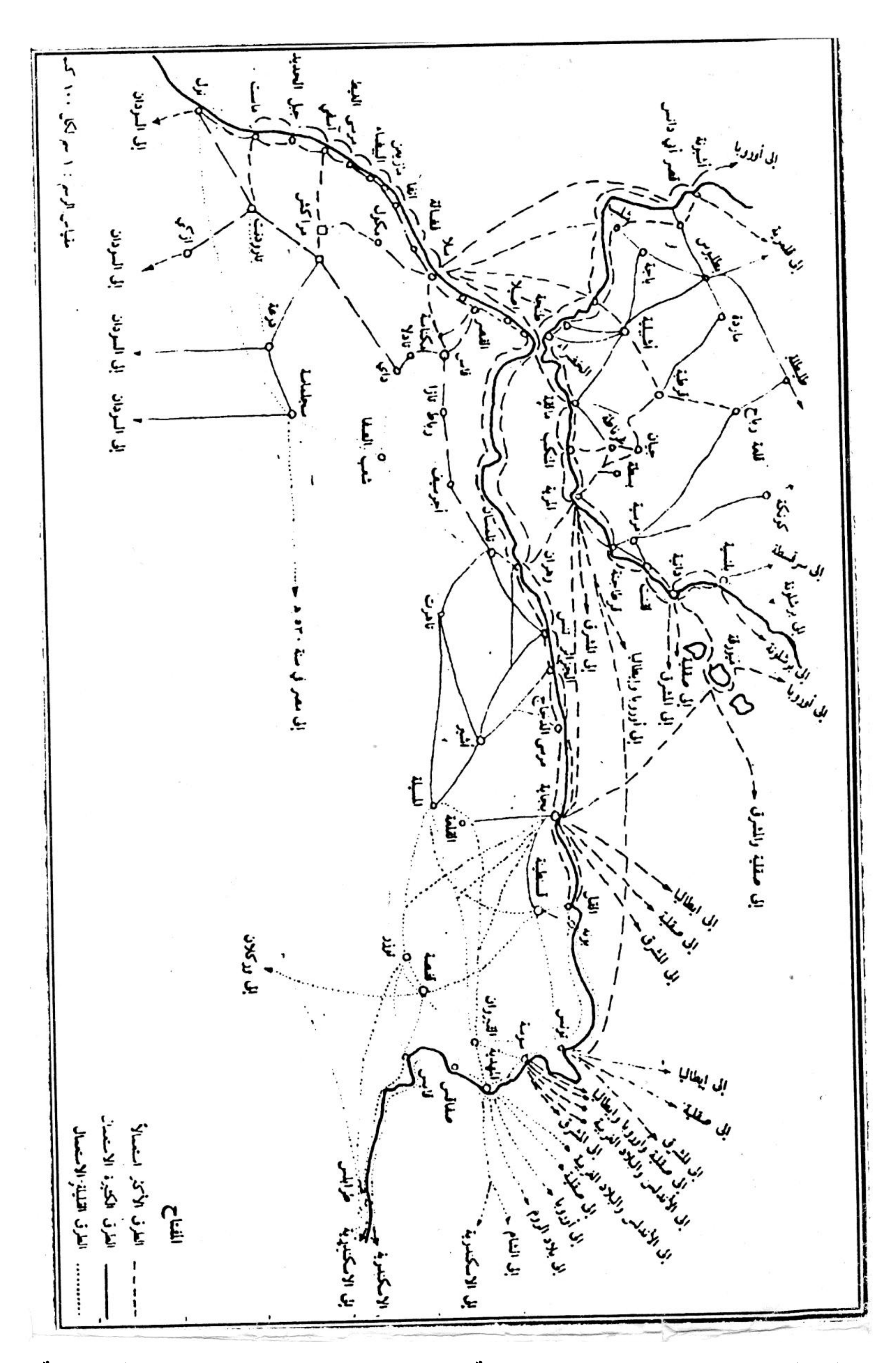
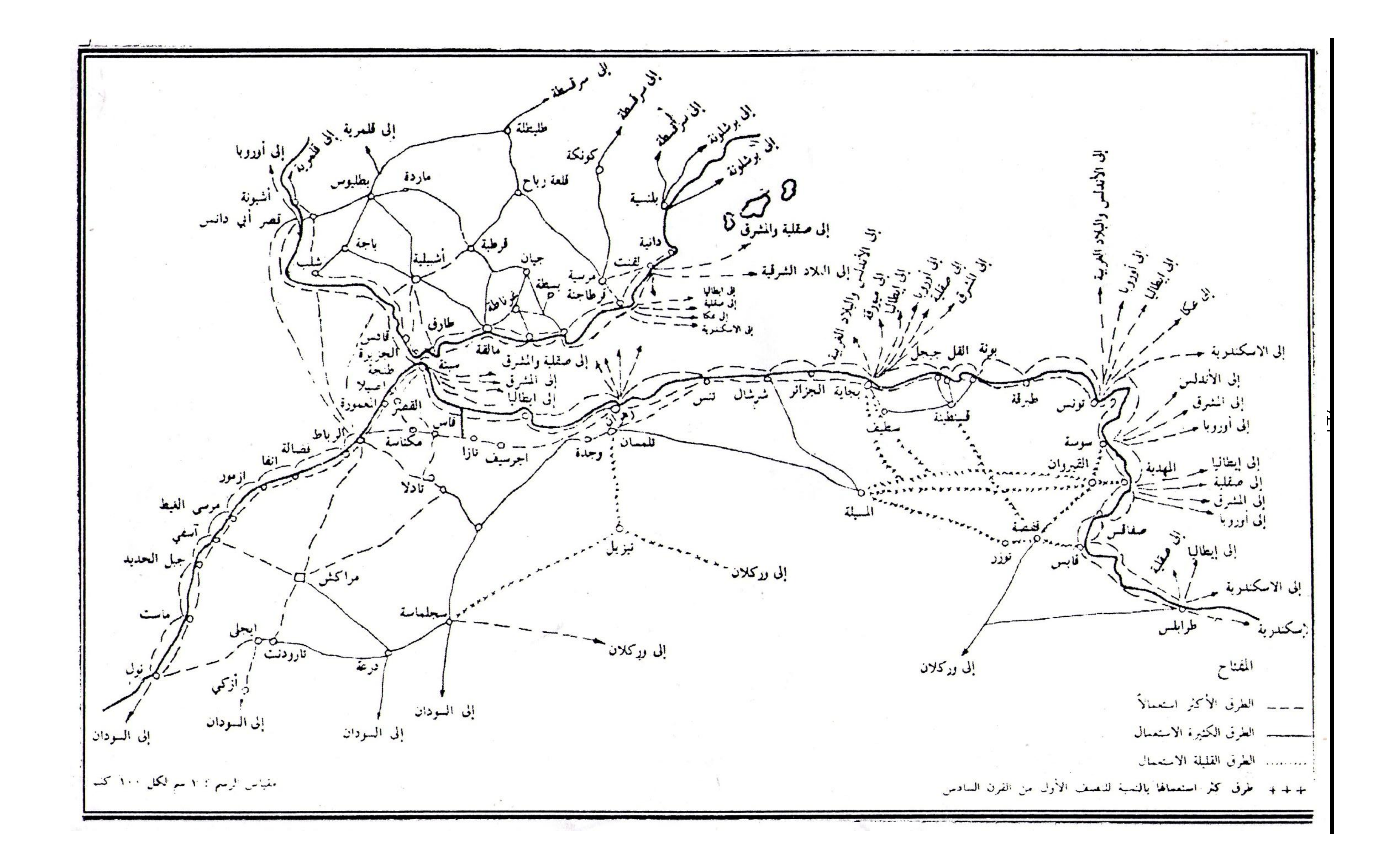


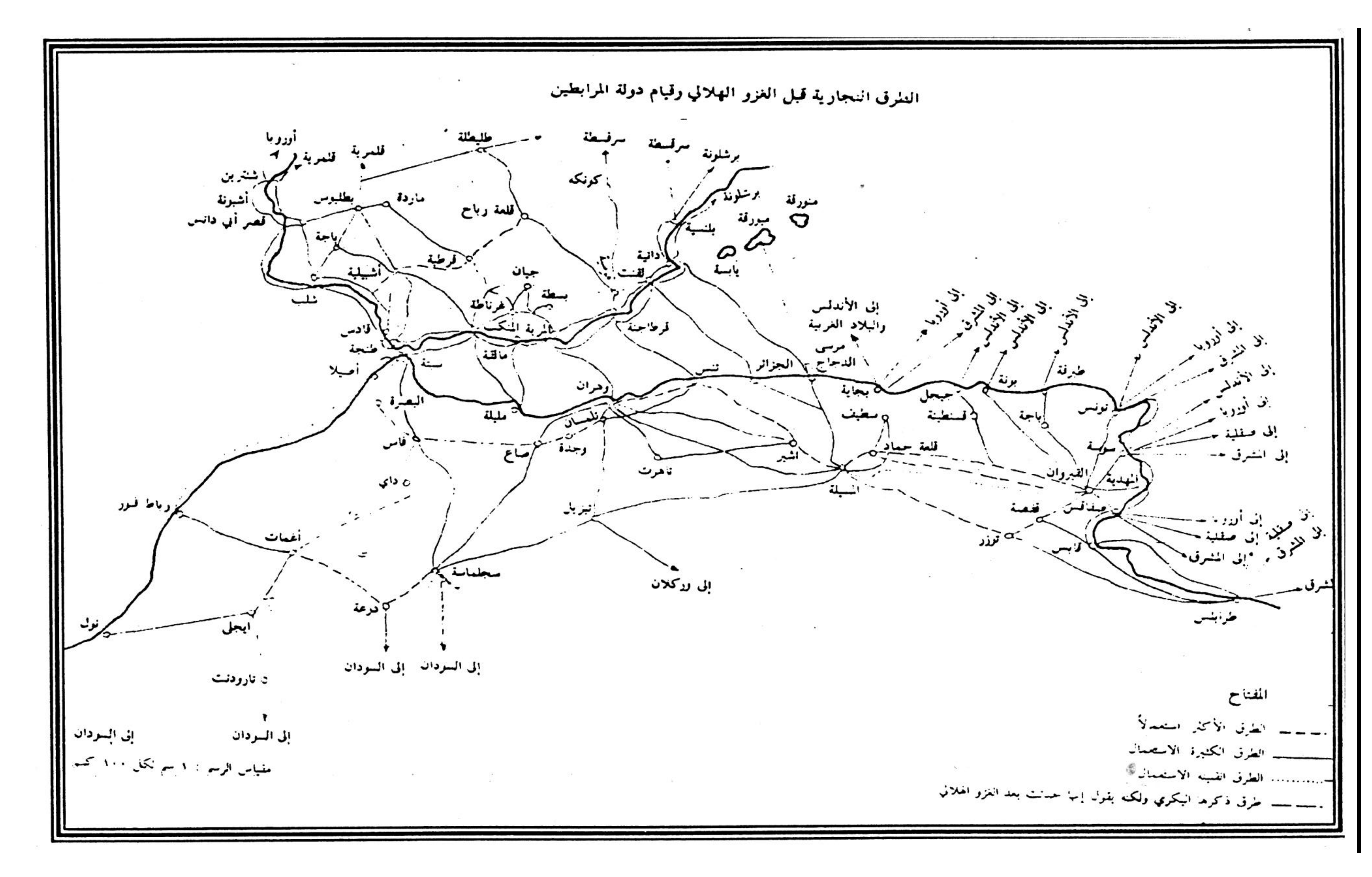
FIG. 5 *Les principaux itinéraires à la fin du Xe siècle*

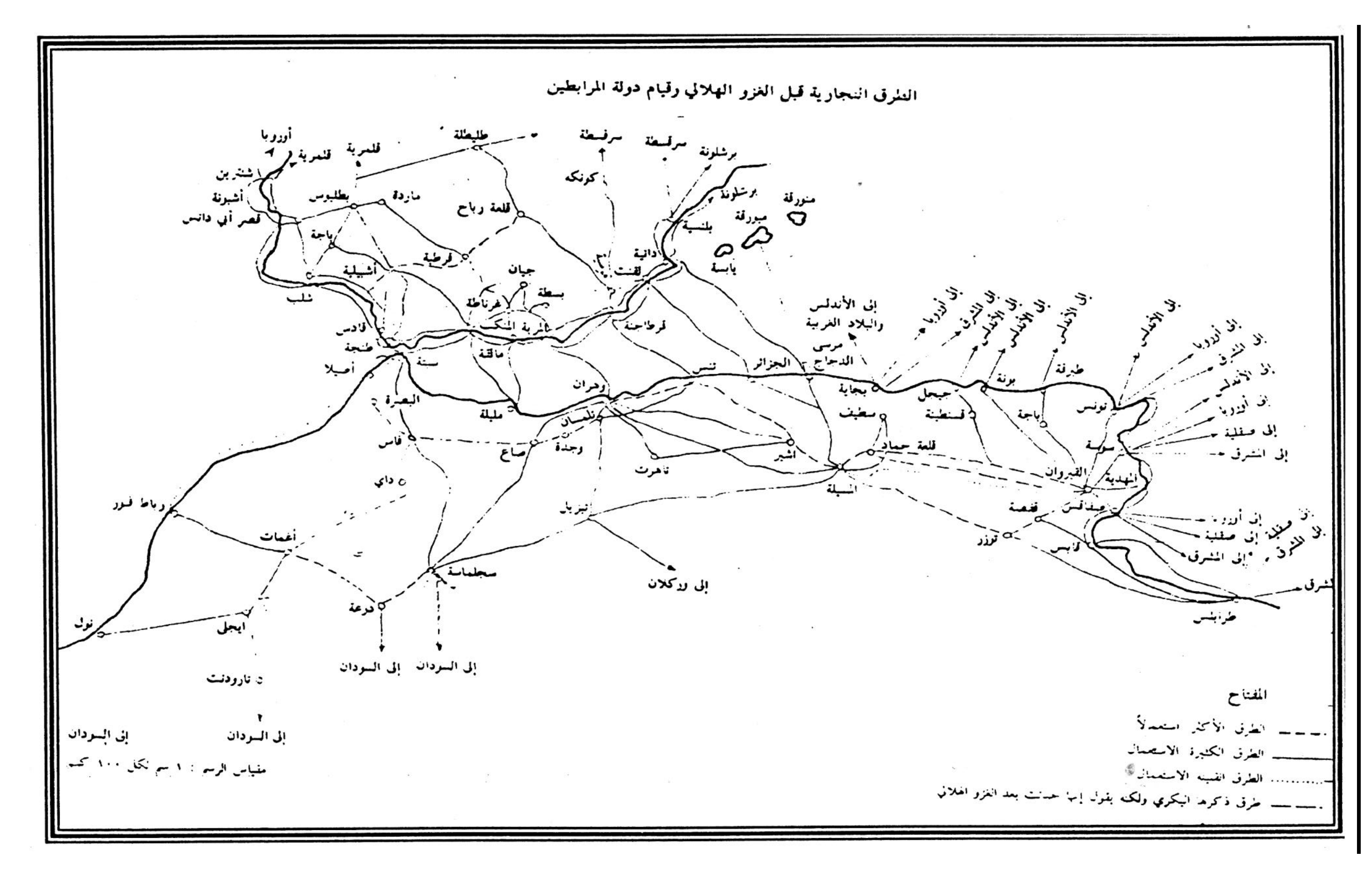
خريطة مقتبسة من كتاب **Golvin lucien ,le magheb central a l’ epoque des zerides ,recherche d’archeologieet**



خرائط الطرق والمسالك والممرات البحرية بين بلاد المغرب وحوض المتوسط مقتبسة من كتاب النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال السادس الهجري، لعزالدين احمد


المفتاح
الطرق الأكثر استعمالاً
الطرق الكثيرة الاستعمال
الطرق القليلة الاستعمال
طرق كثر استعمالها بالنسبة للنصف الأول من القرن السادس
مقياس الرسم ١ : ١ سم لكل ١٠٠ كم
طليطلة
قلعة رباح
كونكة
بلنسية
دانية
لقنت
مرسية
قرطاجنة
ماردة
بطليوس
قصر أبي دانس
أشبونة
شلب
باجة
أشبيلية
قرطبة
جيان
بسطة
غرناطة
مالقة
طارق
الجزيرة
طنجة
سبتة
أصيلا
المعمورة
القصر
فاس
مكناسة
الرباط
فضالة
انفا
ازمور
مرسى الغيط
آسفي
جبل الحديد
ماست
نول
ايجلي
تارودنت
أزكي
درعة
مراكش
تادلا
سجلماسة
تازا
اجرسيف
وجدة
تلمسان
وهران
تنس
شرشال
الجزائر
بجاية
المسيلة
سطيف
قسنطينة
جيجل
القل
بونة
طبرقة
تونس
سوسة
القيروان
المهدية
صفاقس
قابس
قفصة
توزر
تيزيل
طرابلس
إلى السودان
إلى وركلان
إلى سرقسطة
إلى برشلونة
إلى أوروبا
إلى المرية
إلى صقلية والمشرق
إلى البلاد الشرقية
إلى الأندلس والبلاد الغربية
إلى إيطاليا
إلى صقلية
إلى المشرق
إلى عكا
إلى الاسكندرية


الطرق التجارية قبل الغزو الهلالي وقيام دولة المرابطين
أوروبا
قلمرية
طليطلة
سرقسطة
برشلونة
شنترين
أشبونة
قصر أبي دانس
بطليوس
ماردة
قلعة رباح
كونكه
بلنسية
ميورقة
منورقة
يابسة
باجة
قرطبة
أشبيلية
جيان
بسطة
دانية
لقنت
شلب
غرناطة
قرطاجنة
قادس
طنجة
أصيلا
سبتة
المرية
مالقة
البصرة
مليلة
وهران
تنس
الجزائر
مرسى الدجاج
إلى الأندلس والبلاد الغربية
بجاية
جيجل
بونة
طبرقة
تونس
سوسة
المهدية
القيروان
صفاقس
قفصة
توزر
قابس
طرابلس
فاس
تلمسان
وجدة
صاع
تاهرت
أشير
المسيلة
سطيف
قلعة حماد
قسنطينة
باجة
تيزيل
إلى وركلان
رباط فرور
أغمات
سجلماسة
درعة
نول
ايجلي
تارودنت
إلى السودان
إلى أوروبا
إلى الشرق
إلى الأندلس
إلى صقلية
المفتاح
الطرق الأكثر استعمالاً
الطرق الكثيرة الاستعمال
الطرق القليلة الاستعمال
طرق ذكرها البكري ولكنه يقول إنها حدثت بعد الغزو الهلالي
مقياس الرسم : ١ سم تمثل ١٠٠ كم



الطرق التجارية قبل الغزو الهلالي وقيام دولة المرابطين
أوروبا
قلمرية
طليطلة
سرقسطة
برشلونة
كونكه
شنترين
أشبونة
قصر أبي دانس
بطليوس
ماردة
قلعة رباح
باجة
قرطبة
جيان
بسطة
غرناطة
أشبيلية
شلب
قادس
طنجة
أصيلا
سبتة
مالقة
المرية
قرطاجنة
لقنت
دانية
بلنسية
ميورقة
منورقة
يابسة
إلى الأندلس والبلاد الغربية
مرسى الدجاج
الجزائر
تنس
وهران
مليلة
البصرة
فاس
تلمسان
وجدة
تاهرت
أشير
بجاية
سطيف
قلعة حماد
المسيلة
جيجل
قسنطينة
بونة
طبرقة
باجة
تونس
سوسة
القيروان
المهدية
صفاقس
قفصة
توزر
قابس
طرابلس
الشرق
إلى أوروبا
إلى الشرق
إلى الأندلس
إلى صقلية
رباط فور
أغمات
داي
سجلماسة
درعة
نول
إيجلي
تارودنت
إلى السودان
إلى وركلان
المفتاح
الطرق الأكثر استعمالاً
الطرق الكثيرة الاستعمال
الطرق القليلة الاستعمال
طرق ذكرها البكري ولكنه يقول إنها حدثت بعد الغزو الهلالي
مقياس الرسم : ١ سم لكل ١٠٠ كم

قائمة المصادر:

1) ابن الأبار(محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي المتوفى 658هـ): التكملةلكتاب الصلة،تحقيق عبد السلام الهراس، دارالفكرللطباعة،لبنان1415هـ/ 1995. معجم اصحاب القاضي الصدفي ت594 هـ/1120م،تحقيق ابراهيم الابياري،دارالكتاب المصري القاهرة –دار الكتاب اللبناني بيروت ،1410هـ .

2) ابن الأثير(ابي الحسن علي بن ابي الكرم الملقب بعزالدين ت 630هـ):الكامل في التاريخ،دار الكتاب العربي بيروت،الطبع الثالثة،1400هـ/1980م.

3) الادريسي(محمد بن محمد بن عبدالله الحمّودي الحسني ت560هـ/1164م):نزهة المشتاق في اختراق الافاق،تحقيق حسين مؤنس واخرون،نشرمكتبة الثقافة الدينية بور سعيد،بدون تاريخ.

4) الاصفهاني(عماد الدين الكاتب ، محمد بن محمد أبو عبد الله ت 597هـ):خريدة القصر وجريدة العصر،قسم شعراء المغرب والاندلس،تحقيق محمد المرزوقي– محمد العروسي المطوي–الجيلاني بن الحاج يحي،الدار التونوسية للنشر،1986.

5) الأوسي المراكشي (أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري ت703هـ):كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الخامس ؛ تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة،بيروت ،ج1، 1965.

6) البغدادي (إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي ت1399هـ)هدية العارفين في اسماء المؤلفين واثار المصنفين،دار احياء التراث العربي بيروت لبنان،بدون تاريخ.

7) البكري(ابوعبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد ت487هـ):المغرب في ذكر افريقيا والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك،دار الكتاب الاسلامي،القاهرة مصر، بدون تاريخ.

8) البيذق(ابي بكر بن علي الصنهاجي ت حوالي555هـ/1160م)،اخبار المهدي بن تومرت وبدايةو دولة الموحدين،دار النصور للطبعة والوراقة، الرباط المغرب،1971م.

9) ابن البيطار(ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي) الجامع لمفردات الادوية والاغذية،دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1422 هـ-2001م.
10) التجاني(ابو محمدعبدالله بن محمد ت حوالي717هـ/1317م):رحلة التجاني ، الدار العربية للكتاب ليبيا-تونس، 1981.
11) التنبكتي(ابو العباس احمدبابا بن احمد بن احمد 936-1556/1030-1627):نيل الابتهاج بتطريزالديباج،كلية الدعوة الاسلامية طرابلس،ليبيا،1398 /1989.
12) الجاحظ (أبو عثمان، عمرو بن بحر بن محبوب ، الشهير بالجاحظ ت255هـ):التبصرة بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة،تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، مكتبة الخانجي- القاهرة الطبعة :الثالثة، 1414هـ - 1994م.
13) الحموي (شهاب الدين ابي عبدالله ياقوت بن عبدالله ت626هـ):معجم البلدان، دار صادر بيروت،1397هـ1977م.
14) الحميدي (ابو عبدالله محمد بن ابي نصر ت 488هـ): جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس،الدار المصرية للتاليف والترجمة ،1966.
15) الحميري(أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم بن عبد النور، الحميري ت749هـ) : الروض المعطار في اخبار الاقطار،تحقيق احسان عباس، مكتبة لبنان ، 1984.
16) ابن الخطيب (لسان الدين السلماني ت776هـ/1317م):تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط،القسم الثالث من كتاب:اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام،نحقيق احمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني،دار الكتاب الدار البيضاء،المغرب،ط1964 .
17) الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ،ت 748هـ-1347م):العبر في خبر من غبر،دار الكتب العلمية بيروت ،الطبعة الاولى1405هـ /1985م.
18) الزهري(محمد ابن ابي بكر، ت اواسط القرن السادس هجري): كتاب الجغرافيا، تحقيق محمد حاج صادق،مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد بدون تاريخ.
19) ابن الزيات(ابو يعقوب يوسف بن يحي التادلي ت620هـ/1220م): التشوف الى رجال التصوف واخبار ابي العباس السبتي،تحقيق احمد التوفيق، منشورات كلية الاداب الرباط المغرب، الطبعة الثانية،1997.

20) **السلاوي(ابو العباس احمد بن خالد الناصري ت1315هـ/1897م):الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري دار الكتاب الدار البيضاء،1954.**

21) **السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين ت 911هـ):بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة،تحقيق ،محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار الفكر لبنان،ط2 ،1399 /1979.**

22) **الصّفدي(صلاح الدين خليل بن ايبك ت764هـ):الوافي بالوفيات،تحقيق احمد الارنأووط/تركي مصطفى،دار احياء التراث العربي بيروت لبنان، 1420هـ/2000.**

23) **الضّبي(أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة،أبو جعفر ت599 هـ/1203م):الملتمس في تاريخ رجال الاندلس ،تحقيق ابراهيم الابياري،دار الكتاب المصري القاهرة/دار الكتاب اللبناني بيروت ،الطبعة الاولى 1410هـ/1989م**

24) **ابن العماد (الحنبلي عبد الحي أبو الفلاح ت1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب،تحقيق محمود الأرناؤوط،دار بن كثير، دمشق – بيروت، الطبعةالأولى، 1406 هـ /1986.**

25) **الغبريني(ابو العباس احمد بن عبدالله 644هـ/714م): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق عادل نويهض،منشورات دار الافاق الجديدة بيروت، الطبعة الثانية 1979م .**

26) **ابو الفدا (عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمد ت732هـ/1331م):تقويم البلدان،تحقيق دوسلان،دار صادر بيروت، بدون تاريخ.**

27) **ابن القاضي (احمد المكناسي 960-1025هـ):جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الاعلام مدينةفاس،دار المنصورللطباعة والوراقة، الرباط،1973م.**

28) **ابن القطان(ابو محمد حسن بن علي المراكشي، منتصف القرن السابع هجري):نظم الجمان لترتيب ما سلف من اخبار الزمان،تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الاسلامي 1410هـ.**

29) **ابن القفطي(جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف ت 646هـ) : إنباه الرواة على أنباه النحاة،تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم،دارالفكر العربي، القاهرة-دارالكتب الثقافية بيروت،1406هـ/1986م.**

30) القلقشندي(احمدابوالعباس احمد بن علي،ت821هـ/1418م):صبح الاعشى في صناعة الانشا، المطبعة الاميرية القاهرة1333 هـ/ 1915 م.
المؤنس في اخبار افريقية وتونس،مطبعةالدولةالتونسية،الطبعةالاولى1286هـ.
31) المراكشي عبدالواحد ت647هـ:المعجب في تلخيص اخبار المغرب،تحقيق محمد سعيد العريان،نشر المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالجمهورية العربية المتحدة، بدون تاريخ.
32) المقريزي(تقي الدين احمد بن علي ت845هـ/1442م) :اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفا،تحقيق جمال الدين الشيال،مطابع الاهرام التجارية–قليوب الطبعة الثانيةالقاهرة1416هـ1996؛المواعظ والاعتبار بذكرالخطط والاثار المعروف بالخطط المقريزية،تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي،مكتبة مدبولي القاهرة 1998.
33) النويري(شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب ت732هـ):نهاية الارب في فنون الادب،تحقيق عبد المجيد ترحيني،منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت لبنان،الجزء الرابع والعشرون .
34) ابن بسام (أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني ت 542هـ):الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تحقيق،احسان عباس دارالثقافة،بيروت،1417 هـ 1997م.
35) ابن بشكوال(ابو القاسم خلف بن عبدالملك ،494–578هـ/1101–1183م):الصلة، تحقيق ابراهيم الابياري،دار الكتاب المصري القاهرة/دار الكتاب اللبناني بيروت، الطبعة الاولى 1410هـ/1989م.
36) ابن ثغري بردي(ابي المحاسن يوسف الاتابكي 813–874هـ/1409–1469)النجوم الزاهرة في ملوك مصروالقاهرة،تقديم وتعليق محمد حسين شمس الدين،دار الكتب العلمية بيروت،الطبعة الاولى،1992/1413،
37) حاجي خليفة(مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني خليفة ت1067هـ):كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون،تصحيح محمد شرف الدين يالتقايا ورفعت بيلك الكليسي،دار احياء التراث العربي،بيروت لبنان،بدون تاريخ .
38) ابن حزم(أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي ت 456هـ) جمهرة انساب العرب،دار المعارف القاهرة،الطبعة الخامسة.

39) ابن حمديس(عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد الأزدي الصقلي 527 - 447 هـ) ديوان ابن حمديس،تصحيح جاليستينو سكيابا ريللي،رومية الكبرى1897م.
40) ابن حوقل (ابو القاسم محمد بن علي النصّيبي توفي بعد 367هـ/977م): كتاب صورة الارض،دار مكتبة الحياة بيروت لبنان،ط1992 .
41) ابن خاقان(ابوالنصر الفتح بن محمدبن عبيدالله القيسي الاشبيلي ت529هـ):قلائد العقيان ومحاسن الاعيان،تحقيقوتعليق حسن يوسف خربوش،مكتبة المنارللطباعة و النشر والتوزيع،الاردن،الطبعة الاولى 1409هـ/1989م.
42) ابن خلدون (ابوزيدعبد الرحمان،732-808هـ/1332-1406م)-العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،دار الفكر للطباعة والنشر بيروت ط1421ه2000م.
43) ابن خلكان(ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد ت681هـ/1282م)وفيات الأعيان وأنباء أبناء زمان، تحقيق احسان عباس دار صادر بيروت.
44) دينار(محمد بن ابي القاسم الرعيني القيرواني،معلماء القرن12هـ):
45) ابن رشيق (أبو على الحسن القيرواني الأزدي ت 463 هـ):العمدة في محاسن الشعر وآدابه،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، 1401 هـ / 1981.
46) ابن ابي زرع (علي بن عبدالله الفاسي،ت726هـ/1325م):الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس،دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط،1972.
47) صيبعة(أحمد بن القاسم بن خليفة أبو العباس الخزرجي ت 668هـ): عيون الأنباء في طبقات الأطباء،تحقيق نزاررضا،دار مكتبة الحياة،بيروت بدون تاريخ.
48) عبدالله بن بلكين بن باديس بن حبوس بن زيري:مذكرات الامير عبدالله اخر ملوك بني زيري بغرناطة469 -483 المسمى بالتبيان،نشر وتحقيق ليفي بروفنسال،دار المعارف ،مصر 1955.
49) ابن عذاري (ابو عبدالله محمدالمراكشي من علماء القرن7هـ/13م)البيان المغرب في اخبارالاندلس والمغرب،تحقيق ليفي بروفنسال وكولان(ج،س)، دار الثقافة بيروت، ط1983،3.

50) **عياض القاضي (أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي 476-544هــ /1083-1149م):ترتيب المدار وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك،ضبطه محمد سالم هاشم، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت،الطبعة الاولى**1418**هــ** /1998.

51) **غلبون(ابو عبدالله محمدبن خليل الطرابلسي):تاريخ طرابلس الغرب فيمن ملك طرابلس وماكان بها من الاخبار المسمى التذكار، تصحيح وتعليق الطاهراحمد الزاوي،(المطبعة السلفيةالقاهرة1439)**

52) **ابن فرحون (القاضي ابراهيم بن نورالدين ت 799هــ):الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب،تحقيق مأمون بن محي الدين الجنّان ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان،الطبعة الاولى 1417هــ/1996.**

53) **مؤلف مجهول (عاش في اواخر القرن السادس هجري/**12**م)الاستبصار في عجائب الامصار،نشر وتعليق عبدالحميد زغلول،طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة افاق عربية بغداد العراق،بدون تاريخ.**

54) **مخلوف (محمد بن محمد بن عمر بن على بن سالم المالكي (1280هـ - 1360هـ / 1863م - 1941م) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،المطبعة السلفية،القاهرة1349هــ.**

55) **ناصرخسرو(أبو معين الدين ناصر خسرو الحكيم القبادياني المروزي ت 481هـ): سفرنامه تر يحي الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية،** 1993 .

<u>قائمة المراجع:</u>

56) **ابورازق(احمد بن محمد)،الادب في العصر الحمادي،وزارة الثقافة بمناسبة الجزائرعاصمة الثقافة العربية،**2007

57) **إدريس هادي روجي ، الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري،تر، حمادي الساحلي،دار الغرب الإسلامي بيروت,الطبعة الاولى1992.**

58) **ارشيبالد لويس،القوى البحرية في حوض المتوسط في القرن 5هــ/11م.**

59) **اسماعيل العربي ،بني حماد ملوك القلعة وبجاية ، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع** 1984**،ص**189**؛ فصول في العلاقات الدولية،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،** .1990

60) التازي عبدالهادي ،التاريخ الديبلوماسي للمغرب من اقدم العصور الى اليوم ،مطابع فضالة–المحمدية،1407هـ

61) الجيلالي عبدالرحمان، ،تاريخ الجزائرالعام،دار مكتبة الحياة بيروت ،ط2،1384هـ /1965م .

62) المطوي العروسي محمد،الحروب الصليبية في المشرق والمغرب،دار الغرب الاسلامي،1982،

63) الميلي مبارك،تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب بدون تاريخ

64) اوليفيا ريمي كونستبل،التجارة والتجار في الاندلس،تعريب فيصل عبدالله،بدون تاريخ

65) برنشفيك روبار،تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن13 إلى نهايةالقرن15،تر حمادي الساحلي(دار الغرب الاسلامي، بيروت،1988.

66) بلغيث محمدالامين،دراسات في تاريخ الغرب الاسلامي،دار التنوير الجزائر ،1427 / 2006،ص48.

67) بوتشيش إبراهيم القادري،مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ط دار الطليعة للطباعة والنشر.

68) بورويبة رشيد،الدولة الحمادية.

69) بونار رابح المغرب العربي،تاريخه وثقافته،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،ط2،1981.

70) جواتياين د س،دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية،تعريب وتحقيق عطية القوصي،وكالة المطبوعات، الكويت،ط1،1980

71) جودت عبدالكريم، الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الاوسط خلال القرنين الثالث والرابع هجريين(9–10م)،(ديوان المطبوعات الجامعية بدون تاريخ)

72) جورج مارسي،بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الاسلامي،تر محمود عبدالصمد هيكل،مراجعة مصطفى ابوضيف احمد،منشاة المعارف بالاسكندرية

73) حسن احمد محمود،قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى،(دارالفكرالعربي القاهرة بدون تاريخ

74) حسن خضيري احمد،علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب،(مكتبة مدبولي-القاهرة-بدون تاريخ)
75) حسين مؤنس،معالم تاريخ المغرب والاندلس،مكتبة الاسرة الاعمال الفكرية،2004
76) حوالة (يوسف بن احمد)،الحياة العلميةفي افريقية(المغرب الادنى)منذ اتمام الفتح حتى منتصف القرن الخامس هجري90-450هــ، مكة المكرمة1421هــ-2000 م
77) سيدي موسى محمد الشريف،مدينة بجاية الناصرية، دار كرم الله للنشر والتوزيع،الجزائر،2001،ص252.
78) عبد الفتاح المقلد الغنيمي،موسوعة تاريخ المغرب العربي، مكتبة مدبولي القاهرة، الطبعة الاولى1414هــ1994م
79) عبدالمنعم حمدي ،التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والاندلس في عهد المرابطين،دار المعرفة الجامعية،1997
80) عزالدين احمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، بيروت ط1، 1403/،1983
81) عمارة علاوة،دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الاسلامي،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،ص102.
82) عميرة محمد، ،دور زناته في الحركة المذهبية بالمغرب الاسلامي،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984.
83) عويس عبد الحليم،دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري،دار الصحوة للتوزيع والنشر1411 هــ/ 1991.
84) فيلالي عبدالعزيز،العلاقات السياسية بين الدولة الامويةفي الاندلس ودول المغرب،دارالفجر للنشر والتوزيع،القاهرة،ط الثانية،1999 م.
85) كحالة عمر رضا،معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)،مؤسسة الرسالة
86) لقبال موسى،دور كتامة في تاريخ الخلافة الدولة الفاطمية،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، طبعة 1979.
87) مؤنس حسين،عالم الاسلام،مطابع الزهراء للاعلامالعربي,القاهرة،بدون تاريخ،
88) مرمول محمد الصالح، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي ،_ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر1983.

مكتبة مدبولي 1403 /1983.

89)ممدوح حسين،الحروب الصليبية في شمال افريقيا واثرها الحضاري668-792هـ/1270-1390م،دار عمار عمان،1998/1419،ط1،ص14.

90)منتوجومري وات،فضل الاسلام على الحضارة الغربية،تر حسين احمد امين ،

91)موريس لمبارد ،الاسلام في مجده الاولمن القرن2الى الرن5هـ(القرن8-11م)،تر اسماعيل العربي(منشورات دار الافاق الجديدة المغرب،بدون تاريخ).

92)نويهض عادل،معجم اعلام الجزائر من صدر الاسلام الى العصر الحاضر،مؤسسة نويهض الثقافية للتاليف والترجمة والنشر،بيروت لبنان،الطبعة الثانية ، 1400هـ /1980 م

93)هلال عمار،العلماء الجزائريونفي البلدان العربية الاسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين(3/14هـ)،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر1995

94) هيصام موسى،الجيش الجزائري،في العهد الحمادي،(105-547هـ/1014-1152م)منشورا ت مديرية الثقافة لولاية المدية، 2008

المراجع بالاجنبية:

Courtois cristian ,melanges d’histoire et d’archeologie , (95 hommage aux george marçais

De beylie,la kalaa de beni-hammad, capital berbere,de (96 l’afrique du nord au XI siecle ,ernest lerouxediteur,paris,1909

De mas laterie ,traités de paix et de commerce et (97 ducuments divers concernant les relations avec les arabes de l afrique septentrionale au moyen age,henri plon editeur imprimeur–,paris 1866.

De mas latrie, Relations et commere de l’afrique (98 septentrional ou maghreb avec les nations chretiennes au moyen age.

ERNEST MERCIER, *Histoire* de l'Afrique septentrionale (99 (Berbérie) depuis les temps lesplus reculés jusqu'à la conquête Française1830,paris,1888.

Gaid mouloud,les berbers dans l’histoire,de ziri à (100 hammad,tome7,editions mimouni,2009

Golvin lucien ,le magheb central a l’ epoque des (101 zerides ,recherche d’archeologieet d’histoire,paris,1957.

الدوريات والرسائل

102) **مجلة الثقافة،الجزائر،العدد**36،**محرم-ذوالحجة**1397/ **ديسمبر-جانفي**،1977.

103) **مجلة الدراسات التاريخية،جامعة الجزائر،العددالاول،1986/1406.**

104) **مجلة التاريخ ،العدد1987،24.**

105) **مجلة الاصالة اصدار وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية،مطبعة الشعب قسنطينة، العدد 1974،19.**

106) **مجلة الاصالة اصدار وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية،مطبعة الشعب قسنطينة، العدد 1974،19.**

107) **الخالدي عبدالحميد،رسالة دكتوراة (العلاقات الثقافية بين المغرب والمشرق من قيام الدولة العبيدية الى نهاية الدولة الحمادية)**

(108 **Revue historique,69e année-tome cxcv, paris, 1945.**

(109 Revue africain,alger1922,volume63.

فهرس الاماكن

20) الجزائر17/18/20/31/37/38/42/63/64/65/70/72/83/86/89/100/107/
110/111/116/119/132/134

21) جيجل/(18)/23/38/41/50/ 60/75/83/84/85/86/95/100/

22) الحجاز20/90/92.

23) خراسان93/124.

24) الخضراء84.

25) دانية 69/100/108/131/132/133/134.

26) دلس(تدلس)16/18/37/64/69/82/86/108/118/119.

27) دمشق93/120/121/122/123/124/134

28) سبتة22/118/127/134

29) سجلماسة81/92/99/126

30) سردانية23/73/74/85.

31) سطيف50/71/78/84/89.

32) السودان60/81/90/96/97/98/99/101

33) السوس39/92

34) الشام20/38/70/81/91/92/93/102/120/121/122.

35) شرشال17/84/86/100

36) الشلف14/33/44/45/50/81.

37) صفاقس31/34/46/53/81/91/94

38) صقلية41/42/49/52/54/56/70/71/73/74/75/82/90/109/114/121/130

39) الصومام20.

40) الصين22/81/82/90/96

41) طبنة 11/(16)/18/32/47//55/81/83/85/86/88/104/108/116/123.

42) طرابلس29/33/41/50/59/76/81/94/95

43) طنجة134.

44) العراق20/39/82/90/92/93/120/122/124/130

45) عيذاب93.

46) الغدير89/85/81/18

47) غرناطة134/133.

48) فاس127/126/106/103/92/91/81/63/34/30/27/22/17.

49) فرغانة121.

50) القاهرة123/106/92/60/28/22/9.

51) قسنطينة122/110/88/84/53/47/42/36/35/32/31/(24)/18.

52) قفصة125/91/16

53) القلعة14/16/18/19/20/21/26/28/29/30/31/32/35/36/38/44/47/48/50/ 51/54/55/58/59/60/69/73/78/81/82/87/88/90/92/94/106/107/108/ 109/114/123/124/125/126/127/.

54) القيروان20/21/27/31/32/34/46/47/54/55/58/61/77/81/82/90/94/96/ 109/119/125/128/129/130/131.

55) كورسيكا23

56) لمدية7/24/33/56/70.

57) متيجة24/85/87.

58) مراكش22/34/42/63/134/138.

59) مرسى الخرز70/73/74/86/87/88/95/100/101.

60) مرسى الدجاج16/18/31/55/84/99/100/101.

61) المرية37/64/69/82/90/94/108/118.

62) المسيلة7/12/13/14/15/16/18/19/(24)/25/31/32/33/55/56/76/81/83/ 85/86/88/90/96/104/109/110/117/118.

63) المشرق22/39/69/83/90/92/93/95/103/109/115/118/119/120/121/ 122.

64) مصر20/22/27/55/59/76/82/90/92/93/94/95/96/97/117/120/193.

65) المغرب الاقصى12/22/ 29/39/53/62/64/90/91/120/125/126.

66) مكة39/121/123/133

67) ملالة40.

68) مليانة7/18/24/31/56/110.

69) المهدية14/17/21/22/31/33/4041/42/46/48/49/50/52/54/56/57/74/77/ 94/106.

70) ميلة18/88.

71) نقاوس16/18/31/81/85.

72) نول لمطة92.

73) الهند22/81/82/90/96.

74) وارجلان(وارقلة)34/81/85/96/97/99.

75) وهران17/34/63/100/117/121.

76) اليمن22/81/82/90/93.

فهرس الاعلام

52) **المسيلي ابوعلي 134/122.**

53) **المسيلي عبداللهبن حمو118.**

54) **المسيليحسن بن محمد بن سلمون117.**

55) **المعز بن باديس(الزيري)59/58/57/55/51/45/31/29/28/27/16/15/14/ 109/ 77/76/60**

56) **المعز لدين الله الفاطمي97/59/9.**

57) **المنصور بن ابي عامر**

58) **المنصور بن الناصربن علناس 53/40/38/37/36/35/34/33/26/23/20/17 /58/62/36/64/65/66/69/76/78/83/107 /108/109/113/ 130.**

59) **المهدي بن تومرت39.**

60) **الميورقي ابوبكر محمد بن الحسين133.**

61) **الناصر بن علناس 53/52/48/47/46/35/34/33/32/31/30/26/20/17/11/ 108/106/96/83/77/76/72/71/70/69/58/57/56/**

62) **الورجلاني يوسف بن ابراهيم بن مياد السدراتي118.**

63) **الوهراني عبدالله بن يوسف بن طلحة بن عمرون117.**

64) **الوهراني محمد ركن الدين بن محرز 121.**

65) **يوسف بن تاشفين78/69/66/65/64/63/62/39/37/34.**

فهرس المواضيع